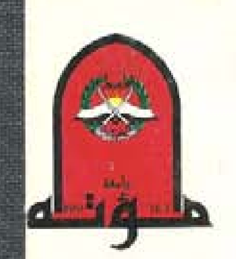
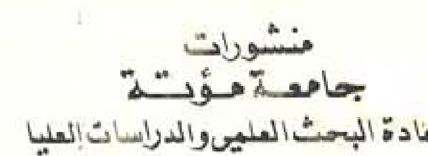
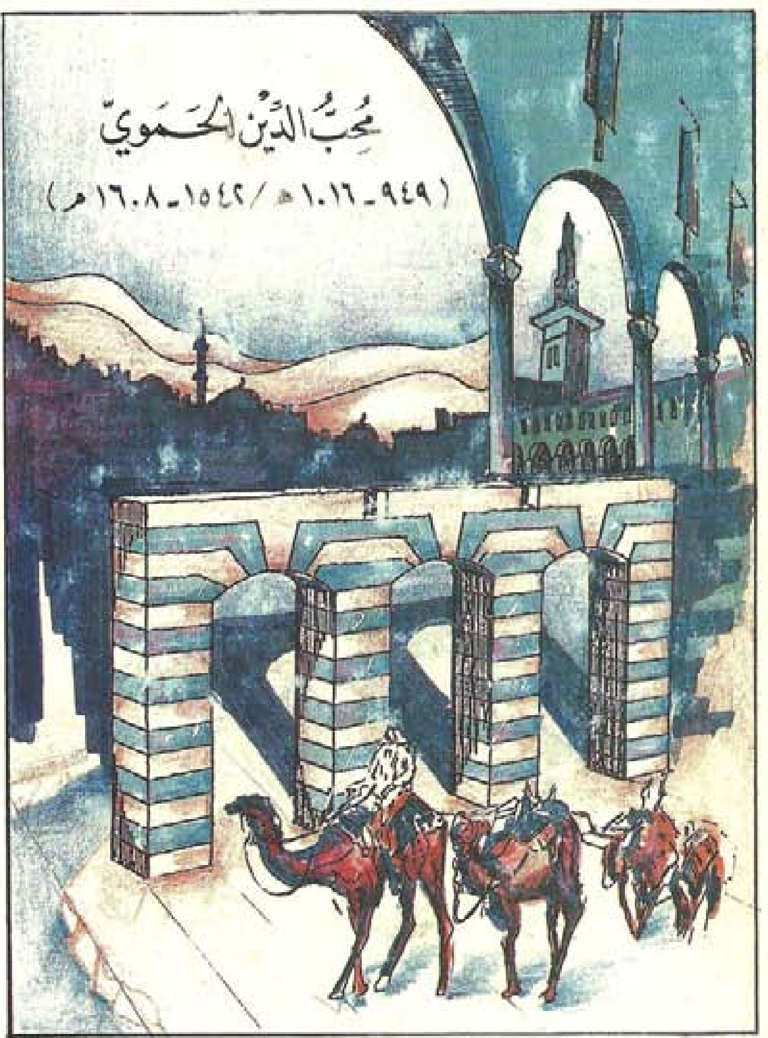




حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية



دراسة وتحقيق

محمد عدنان البخيت

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

حادي الأظعان النجدية
إلى الديار المصرية

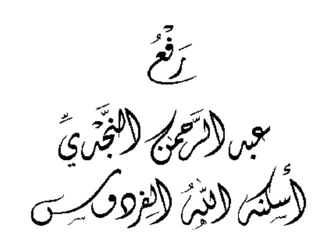
محب الدين الحموي

(٩٤٩ - ١٠١٦ هـ / ١٥٤٢ - ١٦٠٨ م)

دراسة وتحقيق
محمد عدنان البخيت

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م



الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ / ١٩٩٣م

حمو

الحموي، محب الدين بن تقي الدين،...... ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م

حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية: رحلة محب الدين الحموي إلى مصر سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م/ دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت. - مؤتة (الكرك): عمادة البحث العلمي، جامعة مؤتة، ١٩٩٣. - ٢٠٠ ص ٠٠ - ر.إ ٤١١/ ٤/ ١٩٩٣

١ ٠ مصر - تاريخ، ١٥٧٠م   ٢ ٠ مصر - رحلات ووصف

٣ ٠ مصر - تاريخ، العصر العثماني   ٤ ٠ مصر - تاريخ ، العصر المملوكي

أ ٠ محمد عدنان البخيت (محقق)   ب ٠ العنوان

جـ ٠ العنوان : رحلة محب الدين الحموي إلى مصر سنة ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠م

تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

١٩٩٣/٤/٤١١



حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة عيد الجلوس الملكي

إلى مقام حفيد الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم -

جلالة الملك الإنسان الحسين بن طلال المعظم - حفظه الله -

الذي يرفع من رحاب البيت الهاشمي

قواعد النهضة العربية الإسلامية

بصبر المؤمنين الطاهرين وبخلق هاشمي عظيم

الوفي لجلالتكم دوماً

محمد عدنان البخيت

٢٢ صفر ١٤١٤ هـ

١١ آب ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

١ - صاحب الرحلة*

صاحب هذه الرحلة هو محمد بن أبي بكر بن داوود بن عبدالرحمن بن عبدالخالق بن عبدالحق بن عبدالرحمن، الملقب بـ «محب الدين بن تقي الدين»، العلواني الحموي الدمشقي الحنفي. ولد بحماة في رمضان سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢ [١].

كان محب الدين الحموي قد أخذ علم الصوفية عن الشيخ العارف بالله أبي الوفاء بن علوان. كما أخذ سائر العلوم مع التحقيق والتدقيق عن جماعة من كبار علماء حماة وحمص ودمشق وحلب والقسطنطنية وغيرها [٢].

وكان محب الدين قد صحب العلاّمة أبا الفداء إسماعيل بن أحمد النابلسي الدمشقي، وأصهر إليه باثنتين من بناته، توفيت الأولى قبل أن يدخل بها، أما الثانية فقد ولدت له محب الله جد مؤلف كتاب خلاصة الأثر [٣]، الذي كان فقيهاً وقاضي عسكر بدمشق، وقاضي الحج الشامي، وقد توفي سنة ١٠٤٧ هـ/ ١٦٣٧م [٤].

لقد كان محب الدين الحموي محققاً مدققاً عالماً فاضلاً أديباً أريباً، يعرف التركية والفارسية، وقد تفرَّد بين علماء عصره بمعرفة فنون التفسير والفقه والنحو والمعاني والفرائض والحساب والمنطق والحكمة والفنون الغريبة كالزايرجا والرمل وغير ذلك. كما أجاد في فني المنظوم والمنثور [٥].

وكان محب الدين قد سافر إلى حلب ثم إلى القسطنطنية، وأخذ عن جماعة منها، ولزم شيخ الإسلام قاضي القضاة بالشام محمد بن محمد بن إلياس، الشهير بجوي زاده، وعاد في صحبته إلى دمشق ثم سافر معه إلى القدس في مهمته التفتيشية على الكنيسة التي جدد النصارى في القدس شيئاً من بنائها، وذلك سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، ثم سافر معه إلى مصر عندما أعطي قضاءَها [٦]. وقد أقام محب الدين مدة في مصر، والتقى بأقطاب الصوفية والعلماء فيها وأخذ عنهم. وتولَّى هناك قضاء فوّة

---

* مما تجدر الإشارة إليه أن للمحقق اهتماماً كبيراً بنشر نصوص الرحلات المتعلقة ببلاد الشام ومصر خلال الفترة العثمانية، وكان قد نشر الرحلة المعنونة بـ «المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية» لأبي يحي بن أبي الصفا بن أحمد المعروف بابن محاسن (ت ١٠٥٣ هـ/ ١٦٤٣م)، وقد صدرت الطبعة الأولى منها عن دار الآفاق الجديدة، سنة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١.

(١) وردت ترجمة محب الدين الحموي في: الغزي، لطف السمر ١: ١١٤ - ١٢٣؛ الخفاجي، ريحانة الألباء ١: ١٩٤ - ١٩٥؛ المرادي، عرف البشام: ٥١ - ٦١؛ الزركلي، الأعلام ٥: ٢٨٢ كحالة، معجم ٩. ١٣٧.

(٢) انظر: الغزي، لطف السمر ١: ١١٥ - ١١٦؛ المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٣) انظر الغزي، لطف السمر ١: ١١٥؛ المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٢ - ٣٢٤.

(٤) انظر ترجمة محب الله بن محب الدين في خلاصة الأثر ٣: ٣٠٨.

(٥) انظر: الغزي، لطف السمر ١: ١١٩؛ المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٢؛ المرادي، عرف البشام: ٦٠

(٦) انظر: الغزي، لطف السمر ١: ١١٥ - ١١٦؛ المحبي، خلاصة الأثر: ٣٢٤ - ٣٢٥.

وتزمنت والقنا والقصير [٧].

وقد عاد محب الدين إلى الشام، وعمل بالقضاء والفتوى، وتولّى منصب القضاء في حمص، وحصن الأكراد، ومعرَّة النعمان، ومَعَرَّة نسرين، وكلّس، وإعزاز، والقدموس وغيرها [٨].

وقد استقرَّ أخيراً بدمشق، وألقى بها عصا تسياره سنة ٩٩٣ هـ/ ١٥٨٥م، حيث تولَّى القضاء نيابة بالمحكمة الكبرى سنين عديدة، كما تولّى قضاء العسكر بها، وقضاء الركب الشامي. وكانت حصته من الجوالي بعد استقراره في دمشق أربعين عثمانياً [٩].

وقد واظب محب الدين على التدريس والإفادة في المدرسة القصاعية. والمدرسة الناصرية البرانية، والمدرسة الشامية البرانية، والمدرسة السليمية بالصالحية [١٠]. كما أفتى بدمشق بالأمر السلطاني العثماني واشتهرت فتاويه بالآفاق، إذ كان علاَّمة نهاية محققاً مدققاً غواصاً على المسائل، طويل الباع في المنقول، قوي الساعد في المعقول [١١]. وتجدر الإشارة إلى أن محب الدين كان قد بدأ حياته شافعياً، ثم تحوَّل إلى المذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية [١٢].

لقد كان محب الدين، كما ذكرنا فيما تقدَّم، ذا ثقافة متنوعة تجمع بين الفقه والأدب والحكمة وغير ذلك من علوم عصره، وعلى الرغم من انشغاله بالوظائف القضائية والمهام الإدارية الكبيرة والعمل بالتدريس، إلاَّ أنه لم ينقطع أيضاً عن الكتابة والتأليف والمشاركة في الحياة الفكرية في بلاد الشام، وقد ألّف وصنّف عدداً من المؤلفات في موضوعات مختلفة [١٣]. ومن هذه المؤلفات حواشيه على تفسير البيضاوي، وأرجوزة في الفقه سَمَّاها «عمدة الحكام ومرجع القضاة في الأحكام»، ورسالة في الرد على بعض المتعصبين عليه والمعترضين لمذهبه سمَّاها «السهم المعترض في قلب المعترض»، ورسالة ثانية في نفس الموضوع سمَّاها «الرد على من فجر ونبح النجم بالقامة والحجر». ومن مؤلفاته أيضاً شرح لطيف على شواهد الكشَّاف سمَّاه «تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات»، وشرح منظومة ابن الشحنة في المعاني والبيان.

---

(٧) انظر: الغزي، لطف السمر ١: ١١٦؛ المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٦.

(٨) انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٧؛ المرادي، عرف البشام: ٦١

(٩) انظر: المرادي، عرف البشام: ٦٠

(١٠) انظر: المرادي، المصدر السابق نفسه: ٦٠

(١١) انظر: المحبي، خلاصة الأثر ٣: ٣٢٧.

(١٢) انظر: المحبي، المصدر السابق نفسه ٣: ٣٢٧؛ الغزي، لطف السمر: ١٥.

(١٣) حول مؤلفات محب الدين انظر: الغزي: لطف السمر: ١٢١ - ١٢٢؛ المرادي، عرف البشام: ٦١؛ البغدادي، هدية العارفين ٢: ٢٦٧.

وله في أدب الرحلات الرحلة المصرية التي سمّاها « حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية »، وهي موضوع دراستنا هذه، وله الرحلة الروميّة التي سمّاها « بوادي الدموع العَنْدَمية بوادي الديار الرومية » التي دوّن فيها مشاهداته في رحلته إلى استانبول. كذلك له الرحلة التبريزية التي وصف فيها بعث السلطان مراد لوزيره الأعظم عثمان باشا في سنة ٩٩٣ هـ/ ١٥٨٥م لقتال الصفويين، وانتصاره عليهم وفتحه تبريز ووفاته بعد خروجه منها (١٤). أمّا مراسلات محب الدين ونظمه فقد جمع والد المحبي حصة منها فجاءت في نحو أربعين كُرَّاساً (١٥).

وكانت وفاة محب الدين يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ١٠١٦ هـ/ العاشر من شباط ١٦٠٨م، ودفن بالمدفن الكائن قباله الجانب المحاذي لجامع جراح خارج باب الشاغور في دمشق (١٦).

---

(١٤) كان المحبي قد اورد ملخصا لهذه الرحلة في ترجمة السلطان مراد الثالث، انظر : خلاصة الأثر ٤ : ٣٤٤ - ٣٥١.

(١٥) انظر : المحبي، المصدر السابق نفسه ٣ : ٣٢٢.

(١٦) انظر المحبي، المصدر السابق نفسه ٣ : ٣٣٠. وقد جاء في لطف السمر : ودفن بالتربة التي فيها الشيخ إسماعيل، عند رأسه، لصيق تربة باب الصغير، ص : ١٢٣.

٢ - قصة الرحـــلة

كان قاضيَ القضــاة بدمشق محمد بن محمد الشهير بجوي زاده، ينوي السفـر إلى القاهرة، ويطابق سفره إليهـا تاريخ توليه القضـاء فيها منقولا من دمشق، ولعلـه كان قد عهـد اليه أيضاً القيام بجـولة تفتيشية على أحـوال القضاء بالديـار المصرية جملة. ولكن من الثـابت قطعاً أنه كان قـد كلف بمهمة تفتيشية في القـدس الشريف بأمر من السلطة العليـا، وذلك أنه بلغ أسماع تلك السلطـة أن نصارى القدس قـد أحدثـوا تجديداً في كنيستهم الكبرى، وهذا مخالف للشروط الإسـلامية التي جـرى عليها الاتفـاق منذ الفتح، أعني ابقـاء الكنائس على مـا كـانت عليه قبل الفتح ولكن دون بنـاء أية كنيسـة جديدة أو الزيادة في كنيسة قديمة، وإلى ذلك كله فإن زيارة القدس في الطريق إلى القاهرة أمر مألوف محبب إلى النفس، لأنه يتيح للمرء أن يـزور الأقصى والصخرة، وذلك قد يكون من الناحيـة الرسمية - في هذا الموقف - هـدفاً ثانياً، ولكنْ يبـدو من الناحية الشخصية أنـه هو الهدف الأول. أما الرحلة بالنسبة لمحب الدين الحموي فكانت تمثل هذا كله، وتزيد عليه رغبة كامــنة في النقـــلة والسفر لأن «معاقرة الـوطن تعقر الفطن وتحقر من قطن». وكـانت مصاحبته لقاضي القضاة تضفـي على الرحلة عنصراً جديداً من حسن الرفقة، فقد كان الرجل على خـلال سامية، وكان الحموي شديد الإعجاب بتلك الخلال، وبخاصة لطفه، وسلامة طبعه، وإفـراط تواضعه، ولعل اختيار قاضي القضاة له كي يكون رفيقه في الرحلة دليل تفضيل وتعظيم كان يقدرهما محب الدين حق قدرهما.

ابتدأت الرحلـة من دمشق يوم الاثنين ١٨ شـهر شعبان سنة ٩٧٨، وكـان الركب يضم إلى جانب قاضي القضــاة ومحب الدين شخصــاً ثالثا هـو المفتي بدمشق الشـام أحمد بن عبدالله المعـروف بفوري أفندي، إذ كان منتدباً مع قاضي القضاة لمعـاينة الكنيسة المذكورة. وكانت كل الإعدادات تشير إلى أن القدس محطـة مهمة بل ضرورية من محطـات تلك الرحلـة، وكان في الركب أشخـاص آخرون جمعهم وهذا الـوفد «الـرسمي» طريقُ السفر أو كـانوا مصـاحبين لقاضي القضاة ويقـومون بخـدمته، ولكن اختصـاص الثـلاثـة بمهمات محددة جعلهم متفقين في السير معـاً، تقـرب بينهم الألفـة، والمجـال العلمي، والغاية المشتركة، فكانوا يقطعون الطريق بالحديث في الشؤون العلمية والأدبية. وكان المفتي موضع إجلال قاضي القضاة في كل مراحل الرحلة، فقد كان يوالي الرعاية له، ويتخلى له عن مكانه في المحفة. واستغرقهم السير أسبـوعاً كاملاً حتى وصلـوا لوبية (٢٥ شعبان ٩٧٨هـ)، وهناك أصبحوا أربعة إذ انضم اليهم معلـول زاده أفندي، أما طـلائع الركب فقد واصلت السير إلى عيـون التجار مع الأحمال والخيام، وقضى الأصحاب الأربعـة ليلتهم في لوبية يتبـادلون الحديث في موضـوعات كثيرة، وأكثـر مـا يلـذ لهم الحديث عـن علماء الشـــام ومصر. ولفـت انتبـاه القـــاضي (محب الـــدين)

وقاضي القضـاة والمفتي أن معلول زاده، نوه بذكـر أربعة من طلاب العلم بمصر، وشـدد في وجوب الرعاية لهم، وطلب من القاضي أن يكتب أسماءهم فأثار ذلك فضول أصحابه ليتساءلوا: ترى لم هذه التوصيـة؟ ولم استحق هؤلاء الأربعة دون غيرهم التنـويه؟ وفي صباح اليوم التـالي ودعهم معلول زاده. دون أن يحدثنا القاضي محب الدين عن وجهة سفره بالتحديد وعن غايته من ذلك السفر.

وفي أول ليلة من رمضان كان الـركب قد شارف قرية لد، فأمضوا فيهـا يومين للاستراحة، وإحراز بركات الصوم قبل استئناف السفر. وانتهز قاضي القضـاة الفرصة لإعلاء شأن الشهر المبارك في نفوس الناس فأخـذ في اليومين اللذين قضـاهما في لد يمد الموائد، مشتملـة« من النفائس على ما تعجـز عنه الألسن، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلـذ الأعين». وهذا قد يشير إلى استعداد سـابق لمواجهة الشهر بما يتطلبه من مـواد ومن أيد عاملة رافقت قـاضي القضاة في سفرتـه. وفي الثالث من رمضان بدأ التـوجه نحو القـدس الشريف، وفي ما كـان القاضي والمفتي يسيران منفردين تطفـل عليهما شخص من طلبة العلم المصريين، وهـو على حمار (ومن المفارقات أن لقبـه الجمل) وأخذ يشـاركهما في الحديث دون أن يدعى إلى ذلك، مما جعلهما يستثقـلان ظله، ولم يقف الأمر عند هـذا الحد، بل حين بلغت المطارحة بين الـرجلين العالمين ذكـر ما قيل في دمشق من مـدائح، وأفضى الأمر إلى ذكـر «جلق» اعترض ذلك الطالب وزعم أن جلق تلفظ «جُلَّق» - بضم الجيم وفتح اللام - فُزاد إلى ثقله جهلاً، فعارضه القاضي بـالأدلة الـدامغة التي تـرد قـوله، ولما لم ينفع الحوار العلمي في رده إلى جـادة الصواب، اتجه القـاضي والمفتي إلى تبكيته بالسخرية منه، ويدلّ تبـادل القول الذي جرى بين المفتي والقاضي على اتقانهما لفن السخرية وبراعتهما فيه، ولكنهما اضطـرا أن يخففا من حدة لهجتهما وتجريحهما، حين وجدا أن الطالب قد تـأثر ممـا سمعه منهما وانحـرف مزاجه، فغيّرا الموضـوع. وهنا يظهـر على المسرح شخص جـديد لم نصادفه من قبل وهو الشيخ علي المالكي، ولا ندري هل كان في الـرفقة حين ابتدأت الرحلة أو كان في من لقيه المسافـرون وهم ذاهبون من لد إلى القدس. فقـد لجأ القاضي والمفتي إليه ليفسر لهما كيف حمل هذا الطـالب لقب الجمل، وبدلاً من أن يـواجها الطالب بما يهدىء من خـاطره أمعنا في السخـرية، ومهد لهما استعمال لفظي «المقيد والمطلق» (في الحديث عن جمل (إنسـاني وجمل حيواني) إلى إبراز المهارة في التورية، وهي مهارة يستخدمها محب الدين في كل مجال يسمح بذلك لشدة شغفه بإبرازها.

لم يكد يكتمل يوم الثـالث من رمضان حتى كانت الرفقة قد بلغت مـدينة القدس الشريف، فنزل قاضي القضاة في المدرسة القايتبائية، وبـات القاضي والمفتي في رحاب الحرم الشريف، وكان هذا كله تدبيراً مؤقتاً ريثما يجدون منزلاً يأوون اليه. وفي الصباح كتب محب الدين إلى الشيخ عبد النبي بن جماعة يلتمس منـــه منـــزلا، فهيـأ ابـن جماعـــة داراً للمفتي مقـــابل داره، وأنـــزل

القاضي في بيته، وهكذا تباعد ما بين الأصحاب الثلاثة في المسكن، وشغل الشيخ عبد النبي بخدمة قاضي القضاة، إلا أنه لم يقصر في خدمة ضيفه، ومع ذلك فإن محب الدين قد وجد في شخصية الشيخ عبد النبي مظاهر مستطرفة، ولم ينسه إكرامه له أن يتحدث عنها بطريقة نكهة؛ وهذا موقفٌ ثانٍ بعد الموقف من الطالب المصري يكشف عن حقيقة مزاج محب الدين، فهو يرسم صورة «المغفل» للشيخ عبد النبي إذ يقول إنه كان إذا تكلم بالأوليات يلقيها على سامعه كأن المخاطب لا يسمعها إلا لأول مرة، «وكان في واد ونحن في واد، وشتان بين مريد ومراد، وكان إذا أنشد بيتاً من الشعر يخلع أوتاده، وكان يجد لدى المفتي نظيراً مشاركا له في محبة التهكم والسخرية، حتى لقد قال له المفتي معلقاً على تكسير ابن جماعة للشعر عند إنشاده: «إن مولانا الشيخ كان حلف يميناً أن لا ينشد شعراً موزوناً». ومع ذلك فقد كان الشيخ عبد النبي قد أحرز لقب شيخ الإسلام، وبعيداً عن منطقة السخرية والتهكم عرض عليه المفتي تعليقات كان قد وضعها على تفسير البيضاوي حين كان يدرسه للطلاب بدمشق، لعله يسمع فيها رأياً من ابن جماعة قريباً من منطقة المدح والتقريظ، فما كان من الشيخ المذكور إلا أن مدحه بطريق الذم قائلاً: « والله ما كان في ظن الفقير أنكم تحررون مثل هذا التحرير، وما هذا إلا كلام صحيح، وما ذلك منك يا مفتي إلا فهم (إلاّ كلام في ل) مليح »وكأنّ الشيخ عبد النبي كان يرد على المفتي بمثل صاعه، إذ لعله لمح تبادل التهكم به بين المفتي ومحب الدين؛ واستمر تبادل التعليقات اللاذعة بين الشيخ وضيفيه، فإذا وصف الشيخ أحد الناس بدمشق بالفضل والعلم ردًا عليه قائلين «والله يا مولانا لقد استسمنت ذا ورم»، وإذا قال إن العالم الدمشقي مدحه بقصيدة، اتفق الضيفان على القول بأنها لا بد مسروقة.

وكان الشيخ عبد النبي قد حصل في بيته بعض الكتب، فعرض ما يملك منها على ضيفيه، فأعجب المفتي بكتاب عنوانه «الاتقان» لعله كتاب السيوطي في علوم القرآن وأحب أن يحوزه، فرفض الشيخ أن يعطيه إياه، وعندئذ وكل المفتي إلى محب الدين أمر تليينه، فاستطاع هذا بلباقته أن يثنيه عن الرفض، وسمح للمفتي بأخذ الكتاب.

يحتجب ذكر قاضي القضاة في هذا السياق، إذ لعلّه وجد أنه بحاجة إلى راحة في القايتبائية مما ألمَّ به من وعثاء السفر؛ غير أنه في اليوم السابع من رمضان، خفَّ الى المهمة الرئيسية التي حملته إلى القدس، وهي التفتيش على الكنيسة، فذهب إليها بصحبة المفتي والقاضي، واحتشد جمع غفير من العلماء ومشايخ الإسلام ومن أبناء القدس على اختلاف مستوياتهم؛ وأسفر التفتيش عن اكتشاف أمرين: أولهما هدم مسجد قريب من الكنيسة، وإضافة زيادات إلى الكنيسة نفسها، فأمر قاضي القضاة بإعادة المنشأتين إلى حالتهما الأولى، وتولى قاضي القضاة تعزير من خرجوا على ما أكدته العهود؛ وحانت صلاة العصر في ذلك الموضع فصلى قاضي القضاة بالناس إماماً؛ وبعد تسوية ما احتاج إلى تسوية ظل قاضي القضاة وصاحباه في القدس ليقوموا بزيارة مقامات

بعض الأنبياء والصلحاء، وصلّوا جمعة بالصخرة الشريفة وجمعة بالأقصى، وكانت جملة مدة الإقامة بالقدس عشرة أيام.

في اليوم الثالث عشر من رمضان كان لا بد للركب من التفرق، فيعود المفتي إلى دمشق ويودعه صاحباه، ويمضي قاضي القضاة وصاحبه إلى القاهرة، سالكين إليها الطريق إلى خليل الرحمن (١٤ رمضان) لزيارة البلدة وما فيها من مزارات، وبخاصة مقام إبراهيم وقبور أولاده الأنبياء. وأقاما في الخليل يومين توجها بعدها إلى غزة، بعد أن ودعا من صحبهما من علماء القدس الشريف. واستغرقت رحلتهما إلى غزة ليلتين إذ وصلاها في ١٨ رمضان، ولا يذكر المحب شيئاً عن الحياة في كل مدينة أو قرية حلَّ بها، ولا يصف معالمها الكبيرة، وذلك ما يمنح رحلته هدفاً محدداً، وهو ذِكْرُ من يلقاه من العلماء. ولهذا لم يتوقف في غزة عند أية ظاهرة فيها، وإنما اهتم بلقائه لعالمها- دون أن يذكر اسمه - واستمع اليه يشكو خلوَّ غزة من العلماء الفضلاء، وعن جهل أهلها لمكانة العالم؛ وعجب القاضي مما سمع، لا لأنه كان يتوقع أن يجد في غزة جمهرة من العلماء، بل لأن الشكوى لا ضرورة لها، وباب الهجرة مفتوح، وفي الهجرة مراغم كثيرةٌ وسعة، فكان رد عالم غزة أن التعلق بالوطن يحول دون ذلك، وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن حين يكون وطنا.

كان هذا العالم الغزيّ قد زار مدينة حماة وتعرف إلى بعض أهلها، فوجد فرصة سانحة أن يستعيد ذكرى تلك الزيارة أمام أحد أبنائها (محب الدين)، فأخذ يتفنن في الحديث عن أشواقه إليها وعن جمالها، ويسائل محب الدين عن ما انتهى اليه حالة من عرفهم من أبنائها، فيثير شوقه إلى بلده، وإلى ذكرياته فيه. وكان من أبرز من توقف عند ذكرهم من الحمويين الشيخ محمد بن علوان اعترافاً بفصاحته وعلمه وفضله، واسترجع العالم الغزي ذكر ما شاهده من مياهها وجناتها، وبساتينها ومتنزهاتها، وما قاله الشعراء من شعر في وصف معالمها الجميلة. وسأله عن قصر ابن حجة، فكان جواب محب الدين «إن تلك المنازل والأوطان قد تعرضت لها أيدي الحدثان، وأدخلتها في خبر كان». وبعد الحديث عن حماة، تحول إلى ذكر دمشق الشام، وكان كل ذلك يهيج شوق القاضي إلى الربوع التي ألفها، ولذلك سأل صاحبه الغزي أن يترفق في بعث الذكريات من مراقدها، وهو إنسان - على رغم من أسفاره - مولع بحب الوطن، شديد التأثر، يمتلكه الحنين إلى المعاهد الأولى.

لم تطل إقامة الرجلين في غزة بل غادراها في العشرين من رمضان، فمرَّا بقطية (قطيا) من عمل بلبيس الشرقية، فاستقبلهم قاضيها تقي الدين بن معروف وبصحبته عدد من قضاة الديار المصرية، وكان جوي زاده على معرفة سابقة بقاضي قطية، حتى أنه حين وصله الاستدعاء لتولي القضاء بالقاهرة كتب إلى الباشا بمصر يسأله أن يكون ابن معروف نائبه على قضاء القاهرة إلى حين وصوله، وباتا بمنزلها ذلك ليلة واحدة، فارقاه بعدها إلى خمية الخانقاه (في ٢٥ رمضان)، فخرج لاستقبالهم

قاضيها أحمد بن شعبان، ثم أخذ المستقبلون يقدمون أفواجاً تلو أفواج. وأشرف قاضي القضاة وركبه على مدينة القاهـرة يوم ٢٦ رمضان؛ وخرج القضاة والعلماء وأرباب الدولـة يستقبلون قاضي القضاة، ودخل القاهرة التي ستصبح مركز عمله في جمع حافل.

عند هـذا الحد يفاجئنـا محب الدين بسبـب جديـد استدعى سفـره إلى القاهـرة، فقد كـان قاضي القضاة متوجهاً لتسلم منصبه، أما هو فقـد كان يعلق أهمية كبيرة على لقاء «سيدي البكري»؛ إن هذا السبب الجديد قد يجعل لقـاء العلماء من أهم أسباب الرحلة، ولكنَّ تميزَ البكري وتميـزَ منزلته في نفس محب الدين، منذ أن سمع باسم «السيد»، قد يجعل لقـاءه غاية في ذاتها. فقد أشرب الشوق إلى رؤيته منذ الصغر، وكلما تتابعت الأيام زادته شوقا. ولهذا كان يوطِّنُ النفس على أن لا يقدم شيئاً على لقائه، فلا يلبث حيث ينزل إلا قليلاً حتى يخف إلى زيارته. ولكن من المفـاجآت أن يجد البكري قد جاء هو نفسه للتسليم على قاضي القضـاة. فلما قضى حق التسليم، بهذا اللقاء الاتفاقي، كـان لا بد لقاضي القضاة وصديقـه أن يقوما بأداء «السلام الشافي»، وذلك بأداء زيـارة واجبة عامدة، فتوجهـا ثاني يوم حلولهما القاهرة للسلام عليه في منزله، وأعجب محب الدين بلطفه ومعارفه الشاملة، وسموقه على من حولـه من علماء القاهـرة: «وفي الحقيقة فما علماء هذه الـديار إلا كالنجـوم وهو كـالشمس... حاز قصبات السبق في علم التفسير، وفاق الأوائل والأواخر بحسن التحرير فيه والتحبير». وأهم من ذلك من ناحية شخصية أن اللقاء بين السيد البكري ومحب الدين قد أثبت المحبة الأكيدة؛ وحين وصلت اليه من حماة كميـة من الفستق المقشر قام بإهـدائها إليـه، وتردد إلى زيارتـه، وجرت بينـه وبين السيد مكاتبات أثبـت بعضها في هذه الرحلـة وفي هذه الرسائل بعض القضـايا المتصلة بالقضـاء وأحواله، ولكنهـا في معظمهـا مجال لإظهـار القـدرة على حـوك العبـارة الجميلـة التي تعتمـد كثيراً على السجع والإشارات والإيماءات، فهي معرض لتفنن محب الدين في الأسلـوب، وأسلوبه غير خارج عن طبيعة عصره، ولكنه يتميز بالإرهاف والخفة والملاحة، وهو يـدل على أن ذاكرة محب الدين كانت تدخر قدراً كبيراً من الشعر الذي ينتمي إلى مختلف العصور، وعلى سيطرةِ محفوظه من الآيات القرآنية على قلمه.

وإذا كان السيد البكري قد ملك على محب الدين إعجابه، فإن القاهرة لم تنل الكثير بل القليل من ذلك الإعجاب: كان دائماً يضع موضع المقـابلة ما أحبه في دمشق وما ألفه فيهـا من معاهد وما رآه في القاهرة، فلا تستطيع الثانية أن تنافس الأولى في نفسه، ولهذا وجد أن ما يتحدث به الناس عن محاسن القاهرة إنما هو من قبيل المبالغة، وهم يذكرون من متنزهاتها «بولاق» وليس في بولاق سوى غزارة الماء، فأمـا الخضرة فـلا وجـود لها هنـالك، وأين ذلـك من متنـزهـات دمشق؟ وحين وجـد أن ذلك يمثل مـوضـوعـاً للمفـاضلـة بين المدينتين كتب بـانطبـاعـاتـه رسـالـة إلى الشيخ إسماعيل النـابلسي،

ولا يذكر كيف اطلع السيد البكري على تلك الرسالة وتحين الفرصة ليعاتبه على ما قد يعده هوىً متحيزاً. فقال للشيخ نور الدين العسيلي وهم معا ذات يوم «أن الشيخ محب الدين من أكبر المتعصبين على مصرنا». ومع أن محب الدين لم بشر إلا أن هذا العتاب كان صادراً عن جرح عميق في نفس البكري، بل حمله على محمل الصداقة، فإن لقاءً بين البكري وقاضي القضاة بحضور محب الدين قد كشف عما هو أعمق من ذلك. فقد قام قاضي القضاة بنوع من الوساطة يؤكد فيها محبة محب الدين للبكري ويقول له: «هذا الشيخ محب الدين ما هو إلا عبد جنابكم الخطير». ولعل مثل هذا الكلام لم يصدر إلا بعد أن لحق العلاقة بين محب الدين والبكري شيء من غشاوة مكدرة؛ إذ بعد هذا التوكيد من قاضي القضاة اضطر محب الدين أن يوكد الحديث من جديد عن المحبة والعبودية، كأنه كان يحاول أن يزيل ما لعله علق بنفس البكري مما استشفه من تعصب محب الدين لدمشق على القاهرة.

بعد ذلك تتحول الرحلة إلى ذكر أهم علماء الديار المصرية، فيترجم محب الدين لعشرة منهم، وهذه الترجمات لإيجازها وقيامها على المبالغة في الثناء والسجع لا تقدم شيئا كثيراً، ولكن وقفته هذه ترتبط بوصفه لمن لقيه من العلماء، وتجعل من الرحلة مادة مسعفة على دراسة الأحوال العلمية في الشام والقاهرة يومئذ. ومن اللافت للنظر أنه بعد تراجم العلماء العشرة، قال في من تبقى من علماء تلك المدينة: «وأما بقية الأفاضل بمصر فإنهم لرثاثة حالهم ليسوا بمشتهرين، وإن مشى أحدهم بين الناس لا يكاد يبين، مطروحون في زوايا الخمول، ولا يترفل في المناصب إلا الجهول»، وإنما حاول محب الدين أن يحصي الفضلاء من العلماء دون الخاملين، ليوصي بهم قاضي القضاة. وفي الحقيقة ليتخذهم قاضي القضاة أعواناً لنفسه على الخير، وينفذ من خلالهم إلى معرفة المجتمع القاهري. ذلك لأن جوي زاده كان قد أضمر القيام بحملة إصلاحية، يقتفي فيها خطى والده، يوم كان والده قاضياً لتلك المدينة نفسها. ووجهت أول حملة قادها في هذا السبيل إلى القضاء على كل حانة في القاهرة ومصر العتيقة، وبولاق، فكسرت دنان الخمر في كل مكان هنالك وعطلت بيوتها أو خربت. واتجه بهمته نحو المساجد والأوقاف، فرمم ما تهدم منها، ومنع الإماء المسلمات من أن يُبَعْنَ لغير المسلمين.

ومنذ أن نزل محب الدين القاهرة مع قاضي القضاة لم يفته أن يقوم بزيارة مشاهد من بالقاهرة من الصحابة والأئمة والأولياء الكرام، فزار قبر عقبة بن عامر الجهني الصحابي ومقام الإمام الشافعي وقبر علي بن الحسن بن زين العابدين وقبور بعض العلماء مثل القاضي زكريا الأنصاري والملك مغوش التونسي ومقام الليث بن سعد ومقام السيدة نفيسه ومقام عمر بن الفارض وغير ذلك من المزارات. ولكن السعي إلى الزيارة والبركة لا يمكن أن يشغل كل وقت محب الدين. ولم يفت هذا قاضي القضاة، ولهذا سعى إلى إيجاد وظيفة له، وعقد أول أسبابها حين زكاه كثيراً عند إسكندر باشا

حاكم القاهرة، فأخذ محب الدين يتردد إلى زيارة الحاكم ويتعرف إلى البطانة التي تلتف حوله، ويقابل له بعض كتب التفسير ويصححها ويحررها. وحين أصبح منصب القضاء في تزمنت خالياً، رشَّحَهُ له الباشا المذكور، فسافر إلى تلك البلدة وتولى القضاء فيها، ولكنه لم يلبث إلا قليلا حتى أعطي القضاء لشخص آخر، فغادر تزمنت عائداً إلى القاهرة، حزيناً على فقدان منصبه، وزاد حزنه حين بلغه لدى عودته إلى القاهرة وفاة المفتي فوري أفندي، فكان لفقده أبلغ الأثر في نفسه، ولم تكد تطمئن نفسه إلى أن الموت حكم مقضي حتى فقد اسكندر باشا. وجاء الوزير سنان باشا ليخلفه في منصبه، وصادف أن توفي قاضي فوة، فسعى له قاضي القضاة عند الوالي الجديد ليوليه قضاءها ففعل، فغادر القاهرة ذاهباً إلى فوة ومعه صاحبه الشيخ علي المالكي. ودخل البلدة عشية يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩هـ؛ وبعد مدة قصيرة جاءته المراسيم بتوليته قضاء قنا والقصير، ولصاحبه الشيخ علي بأن يعود للتدريس بالمدرسة السرياقوسية في منصب أعلى من ذي قبل.

هكذا بعد مضي ما يقارب من عام أصبح محب الدين ذا سلطات قضائية واسعة، وتولى التفتيش على محاكم شرعية كثيرة في منطقته، وكان أثناء الجولات التفتيشية تلك يجتمع إلى القضاة الشرعيين ويجري الحوار بينهم في مسائل تعرض لهم، وكان هو يكتب بها يجري إلى قاضي القضاة بالقاهرة كتابات مطولة. وتدل هذه الكتب التي عرض جانبا منها في كتاب الرحلة على أن الفساد كان قد تسلل إلى مؤسسة القضاء ومؤسسة الوقف. فقد اضطر أن يعزل لدى قدومه إلى فوة نائبين كان يتظلم منهما الناس، فاصطدم لذلك بقاضي رشيد الذي كان «لاستعماله الكيف بلا متى ولا أين، لا يرى دائماً إلا وهو مفتوح الفم مضموم العين»، وهاجمه ذلك القاضي قائلا إن تولية سنان باشا له غير صحيحة، لأن سنان باشا وال، وتوليه القضاء يجب أن تتمَّ من قبل الخليفة نفسه. أما الجهل بصحة اللغة وتفشي الأخطاء المضحكة فقد جعل نموذجه قاضي دمنهور وقاضي الفيوم: وبخاصة الثاني منهما، فإنه يجيء في كتابته بالعجب العجاب. ولست أريد أن أطيل في هذه الناحية، ولكني لا أملك إلا أن أتساءل كما قد يتساءل كل من يقرأ صفحات هذه الرحلة: ألا نجد في الحط على قضاة البلدان التي عرفها محب الدين في مصر، شيئا من التعصب؟ وهل يمكن لقائل أن يقول ان محب الدين يرفع من قيمة نفسه على حساب غيره؟ ثم ألا يشبه هذا موقفه من القاهرة؟ والجواب على هذه الأسئلة وأمثالها أن لا نأخذ موقف محب الدين من القاهرة مدخلا لغيره، فتلك قضية عاطفية، ولكن العلاقة بالقضاة علاقة عمل، ولو أن محب الدين حمل على كل من لقيه من القضاة لحملنا على الظن بأنه أتخذ ذلك مدخلا لتزكية نفسه؛ ولكنه قد مدح قضاة بأعيانهم مثلما ذم آخرين، وحسبك ثناؤه على قاضي اسكندرية وقاضي منوف. ثم إنه استشهد على أحكامه بشواهد يقينية، مما يجعل أحكامه قائمة على أسس قوية.

لم تطل إقامة محب الدين في فوة، إذ كانت إقامته حسب قوله - ضِعْفَ مقامِ موسى (ثمانين ليلة)، وغادرها حين عين لها قاض آخر، عائداً إلى القاهرة، وكان مما يعزيه عن فقدان منصبه أن أهل البلد كانوا راضين عن سيرته. وكتبوا له محضراً بذلك، ذكروا فيه أنه لم يلِ بلدهم قاض مثله؛ وفي الثامن عشر من شعبان، أي في مثل يوم خروجه من الشام عاد إلى القاهرة، وكان ذلك يعني أنه قد مضى عليه عام كامل، منذ أن فارق دمشق. وعادت اليه الذكريات: كيف مدحه شعراء الشام، وهم يودعونه، مثل الشيخ محمد الفزاري. ووصل القاهرة هذه المرة عائداً من فوة في أواخر شعبان، لا يفكر في شيء سوى لقاء صديقه وراعيه قاضي القضاة، وأطلعه على محضر أهل فوة، فما كان من قاضي القضاة إلا أن اصطحبه في اليوم التالي إلى سنان باشا، حاملاً المحضر معه ليطلعه عليه.

وأثناء مقامه في القاهرة وردته رسائل شعرية ونثرية من أصدقائه بدمشق، وهو يعرضها في الرحلة، وكأنه دون ان يقصد يقارن بين مستوى البلاغة في بلده، ومستوى البلاغة بين بعض قضاة البلاد المصرية. ولكنه ما كاد يستريح في القاهرة على مدى اسبوعين من شهر رمضان حتى ندبه الباشا إلى الإشراف على عمارة قلعة بالقصير، فسافر اليها عن طريق قنا، وتولى ما عهد به اليه.

هنا حدث ما لم يكن في الحسبان إذ نقل قاضي القضاة إلى قضاء مدينة بروسة، ومحب الدين غائب في بلاد الصعيد، ولم يعرف بانتقال راعيه وصديقه، ولهذا لم يتمكن من القيام بواجب توديعه؛ صحيح أن قاضي القضاة لم ينسه لدى انتقاله بل بعث اليه سلاماً مع قاض جديد معين لجرجا (لدجرجا). ولكن هذا الوفاء وحده، دع عنك سابق الرعاية واللطف، كان كافياً ليشعر القاضي محب الدين بأنه يعاني زلزالاً نفسياً قضى على طمأنينة نفسه واستقراره «ثم إن هذا العبد (يعني نفسه) بَعدَ بُعْدِ مولانا قاضي القضاة ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وعاين أن روحه من جسده سلبت، وشرب بعد بينه كأس فراق ذهب بلبه كلَّ مذهب، وسقاه النوى سوط عذاب طعم الصبرِ أطيب منه وأعذب...»، لهذا فإنه حين جاءه الأمر - وهو على هذه الحال - بتعيينه قاضيا بأسنا وابريم لم يَرْحُبْ صدراً بهذا التعيين بل واجهه برسالة إلى قاضي القضاة يطلب اليه فيها أن يتوسط له عند ذوي الشأن لعله يعود إلى أرض الوطن، وكتب رسالةً أخرى بالمعنى نفسه إلى قاضي العساكر، يعبر فيها عن وحشته وهو بأقصى الصعيد بعيداً عن أهله، لا أنيس له، وقد طال عليه الاغتراب. وجاءه الفرح أو ما هو قريب منه حين ورد اليه الخبر في أوائل ذي القعدة ٩٨٠ هـ بأنه قد عين قاضياً بقضاء قدموس، فتوجه إلى القاهرة، وهو يشعر بالوحشة، ويمَّمَ جناب القاضي بها رمضان أفندي الشهير بنظام زاده ليسلم عليه، وهو يتمثل بقول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساءَ الحيِّ غيرَ نسائها

وأقام بقية العام في القاهرة وهو مشغول النفس بالرحيل، وحين وجد أن العودة إلى القدموس برّاً تحتاج إلى انتظار طويل، عزم - بعد تردد يتلوه استخارة - على السفر بحراً؛ فانطلق إلى دمياط، وأقام فيها عشرة أيام ينتظر مركباً؛ حتى أتيح له السفر؛ فأشرف على طرابلس في ٢٠ المحرم ٩٨١هـ، وأعجبته طرابلس حين نزلها ومشى في شوارعها، ولقي فيها محمد بن الفرا الدمشقي، وكان هذا الرجل قد أتى صحبة الوالد من حماة إلى القدموس، ثم دخل طرابلس للنزهة، فكانت فرصة مواتية لمحب الدين كي يسأله عن الأهل والأحباب؛ وفي ١٣ صفر وصل إلى القدموس، ولكن شوقه إلى حماة لرؤية والديه كان يُقضُّ مضجعه ويحول دون استقراره، ولهذا حين واتت الأسباب عاد إلى بلده فوصله في غرة ربيع الثاني وقد طالت غيبته عنه حتى تجاوزت ثلاث سنين؛ ومن العجيب أن ظمأه إلى حماة وجد رِيّاً في بضعة أيام، ثم غادرها الى دمشق ودخلها في الربيع الثاني، وعاد إلى المناطق التي ألفها والناس الذين أحبهم، ولكن كان شيء جديد لم يدرك محب الدين أبعاده قد تلبس به؛ كانت الرحلة - على ما تثير من مواجد وأشواق - بل لعلها لما تثير من تلك المواجد والأشواق، قد غلبت على نفسه، فأصبحت «جرثومة» السفر تنغص لديه حب الاستقرار وتقاومه. فعاد إلى القدموس ليقوم بأداء واجبه هنالك؛ وظل فيها يفصل الأحكام حتى أوائل شعبان.

قبل ذلك بما يقارب خمسة أشهر وصل اليه خبر مفاده أن محيي الدين معلول زاده تولى قضاء العسكر، فداخله السرور لأنه عرف هذا الرجل في أوائل رحلته إذ لقيه عند لوبية، وأمل على يديه خيراً، وأخذ يمنّي نفسه بأن تلك المعرفة ستكفل له ترقية في المنصب، فكتب اليه يذكّره بنفسه، ولكن ما كان أشدَّ إخفاقه حين أرسل قاضي العسكر أحد الجهلة ليتولى منصب محب الدين؛ فلم يحرم من نيلِ منصبٍ رفيع وحسب، بل حرم من منصبه المتواضع في قضاء القدموس، وكأنما كان تذكيره لمعلول زاده بنفسه استثارةً لِمَوْجَدَةٍ كان يحملها الرجل عليه. ترى ما الذي جعله يقف منه هذا الموقف؟ لعلَّ إفراطه في الولاءِ لقاضي القضاة جوي زاده هو السبب في ذلك.

وهكذا غادر القدموس على الرغم من تأسف أهلها على فراقه، ويمم صوب دمشق ليسلم ما كان جمعه من مال العوارض إلى الدفتر دار في تلك المدينة، وأقام فيها مدة معزولاً، واجتمع عليه أمران: وطأة العزل والشغف بالسفر؛ ولكن إلى أين يذهب؟ إن استانبول تحقق له الأمرين معاً، فقد تيسر الحصول على وظيفة كما أنها قد ترضي لديه رغبة ملحة في تغيير «المناخ» الجغرافي؛ وحين قرر الذهاب إلى استانبول كان ينشىء رحلة جديدة وينشىء بها مرحلة أخرى في حياته.

إن رحلة محب الدين الحموي من الشام إلى مصر، رحلة في مسافة مكانية قصيرة مألوفة، ليس فيها غرائب ولا مغامرات ولا حديث عن مجتمعات جديدة وعادات لافتة للنظر؛ ولهذا لم يحتلَّ المكان فيها حيزا مهماً؛ كما لم يحتلَّ فيها الناس إلا الحيز الخاص بالمؤلف؛ إنها قد تكون

فصلاً في سيرة ذاتية، ومن هـذه الجهة تستمد قيمتها في التعريف بالمؤلف، وأصحـابه، وما تجدد من معارفه، ومن مراسلاته، زمن القضايا العالقة باهتمامه؛ ومن هذه الناحية تتميز بالإمتاع؛ كما أنها تؤلف فصـلاً في أدب ذلك العصر، في صورته الشعريـة والنثرية، ولهذا فهي تتمتع بالقـاء الضوء على المستوى الفني لذلك الأدب.

٣ - النسخ المعتمدة في التحقيق

وفقت الى الحصول على خمس نسخ من مخطوطات هذه الرحلة، وإليك وصف كل نسخة منها:

(١) مخطوطة مكتبة جامعة كيمبرج المصنفة تحت رقم: QQ129، (ويرمز اليها بالحرف ك) وهذه النسخة تشمل رحلتي الحموي الأولى وهي موضع دراستنا هنا وتحمل عنوان: حادي الأظعان النجدية إلى الديـار المصرية. والثانية بعنوان: بوادي الـدموع العندمية بوادي الديـار الرومية. وتقع الرحلـة الأولى في سبع وثلاثين ورقة، وهي من أكمل النسخ الموجودة لـدينا، نقلت عن نسخة أقدم حيث جاء على صفحة عنوان المخطوط مـا يلي « هذه رحلتي [كذا] مولانا القاضي محب الدين المسماة الأولى بحادي الأظعان النجدية الى الديـار المصرية، والثانية بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الروميـة رحمه الله تعالى رحمة واسعة أمين » ويدون الناسخ على الصفحة الأولى أبيات الشعـر التـالية التي قالهـا صاحب الرحلـة على هذا النحو للمرحـوم القاضي محب الدين المذكور:

حكت قـامتي لامـاً وقـامـة منيتي ... حكت الفـا بـالـوصـل قلت مسـائلا
إذا اجتمعـت لا مـي مـع الألـف التـي ... حكتك قـوامـا مـا يصير فقـال لا

وله رحمه الله تعالى:

لما منعـت عن الجنـاب السـامـي ... من عـرض أحـوالي وذكـر مـرامي
أضحـت مـراد اتي إلى أعتـابـه ... تنهـى اليـه بـألسنِ الأقـلام

وخط النسخ واضح ودقيق، ومعـدل عدد السطـور في الصفحة الـواحدة واحـد وعشرون سطـراً، بمعدل إحـدى عشرة كلمة في السطـر الواحـد؛ وطول السطـر الواحـد حوالي تسعـة سنتمترات، وطـول الكتـابة في الصفحـة الـواحـدة حوالي ستـة عشر سنتيمتراً، وعلى أطـراف الصفحة الواحدة كثير من التـوضيحات وهي قسمان: القسم الأكبر بخط الناسخ نفسه وهي في الغالب النصوص التي اقتبس منها الشيخ الحموي أو أشار اليها من آيات قرآنية، أو أبيات شعر. والقسم الثـاني بخط أحدث وجـاءت على شكل شروح لغويـة، كما جاء لـدى الناسخ الأول إيراد أبيات من الشعر استعار منها صاحب الرحلة أو أشار اليها.

(٢) نسخة مكتبة عاطف أفندي باسطنبول وتحمل رقم ٢٠٣٠ ، وقد جاءت شاملة رحلة الحموي الثانية : بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الرومية ، وتقع في ثمان وثلاثين ورقة ، وهي مكتوبة بخط جميل جداً ، وكما يبدو من العنوان فأنها نسخة خزائنية فريدة ، كتبها المؤلف بنفسه أو قرئت عليه ، اذ جاء على صفحة العنوان بعد إثبات عنواني الرحلتين ما يلي : « إنشاء فقير عفو ربه المنير محب الدين بن تقي الدين الحموي عامله الله بلطفه الخفي آمين » .

ومسطرة هذه النسخة كما يلي ، تضمنت الصفحة الواحدة تسعة عشر سطرا بمعدل إحدى عشرة كلمة في السطر الواحد ، وطول السطر الواحد ستة سنتيمترات ونصف ، وطول الصفحة المنسوخة حوالي ثلاثة عشر سنتيمتراً ونصف . وفي هوامشها العديد من النصوص بخط الناسخ جاءت موضحة لما احتوى النص من اقتباسات سواء أكانت آيات قرآنية أو أحاديث نبوية ، ولكن بالدرجة الأولى ما جاء اقتباسا من الأشعار. وبجانب هذه الحواشي ملاحظات بخط يختلف عن خط الأصل ، ووضع تعليقات أو ترجيحات لوجوه قراءة بعض الكلمات التي جاءت في النص ، ولكن هذه التعليقات جاءت على شكل «لعله» ثم يتبع ذلك بالتعليق . والملاحظ أن هذه النسخة ناقصة من آخرها بمقدار ورقة وربع مقارنة بنسخة مكتبة جامعة كيمبرج .

وعلى صفحة العنوان لهذه المخطوطة تمليكات منها : « من كتب العبد الفقير إلى ربه الغني المعين أحمد بن محمد المدعو بذهبي غفر لهما ، ثم انتقل إلى ملك أفقر الورى إليه تعالى روحي المدرس كافة (؟) الله له بحلول سنة ١٥٢ »

هذا كتاب لو يباع بوزنه   تبراً لكان البايع المغبونا

مجموعة صغيرة فيها لطائف كبيرة كثيرة لله در مؤلفها المرحوم» . وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (ع) . وتعد أكمل النسخ في الدقة والضبط ، بعد نسخة جامعة كيمبرج .

(٣) نسخة الظاهرية رقم ٦٩٨٥ (ورمزها ظ) وقد جاء عنوانها كما يلي : هذه رحلة مولانا القاضي محب الدين الحموي المسماة بحادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية ، رحمه الله تعالى آمين » وهي مصنفة في مكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٦٩٨٥ مجموع ، وهي نسخة كاملة ومكتوبة بخط مقروء وواضح ، وتتضمن الصفحة الواحدة واحدا وعشرين سطرا ، طول السطر الواحد حوالي تسعة ونصف سم ، وطول الصفحة المنسوخة ستة عشر سم . وهذه النسخة خالية من الهوامش ، لأن ما جاء هامشاً في غيرها قد أدرج في المتن .

(٤) نسخة مكتبة الظاهرية رقم ٨٣٨٧ (ورمزها ر) وتقع في اثنتين وخمسين ورقة مكتوبة بخط عادي متأخر فيه عدم دقة ، وتحمل على حوافها بعض الملاحظات وتعاني من كثرة النقص مقارنة بالنسخ الثلاث السابقة ، وكل صفحة تحوي ١٩ سطرا ومعدل عدد الكلمات في السطر الواحد سبع كلمات ، وجاء عنوان المخطوط كما يلي : « هذه رحلة القاضي محب الدين مع جوي زاده الى الديار المصرية » ، ووصفها المصنف بأنها ناقصة وعلى صفحة تمليك جاء فيه : « في نوبة أفقر الورى إليه من عباده محمد عـــلاء الدين ابن الشيخ محمد عابدين عفى عنهما آمين ، ١٥ صفر ١٣٦٥ » .

(٥) نسخة ييل ٨١ ورقة (ورمزها : ل) جاء في آخرها : تمت هذه الرحلة للعلامة المحقق الفهامة المدقق الرحلة محب الدين الحماتي عليه رحمة مولاه في الماضي والآتي ، على يد كاتبها ذي اليد الجانية من المعاصي بل جانية الراجي به ولوالديه ولمشايخه ومحبيه ولمن أحسن ابتغاء مرضاة مولاه إليه عفو الذنوب والمساوي ، أحمد بن عبدالله بن عبدالله بن سلامة المؤذن الرفعي الأدكاوي وذلك في يوم السبت المبارك خامس عشر ذي الحجة الحرام ختام سنة ١١٩٨ أحسن الله تمامها وبارك فيما بقي من لياليها وأيامها وأسأل الله بالتمام أن يرزقنا جميعا أحسن الختام ويحشرنا مع البررة الكرام في دار السلام آمين . وصلى الله على سيدنا محمد طه الأمين إلى يوم الدين .
وتقع في ٩٠ ورقة ، وفي كل صفحة منها ٢١ سطرا ومعدل الكلمات في السطر الواحد ثماني كلمات ، وخطها خط يد ضعيفة ، وهو واضح أقرب الى النسخ ، وقد خلت من التعليقات التي زودت بها هوامش النسخ الأخرى .

ويبدو ان نسخة ييل (ل) ونسخة الظاهرية رقم ٦٩٨٥ (ظ) تنتميان الى أصل واحد وتشاركهما في كثير من سماتها نسخة الظاهرية رقم ٨٣٨٧ (ر) ؛ وتتقارب نسخة (ك = كيمبرج) و نسخة (ع = عاطف أفندي) ، وهكذا تشتمل النسخ على أسرتين بينهما تفاوت واضح ، ولكن لا يمكن الاستغناء عن أية واحدة منها .

بيان بالرموز :

ك = نسخة جامعة كيمبرج

ع = عاطف افندي

ر = الظاهرية رقم ٨٣٨٧

ظ = الظاهرية رقم ٦٩٨٥

ل = ييل

٤ - منهج التحقيق

لم أحاول أن أتخذ إحـدى النسخ الخمس التي اعتمدتها في التحقيق أُمّاً، ولكن ما تتمتع بـه نسخة عاطف أفندي من دقة جعلتني أميل الى الأخذ بقراءاتها، وقد أفـدت كثيراً من التعليقات التي وردت على هوامش النسخ، ذلك لأن المؤلف يتميز بكثرة تضمينه للشعـر والآيات القرانية في نثره، ولهذا كان لا بد من ربـط هذه الاقتباسـات بأصولها. وقـد عنيت عنايـة خاصـة بالتعـريف بالأعـلام الواردة في الرحلة، وبأسماء الأمـاكن، وراعيت في تعريف الأماكن ووصف حـالها في القرن السادس عشر ؛ أي تاريخ كتابة الرحلـة نفسها. وكانت دفاتر الطابو العثمانية مصدراً مهماً في هـذه الناحية، وأفردت هذه التعليقـات وحدهـا في آخر الكتـاب لئـلا أثقل بها الحواشي، وقصرت الحواشي على الشروح اللغويـة وتخريج الشعر والإشارة إلى الاقتباسات الكثيرة واختلاف القراءات في النسخ. وحاولت تخريج الشعر حيثما وجدت ذلك ممكنـاً، وشرح بعض الألفاظ التي تتطلب شرحاً، وبخـاصة أن المؤلف يميل كثيراً إلى استعمال التورية واستخدام ضروب البديع. والمؤلف ذو قدرة متميزة في النحو، ولذلك فإن ما لديه مما يشذ عن المألوف - وهو قليل - أبقيتـه على حاله؛ لكنني تصرفت ببعض صور الإملاء التي لا تتفق مع الإمـلاء الحديث فغيرتها دون أن أشير الى ذلك في الحواشي، وتتفـاوت بعض النسخ فتـزيـد مثـلا إحدى النسخ كلمـة «تعالى» بعد اسم الجلالـة، ولا تثبتها أخـرى، وقد اخترت أكمل التعبيرين دون الإشارة الى ذلك في الحواشي أيضاً. كما أن بعض النسخ تورد كلمـة «شعر» توطئة لبيت أو أبيات وهي كلمة مستغنى عنها، ولذلك حذفتها حيث وردت.

ويطيب لي في ختـام هذه المقـدمة أن أتقـدَّم بالشكـر الجزيل إلي الاستاذ الـدكتور إحسـان عبّاس الذي قرأ نص هذه الرحلة قراءة ناقدة، فأفادني بمقترحاته السديدة وملحوظاته القيمة. كما يطيب لي أن أتوجه بأوفر الشكر إلى السيد نوفان رجا الحمود والدكتور سمير الدروبي اللذين أعانـاني على استكمال المصادر الضروريـة في التحقيق، ومدَّ يـد العون في أكثـر من مرحلـة من مراحل العمل.

ويسعدني أن أنـوّه بالمسـاعدة التـي قدّمهـا الدكتـور فايـز القيسي، أثناء انشغـالي بالأعمال الإدارية، فقد تابع العمل وراجع التجارب المطبعية. ويسرني أن أتقدَّم بالشكر إلى السيد نصار محمد منصور الذي عهدت إليه بتصميم عنوان هذه الرحلة.

ولا يفوتني أن أسجل الشكـر الجزيل لعمادة البحث العلمي والدراسـات العليا في جـامعة مؤتة التي تبنّت نشر هذا العمل على حساب الجامعة.

وأسأل الله تعالى أن ينفعنـا بهذا العمل، ويلهمنا التـوفيق والسداد في خدمـة التراث العربي الإسلامي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

عمان في ٢٢ صفر ١٤١٤ هـ الموافق ١١ آب ١٩٩٣م

محمد عدنان البخيت

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي[1]

ان أحلى ما تنطق بـه ألسنة الأقلام، وأولى مـا تتحلّى به أسماع ذوي الأفهام، حمد الله سبحـانه على نعمـه المتوافـرة، وشكر واهب المنن على آلائه المتـوالية المتـواترة، والصـلاة والسلام على سيـدنا محمـد المخصوص بـالكرامة، وعلى آلـه ومن صحبه في السّفر والإقـامة، والتـابعين لهم بأحسن سبيل وأقوم طريق، ومن تبعهم باحسان وتصديق، ما حنَّ غريبٌ الى أوطانه، وجذبته دواعي أشواقه[2] إلى أحبابه وإخوانه[3] آمين.

وبعد: فقـد قصدت أن أثبت في هذه الأوراق رحلتي الى الـديار المصرية، صحبة قـاضي قضاتها صاحب النفـس القدسية، والخصـالِ الملكية، شيخ مشـايخ الإسلام، وملك العلماء الأعـلام، فخر الموالي المدققين، وصدر الأفاضل المحققين، شمس الملة والدنيا والدين، الشهير بجوي زاده (1) أعطاه الله تعـالى في الـدارين مـراده، ولا زال بابُـهُ الشريفُ محطَّ رحـالِ الأفـاضل، وعتبتـه مُلْتَثَمَ[4] شفاه الأماثل. وذلك أني لما امتزجت بخدمته الشريفة امتزاج الماء بالراح، وتقويت بعنايته تقوّي الأشباح[5] بالأرواح، وما ذلك الاّ أنّ لحمة الأدب لما ألّفت شملي به ألفة النّسب، تعلقت برفيع جنابه لخصائص آدابه[6] وتشرفت بصحبته وخـدمة أعتابه، مع علمي بما قيـل: ان السفر ينتج الظفر، ومعاقـرة الوطن تَعْقِـرُ الفطن، وتَحْقِـرُ من قَطَن، فما خبر كنـه حـالي كـان يمينـاً لشمالي، وصحبني معـه الى المحميّـة القاهرة، وأسدى اليَّ ما أعجزُ عن شكره من نعمه المتوافرة: (الطويل)

أذاقنـي العيشَ الـــــذي أنـــا أبتغـي ... وبلّغنـي الحظَّ الـــــذي أتمنـــــاهُ
وعلّمنـــي كيـف المدائح فعلُـــــــه ... ومـــا كنـتُ أدري مـــا المدائحُ لـــولاه

وشـــــــاركني في المرتـع والمربـع، وأحلّنـي محلَّ الأنملـــــــةِ من الاصبـع

وحقّـق آمـــــالي وقـــــرّب مجلسي ... وأرشفنـي كأسَ النـــوالِ مـــروّقـــا
وقيّـــدني بـــالمكـــرمـــات، أمـــا تـــرى ... لســاني لـه بـالشكـر[7] أصبح مطلقـــا

---

(١) وبه ثقتي: سقطت من ظ وجاء بدلها « رب يسر » في ر، « به الاعانة » في ل

(٢) ظ: الشوق.

(٣) ر: وخلانه

(٤) ر: ملثم، ل: تلثم

(٥) الاشباح: الأجسام

(٦) زاد في ع « وتقويت بعنايته» وقد مرّت

(٧) ع: بالحمد

وكان في ذلك[١] الأثناء قد اتصل بالمسامع الشريفة، وأنهيَ الى المواقف العالية[٢] المنيفة، أن طائفة النصارى(2) [٣]قد جدّدوا شيئاً في الكنيسة الكائنة بالقدس الشريف، ووردت الأوامر الكريمة لمولانا المشار اليه بالخطاب لجنابه المنيف، ولمولانا فخر الموالي الكرام فوري أفندي(3) المفتي بدمشق الشام، أن يتوجّها للنظر في ذلك بنفسهما الكريمة، ويفتشا على الكنيسة المذكورة وما زاده الكفار على أبنيتها القديمة. فاقتضى الحال أيضاً توجّه مولانا المفتي المشار اليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، للتفتيش على الكنيسة المذكورة والكشف عليها، امتثالاً للأوامر الشريفةِ المشار اليها.

وكان ابتداء سفرنا المبارك من دمشق الشام، يوم الاثنين[٤] ثامن عشر شهر شعبان سنة ثمان وسبعين وتسعمائة[٥] أحسن الله تعالى لها الختام. وفارقنا تلك الأوطان، ولكن بالأبدان، وخلّفنا القلبَ مرتهناً عند من فارقناه فيها من أفاضل الاخوان، ولله درّ القائل: (الكامل)

لي في الشآم بقيةٌ خلَّفتها ... أودعتها يوم الفراقِ مُوَدِّعي
وأظنها لا بل يقيناً أنها ... قلبي فإني لا أرى قلبي معي

ثم سرنا في ظل هذا المولى المشار اليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، منشرحي الصدور مصادفين من برّه ولطفه[٦] ما يوجب غايةَ السرور، مع أصحاب كالنجوم الزواهر، بل أحباب كالبدور الأزاهر، منتظمين كنجوم الجوزاء، والجملة المتناسبة الأجزاء: (البسيط)

ما في الصّحاب وقد بانت حُمُولهمُ ... إلا محبٌ له في الركبِ محبوبُ
كأنما يوسفٌ في كلِّ مرحلةٍ ... والحيّ في كلِّ بيتٍ فيه[٧] يعقوب

وما كنا نقطع وادياً، ولا نشهد نادياً، الاّ ونتجاذب طُرَفَ[٨] الأناشيد، ونتوارد أطراف الأسانيد: (الطويل)

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت[٩] بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ[١٠]

---

(١) ع: تلك
(٢) العالية: سقطت من ر
(٣) في ظ: من النصارى
(٤) زاد في ظ: المبارك
(٥) ل: سنة ٩٧٨ هـ (مكتوبة بالارقام)
(٦) ولطفه: سقطت من ر
(٧) ر: منه
(٨) ع: طراف
(٩) ر ل ظ: وسارت (وهو خطأ)
(١٠) من أبيات تنسب الى كثير ونصيب وابن الطثرية وغيرهم، انظر ديوان كثير: ٥٢٦ وفيه تخريجها

وكان مولانا بلّغه الله تعالى غاية[١] الآمال، يُجِلُّ حضرةَ المفتي المشار اليه غايةَ الاجلال، وفي غالب الطريق يجلسه في المحفّـةِ مكانه، وكان لـه عنده من زيادة التعظيم مكانـة، على مقتضى ما جبله الله تعالى عليـه من لطف الأخلاق، وسلامـة الطبع التي والله ما اتَّصف بها[٢] أحدٌ سواه على الاطلاق، وتهذيبِ نفسٍ شريفة ولكن أيَّ تهذيب، وإفراط تواضع وخلق عجيب: (الكامل)

زادوه تعظيماً فـــــــزاد[٣] تـــواضعـــاً	الله أكبرُ هكـــــذا البشرُ الســـــوي[٤]

ولعمري هو المعنيّ بقول الشاعر: (الطويل)

إمـــــامٌ رَسَتْ للعلـمِ في أرضِ صَـــــدْرِهِ	جبـالٌ جبـالُ الأرضِ في جنبهـا[٥] قُـفُّ[٦]
تفكـــــــرُهُ علـمٌ ومنطقُــــــــهُ حُكْـمُ	وبـــاطِنُــه دينٌ وظـــاهـــره ظَـــرْفُ

وكان قائماً بلوازم المشـار إليه ومحمله وكلفه، وخَرْجِهِ في الذهـابِ والاياب وسائرِ مَصْرَفه، حتى أرسل إليه عند إيابه إلى دمشق من العين قدراً جزيلاً، وكان له في هذه السفرة نعم الخليل وأكْرِمْ به خليلاً.

ثم لما كان خـامس عشري[٧] الشهر المذكـور وصلنا الى المنـزل المعروف[٨] بلوبية(4) فصادفنا فخر الموالي معلول زاده أفندي(5) دامت معاليه، وصل الى المكان المذكور ونـزل فيه، فاستقبل مولانا قاضي القضاة المشـار اليه، ولمّا تلاقيـا حيّا كلّ صـاحبه بالسـلام عرض قصة الشـوق عليه. وكـانت سوابقُ الركبِ تقـدمت إلى المنزل المعروفِ بعيـون التجار (6) مع الأحمال والخيـام المتعلقة بمـولانا ذي القـدر الأجل، واقتضى الحال النزول في هذا المكان وقلنا لأمر ما قال الشـاعر: (الكامل)

---

(١) ك: غاية سائر

(٢) هنا حدث انقطاع في ر

(٣) ظ: وزاد

(٤) ثالث أبيـات ثلاثة لزين الـدين عمر بن الوردي (٧٤٩/ ١٣٤٨) في مـدح علاء الدين بن اسماعيل القونـوي، وردت في بغية الوعاة ٢: ١٥٠:

ان رمـت تـــــذكـــــر في زمـــــانك عـــــالماً	متـــواضعـــاً فـــابـــدأ بـــذكـــر القـــونـــوي
وليَ القضـــــاءَ وصــــار شيـخ شيـــــوخهـم	والقـالـب منــــــه على التصـــــوف منطـــــري
زادوه تعظيما فـــــــزاد تـــــــواضعـــــــاً	الله اكبر هكـــــــذا البشر الســـــــوي

(٥) ظ: في حينها

(٦) القف: ما ارتفع من الارض وغلظ ولم يبلغ ان يكون جبلاً

(٧) ل: خامس عشر

(٨) المعروف: سقطت من ظ

عرف المحلّ فبات دون المنزل [١]

وكان تأخر صحبة مولانا من قسم الخيام بيت التركمان الذي اصطنعه في دمشق لنفسه، فنزل تلك الليلة فيه وأتى[٢] المولى المشار إليه لاغتنام مصاحبته ولـذيذ أنسه، وكان ثالثهما حضرة المفتي حفظ الله تعـالى جنابـه الخطير، ورابعهم خـادمهم الحقير. ومضت تلك الليلـة بلطيف[٣] المحادثة والمسامرة، وكان الغالب في المحلِّ ذكر أحوالِ علماءِ الشام والقاهرة.

ثم أوصى مولانا المولى [٤] المشار إليه، في شأن أربعة أنفار من طلبة العلم بمصر[٥] وأكد في ذلك عليـه، بحيث أمـر العبد بكتـابـة أسمائهم لئـلا ينسـاهـم، فعجبنا مـن تخصيصهم بالـذكـر دون مَنْ عـداهم. وصـار عنـدنـا تلفّتٌ الى المذكـورين لنعلمَ المزيَّـةَ التي استحقـوا بها هـذا[٦] التخصيص، واستوجبوا بسببها الافرادَ بالذكرِ والتنصيص، حتى طابقنا مسمّياتهم على أسمائهم الأعلام، وعرفناهم بالكُنْهِ فاذا هم متساوو الأقدام.

ثم لما بـدت غرّة الفجـر ولاح، وأسفر ضـوء الصباح، تأهب كلّ لمقـدمات الـرحيل وتلافيهـا[٧] فقصـد السير إلى الجهـة التـي هـو مُـوليهـا، فسـار مـولانـا قـاضي القضـاة أسبـغ الله تعـالى نعمـه عليه، لتوديع[٨] ذلك المولى الى المكـان الذي استقبله إليـه. فلما انقضى التـوديع وعزمـا على الترحال، انطلقنا ذاتَ اليمين وانطلقَ ذات الشمال. وفي آخر نهار السبت سلخ شهر [٩] شعبان بدت لنا لد(7)، فلما قاربنا وصولها، ووافينا دخولها، ونحن سائرون في خدمة المشار اليه مشاهدون [١٠] وجهه الأغرَّ، اذ شاهدنا ايضاً هلالَ شهرِ رمضان المعظم فصدق ما قيل: (المتقارب)

---

(١) بهامش ع ك

كـانت بُلَهْنِيَـةُ الشبيبـةِ سكـرةً	فصحـوتُ واستـأنفـتُ سيرةَ مُجْمِـل
وقعـدت ارتقبُ الفنـاءَ كـراكـبٍ	عـرف المحلّ فبـات دون المنـزل

وفي ك: شدة (والأصوب سكرة) وفي ع: وجلست

(٢) ك ل: وللى

(٣) ل: بلطف

(٤) المولى: سقطت من ع

(٥) بمصر: سقطت من ل

(٦) هذا: سقطت من ر

(٧) ع: وتلاقيها

(٨) بهامش ع بخط مختلف: لعله لتشييع

(٩) شهر: سقطت من ظ

(١٠) ع ل: شاهدين

* فكانا هلالين عند النظر[١] *

فعند ذلك نوينا للرحمن صوماً[٢]، وأقمنا بها يوماً ويوماً[٣]، قضاءً لحقّ ما وجب، من مَظِنَّةِ المشقة والتعب.

ثم ان مولانا كان يعتني[٤] في هذا الشهر الشريف[٥] لمدّ الموائد، ويجريها على ما هو المعهود منه من أجمل[٦] العوائد، مشتملةً من النفائس على ما تعجز عن وصفه اللسن، وفيها ما تشتهي النفس وتلذ الأعين[٧]: (الطويل)

لجودك يا قاضي القضاة مزيّةٌ ... على السّحب لا تخفى على من له لُبُّ

فأوّل جود الغيث قطرٌ مبدّدٌ ... وغيثُ نداكَ الجمِّ أوّلُهُ سَكْبُ[٨]

ومن حينئذ توارد طلبة العلم المصريون لاستقبال مولانا، وأتوا الى خدمته الشريفة رجالاً وركباناً، وصاروا من بعد ذلك يتعاقبون، وأقبلوا «من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» (الانبياء : ٩٦).

ثم لما كان اليومُ المسفرُ فَجْرُه، عن ثالث رمضان المعظّم قدره، قصدنا مشهد سيدنا زكريا ويحيى(8) عليهما السلام بنيّةِ الزيارة، ومشهد معاذ (9) وبقية الأماكن المشهورة الانارة، ودعونا الله تعالى بأدعية مقبولة، وبالاجابة ان شاء الله تعالى موصولة. ثم وجهنا[٩] الوجهَ إلى القدس الشريف لاستباق الخيرات، وللقيام بحقّ ما يتعيّن في تلك الأماكن الشريفة من الزيارات. فلما أكدنا بلا استدراك أنّ المزار قريب[١٠]، انفرد العبد مع حضرة مولانا المفتي من غير رقيب، وسرنا مصاحبي السرور والاستبشار، متمثلين بقول القائل : (الوافر)

---

(١) بهامش ع ك :

رأيت الهلالَ ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر

فهذا يغيب وذا لا يغيب ... وما من يغيب كما من حضر

(٢) اشار الى الآية : ٢٦ من سورة مريم

(٣) هو مأخوذ من قول أبي نواس :

اقمنا به يوماً ويوماً وثالثاً ... ويوماً له يوم الترحُّلِ خامس

(٤) ل : يعتني

(٥) الشريف : زيادة من ع

(٦) ل : أشرف

(٧) ع : وتقر الأعين. والعبارة كلها مأخوذة من قوله تعالى في وصف الجنة «وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين» (الزخرف : ٧١)

(٨) بهامش ك : أقول ذكرت هنا قول بعضهم وأجاد :

قالوا الهلال وعندي في منادمتي ... بدرٌ يوجهه على بدرِ السما زادا

هذا يزيد حياتي كلّما نقصتْ ... وذاك يُنْقِصُ عمري كلما زادا

(٩) ل : توجهنا

(١٠) هنا بهامش ك : اشارة الى قوله : (والبيت للمعري)

فيا دارها بالخيفِ ان مزارها ... قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

وأبـــرحُ مـــا يكـــون الشـــوق يـــومـــاً إذا دنتِ الـــديـــارُ من الـــديـــار[١]

فبينما نحن نتوارد طُرَفَ الأخبار، ونتطارحُ مُلَحَ الأسمار، اذ[٢] تطفل شخص من طلبة العلم المصريين راكبٌ حماره[٣] يلقَّبُ بالجمل، وأدخل نفسه في البين واعترض اعتراض الجُعَل[٤]، قصد أن يدلي دلوه في هـذه الحيـاض، ويفصلَ بين وَصْلِ مـا نتطارحـه بجملِ الاعتراض، وكنّـا نستثقل ظلّـه، ونستبردُ طلَّه، لانه إذا أورد كلاماً غير مستقيم، ما نراه إلاّ في ليلِ الوهم يهيم(٥) فمسنا من شكاسة مصاحبته ما أورث العناء، وكاد[٦] لسـانُ الحالِ بل لسـانُ المقـالِ أن[٧] يقـولَ له ارحلْ لا تقيمـن عندنـا[٨]. فاستطـرد الكلام الى مـدح دمشق الشام فـأوردنا شيئـاً من الشواهـدِ على لطفها وتفضيلهـا على سائر الأمصار، وأدرنا في ذلك مـا بيننا مُدامَ رائقِ الأشعار. فأورد الفقير في أثناء المصـاحبة، وأنشد في ذلك المقام بالمناسبـة، الأبياتَ المشهورة في مدحها ومدح جامعها، والمقـاطيعَ الواردةَ في معنى ذلك المطربةَ لسامعها، إلى أن انتهى إلى قول ابن نباته(10) [٩] : (الطويل)

أرى الحسنَ مجمـــوعـــاً بجـــامع جِلَّقٍ وفي صـــــدرهِ معنى الملاحـــــةِ مشروحُ
فـــان يتغـــالى بـــالجوامع[١٠] معشرٌ فقلْ لهمُ بـــابُ الـــزيـــارة[١١] مفتـــوح

فتعرض الرجلُ المصريُّ للاعتراض ونصب نفسه غرضـاً للسهام، وقال يا مولانا ما جلق(11) الا بضمّ الجيم وفتح اللام. فقلـت له: ليس الأمر كما وهمت، والصـوابُ خلاف مـا فهمت، لأن علماء اللغة قرروا، ونقلـوا في كتبهم وحرَّروا، أن في مادة الجيم والـلام والقاف تكون الجيم واللام مكسـورتين بلا خلاف. فكان يتكلّم بما لا يشفي الغليل، وطلب من الفقير بعد نقله كلامَ أهلِ اللغةِ الدليل، وقال: هذا خلافُ المشهور[١٢] في ألسنةِ الأنام، فقلت له: نعم هومن أغلاط[١٣] مثلك من العوام. ثم إنه

---

(١) ع: اذا دنت الخيام من الخيام، والبيت بقافية الراء ورد في معجم الأدباء ٦: ٣٢ (ط. دار المأمون، القاهرة) ونهاية الأرب للنويري ٣: ٨٨ ونسبه الثعالبي في التمثيل والمحاضرة: ٩٠ لاسحاق الموصلي، وصدره: وكلّ مسافرٍ يزدادُ شوقاً...

(٢) اذ: سقطت من ع

(٣) راكب حماره: سقط من ظ

(٤) ع: الجمل، والجعل دويبة سوداء تشبه الجعران أو هما شيء واحد، يطلق الجعل مجازاً على اللجوج

(٥) بهامش ك: مأخوذ من قوله

أتظـــن ليلى أننـــي أبغـــي بها بـــدلاً أراهـــا في الضـــلال تهيمُ

(٦) ك: وكـان

(٧) ان: سقطت من ل

(٨) بهامش ك: تمامه: والا فكنْ في السرِّ والجهرِ مسلما

(٩) ع: قول القائل، والبيتان في ديوان ابن نباته المصري: ١١٦

(١٠) الديوان: في الجوامع

(١١) الديوان: ونسخة ظ: الزيادة (وهي هنا أصوب)

(١٢) ك: مشهور

(١٣) ل: أغاليط

نزل عن حماره وساقه أمامه، وحاول أن يصحح بالغلط كلامه، فقصد مولانا المفتي[١] إلى الهزء به والتبكيت، وأراد الزامه باللطف وحسن التنكيت، وقال له يا شيخ ليس الأمر كذلك، وان أردت نظير غلطك فانظر إلى حمارك[٢]، فانّ ماذكره مولانا كلامٌ مُسَلَّم ليس عليه غبار، وما مثل غلطك الا كمثل الحمار، فانّ العوامّ تضمُّ الحاء منه وهي مكسورة، وأمثال ذلك كثير من الاغلاط[٣] المشهورة، فاستحسن الفقير منه هذا المثال، وقال له[٤] : لله درّك يا مولاي من مفضال، وفهم وألمح اليه من قصد الازدواج، وطفح علينا السرورُ والابتهاج، فلما لاحَظْنَا تأثرَ[٥] المذكورِ من ضرب مولانا له بهذا المثل، وانحرف مزاجُهُ من ايرادِهِ وانفعل، طفقنا نخاطبه مخاطبة المُثلا، وقلنا له تسليةً : ان الله لا يستحي أن يضربَ مثلا[٦] وكانت أخذت منّا السُّرى[٧] فلوينا[٨] الأعنَّةَ لقصد الاستراحة، وتلطفنا مع المذكور وعاملناه معاملة أهلِ السماحة، وأوينا[٩] إلى أشجارٍ ذاتِ ظلّ ظليل، وتلونا عَسى أن يهدينا ربنا إلى سواء السبيل[١٠]، واستمرَّ بنا الحالُ مع المذكور برهةً من الزمان قعوداً، وشرعنا في التئام ما حصل من جراحات تلك السهام خشية أن يكون حقوداً، وتبينا الكلام عما كنا فيه من المصاحبة، وقصدنا الى تلوين الخطاب ارادة للملاطفة معه والمداعبة، إذ بمثل ذلك تُطْوَى شُقَّةُ الأسفار، وتزولُ موجبات الأتعاب والأكدار. ثم التفتنا الى صاحبنا الشيخ الفاضل مجموع الفضائل الشيخ علي المالكي(12) بلطف خطاب وتنبيه، وقلنا له ان هذا الشيخ بلديّك وصاحب البيت أدرى بالذي فيه. فبيّن لنا البتة مناسبةَ وضع هذا القلب، وقصَّ علينا في وقتنا هذا ما نقضي منه بالعجب[١١]، فقال : يا موالينا لا تحكموا عليّ بالتزام[١٢] ما لا يلزم، ولا تكلّفوني إلى أن أخبر بما لا أعلم، على أن بعض الاعلام قد يغفل حال الوضع عن مناسباتها وينبغي أن تلحق

---

(١) المفتي : سقطت من ل

(٢) من الآية ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ (البقرة : ٢٥٩)

(٣) ل : الأغاليط

(٤) له : سقطت من ك ل

(٥) ك ظ : تأثير

(٦) من الآية القرآنية ﴿ ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (البقرة : ٢٦)

(٧) قوله أخذت من السرى اشارة الى بيت لأبي تمام، ولهذا جاء البيتان التاليان بهامش ك :

يقول في قُومَسٍ قومي وقد أخذت	منا السرى وخطى المهريّه القُودِ
امطلعَ الشمسِ تبغي أن تؤمَّ بنا	فقلت كلا ولكن مطلعَ الجود

(٨) ع وهامش ك : ولوينا

(٩) ل : وتولينا

(١٠) ناظر الى الآية القرآنية ﴿ ولما توجّه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ (القصص : ٢٢)

(١١) ل : العجب (وهو أدق)

(١٢) ظ : بلزوم

هذه القضية [١] بأخواتها، وما هذه بأول قارورةٍ كُسِرَتْ في الإسلام، فان لهذا الاسم مسمًّى أيضاً بدمشق الشام، فقلنا له: يا مولانا ان ما ذكرته كلام محقّق، ولكن قد يفرق بينهما بأن ذاك مقيّد وهذا مطلق. فلما رأينا في لفظ المقيد[٢] من حسن التوجيه، ما لا يخفى على الفاضل النبيه، كتب الفقير في معنى ذلك حسب ما اقتضاه الحال، ثلاثة أبيات فقال: (الكامل)

قسم على الجملِ الذي في جِلَّقٍ	جملاً بمصرَ وفي الحقيقة يفرقُ
ان الذي في الشام[٣] جاء مقيَّدا	بالطبلِ اذ يُدْعَى وهذا مطلق
واللفظ أَقوى[٤] ما يكون اذا أتى	فيه الخصوصُ لنكتة تتحقَّقُ

ولعل هذا الحال، وقع في المحلّ حيث وجب له عدم الانتقال، وهذا هو الحال المقيّد لصاحبه بلا إشكال، سبحان الله، والشيء بالشيء يذكر[٥].

وقد ذكرتنا هذه الواقعة أن بعض المصريين المترددين الى القسطنطينية كان يجيء لمصاحبة الفقير في الديار المصرية[٦] فانجرَّ الكلام يوماً واستطرد القولُ الى المقيد المذكور، فذكر لنا[٧] أن بعض الظرفاء المصريين لقيه هناك فلقّبه بأبي الهول. فتعجبت من مناسبة[٨] هذه النكتة[٩] غاية العجب، وقلت: ما أشبه مناسبتها له بمناسبة ذلك اللقب. ووجدت مطابقة[١٠] هذا اللفظ للموضوع له أوضح من الفَلَق، وموافقاً له موافقة الشنّ للطَّبَق[١١]، فكتب الفقير في هذا المعنى مقطوعين في الحال، أحبَّ العبدُ أن يتصلا بهذا المقال، وهما[١٢]: (الوافر)

---

(١) ل: المسئلة

(٢) ل: لفظ المطلق المقيد

(٣) ل: بالشام

(٤) ع ل: أفيد

(٥) سبحان الله ... يذكر سقطت من ل. وازاءه بهامش ك: هذا أيضاً قطعة من بيت:

يذكرني البدرَ المنيرَ جبينُها — فأذكره والشيءُ بالشيء يُذْكَرُ

(٦) ل: للديار المصرية

(٧) لنا: من ظ وحدها

(٨) ل: المناسبة

(٩) ل: الكنية

(١٠) مطابقة: سقطت من ل

(١١) من قول الشاعر:

واذا الجاهل لاقى جاهلا — فهناكم وافق الشنُّ الطبقْ

وأصله المثل (وافق شن طبقة) انظر: مجمع الأمثال للميداني (تحقيق محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، ١٩٧٢) ص: ٤١٥، وجمهرة الأمثال للعسكري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة، ١٩٦٤) ٢: ٣٣٦

(١٢) وهما: سقطت من ظ

رآه البعضُ من ظرفاءِ مصرٍ وهال القومَ منظرُهُ الغريبُ
وقالوا انه شكلٌ مَهُولٌ فكنَّوهُ أبو الهولِ العجيبُ

ثم اشرفنا على القدس الشريف آخر ذلك النهار، ودخلنا بعد غروب شمسه. واستقرَّ [١] منزل مولانا قاضي القضاة متَّعَ الله تعالى بوجوده [٢] الشريف، وآنسه بالمدرسة المعمورة، وبالقايتبائية (13) مشهورة [٣]، اسكن الله بانيها في الجنان أعلى القصور، وشكر سعيه وضاعف لـه الأجور. ولعمري لم تشهد العينُ أحسن من بنائها ولا أعلى، ولم يتمتع النظر بألطف من رونقها ولا أحلى، فكأنها من حسنها وبهائها بنيت قواعدها على الأفلاك، لا سيما اذا وافتها الشمسُ بحسنِ المقابلة من المشرق يكاد سنا برقها يذهبُ بالأبصار [٤] وفي الحقيقة من نظر حقَّ النظر علم أن هذا الحسن انما اكتسبته من عطف الجوار.

ثم بيتنا ليلةَ الوصولِ مع حضرة المفتي في أرض الحرم الشريف ورحبته الفسيحة، لنتدارك أماكنَ للنزول [٥] في الصبيحة، فعند ذلك كتب الفقير لمولانا شيخ الاسلام الشيخ عبد النبي بن جماعة(14)، بعض أبيات يلتمس منه منزلا في تلك الساعة، صورتها [٦]: (البسيط)

يا شيخَ الإسلام من عمَّت فضائلُهُ كلَّ الأنامِ وخصَّتهم فواضلُه
من فاقَ في العلم أهلَ العصرِ قاطبةً فليس يوجَدُ فيهم من يطاولُه [٧]
أتى المحبُّ الى عالي مقامكم الـ ـسّامي المكان الذي ما خاب آمله
وليس يدري به يا سيدي سكناً كلا ولا مسكناً يؤويه داخله
وصار [٨] كالحوتِ في البيدا فهل سببٌ [٩] في مسكن فخيار البرِّ عاجله
لا زال بابكم السامي مَحَطَّ رحا ل العلم بالسّعد معموراً منازله

ثم ان الشيخ المشار اليه أعلى الله تعالى رفيعَ مقداره، هيأَ لمولانا المفتي داراً تجاه داره، وأنزل الفقيرَ في مكانٍ داخل منزله الرفيع المقام، وعاملنا بأنواع الكرم وصنوف الاحترام، واغتنمنا لذيذَ مصاحبته مدةَ الاقامة، فجزاه الله تعالى خيراً وشكر إنعامه. وكان الشيخ المشار اليه كثيرَ الترددِ إلى خدمة قاضي القضاة مولانا، ويكثر من مصاحبته والتحدث معه أحياناً، وكانت تتسع دائرة الكلام في حضرته العليّة فينجرُّ الكلام إلى المصاحبة العلمية، فكان مولانا الشيخ المشار إليه إذا سئل أو أجاب، يبدي

---

(١) ل : واستتر
(٢) ل: نفع . . . بوده
(٣) وبالقايتبائية مشهورة : سقطت من ل
(٤) ناظر الى قوله تعالى ﴿ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ (النور: ٤٣)
(٥) ل : النزول
(٦) صورتها : سقطت من ل، ومن نسخة ر
(٧) في حاشية ع : من يعادله
(٨) ظ : فصار
(٩) سبب : سقطت من س ع

العجب العجاب[١] ، واذا تكلم بالأوليات من بعض الفنون يوردها على وجه التفهيم، ويلقيها إلقاء معتقدٍ أن المخاطَبَ خالي البال عنها بقلب سليم[٢] وكان في وادٍ ونحن في واد، وشتّان بين مُريدٍ ومراد.

وكان اذا أنشد بيتاً من الشعر يخلعُ أوتاده، ويورده كيف ما اتفق حسبما اقتضاه طبعُهُ وأراده، وما كان مولانا الأفندي يحملُ ذلك منه الا على صفاء المزاج، ويحصل لنا من ذلك غاية الحظ والابتهاج. فاتفق في غضون بعض المصاحبات، وخلال جُمَلٍ[٣] من المخاطبات، أن مولانا الأفندي أسبغ الله تعالى نعمه عليه، تلطَّفَ بحسن التفات من مقام التكلم الى خطاب هذا العبد وأسرّ اليه، أنَّ مولانا الشيخ كان حَلَفَ يميناً، لا ينشد[٤] شعراً موزوناً، ولا يتكلم كلاماً الاّ ملحوناً، ثم استشعر منه أن[٥] لحن أطراف الكلام، فأحجمنا عنه احجام المرتاب، ونقلنا الخطاب من باب الى باب. وكنا نقضي غالبَ الليالي مع مولانا الشيخ ومصاحبته، ونحصل على كمال الانشراح من صفاء مزاجه وحسن ملاطفته[٦]. وكان مولانا المفتي – عامله الله تعالى بلطفه السماويّ – عرض عليه في بعض الليالي ما حرره على أماكن من تفسير البيضاوي (15) ، في محلّ درسه العام، الذي كان أقرأه في دمشق[٧] الشام، وحضر فيه علماؤها الفخام لينظر تحريره وصنيعه، ويطّلع على ما أودعه[٨] فيه من النكات البديعة. وكان المشار اليه يترقَّب أن ينتقل من تصور كلامه، الى التصديق[٩] ورفعة[١٠] مقامه، فيبدي ما يقتضيه الحال من الثناء اللائق بمثله، ويمدحه بمدحٍ هو من أهله، وينعت فضائله الجسام، بنعوتٍ تليقُ بالمقام، فلم يمدحه بما يناسبه من جلالة القدر ورفعة الشان،

---

(١) ل : أبدى العجاب

(٢) بقلب سليم، انظر الصافات : ٨٤ والشعراء : ٨١

(٣) ل : جلّ

(٤) ك : أن لا ينشدن

(٥) ل : أنه

(٦) فاتفق في غضون . . . وحسن ملاطفته، سقطت هذه الفقرة من ع

(٧) ظ ك ع : بدمشق

(٨) ل : على ما أورده

(٩) يشير الى قول المناطقة وغيرهم : الكلام تصور وتصديق

(١٠) ع : برفعه

بل كان ما أعرب عنه من أفعالِ المدح مـن باب كان، حيث لم يَزِدْ على أن قال له : والله[١] ما كان في ظنِّ الفقير، أنكم تحرّرون مثلَ هـذا التحريـر، وما هذا الا كـلامٌ صحيح، وما ذلك منك يـا مفتي إلاّ فهم[٢] مليح، ثم تحوّلَ الكلامُ من مقام الى مقام. فجرى في المجلس ذكر شخص ينتسب الى العلم في دمشق الشام[٣]، فبالغ مولانا الشيخ في الثناءِ عليه، وأسند اليه من الفضلِ ما يكثر على أمثاله إسنادُهُ إليه، فقلنا له[٤] : واللهِ يا مولانـا لقد استسمنتَ ذا ورم ونفخت في غير ضَرَم[٥]، فعند ذلك أنشدنا قصيدة قال ان المذكـور بهذه القصيدة امتدحه، فألفينـاها عن بلاغةٍ زائدةٍ مُفْصحـة. فقلنا : والله يا مولانا لقد حمّلتم المذكور حملاً[٦] فوق ما يطيق، وإن كنتم بنيتم فضلَهُ على هذه القصيدةِ فهو بناءٌ على خلافِ التحقيق، فيميناً بالبراعـةِ وما نصعتْ[٧]، وبالبراعـةِ وما صَنَعَتْ، أنّـا قطّ لم نعهـد المذكور يدّعي شعـراً ولا يذكر، ولا نعـرفه الاّ يُحْدِثُ من فيـه ولا يَشْعُرُ[٨]. فيا ضيعَـةَ الأدب، ومن أين هذا الإخاء والنسب؟ والحاصل يا مولانا أن سرقةَ هذه القصيدة ظاهرة، كالشمسِ في الشهرةِ والانارة[٩]. ومثل هـذه القصيدة لا تُسْرَقُ الا ان سُرِقَتِ المنـارة. وليت شعري، أين هـذا من قول الشـاعر[١٠] : (البسيط)

وإنما الشعـــــرُ لـبُّ المرءِ يعـــــرضـــــه	على المجـــالسِ ان كَيْســـاً وان حُمُقَـــا
وان أَصـــــدقَ بيتٍ[١١] أنت قـــائِلُـــهُ	بيتٌ يقـــال اذا أنشـــدتَـــهُ صـــدقـــا

على أن القرائن متوفـرةٌ على سرقتها : منها بلاغتها، وفصـاحة أبياتها، ومنها أن المذكـور لم يُعْهَد له قصيدة غيرها حتى تُشْفَعَ بأخواتها. وقد قضينا يا مـولانا العجب ممن له هذه الفصاحة الزائدة، كيف لم يَتَّفِقْ له في عمره الاّ نظمُ هذه القصيدة الواحـدة، وقد ذكرتنا هذه القضية[١٢] قضيةً جرَتْ بين ابن أبي حفصـــة وعلي بـن الجهم(16) وهي قضيـــة مشهـــورة، وعنـــد أربـــاب الأدب غيرمنكورة،

---

(١) والله : لم ترد في ل

(٢) ل : إلاّ كلام

(٣) ع ل : بدمشق الشام

(٤) لـه : سقطت من ل

(٥) هذا مقتبس من رسالة ابن زيدون الهزلية، انظر : سرح العيون لابن نباتة المصري (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة، ١٩٦٤) : ٣٣٢ وذلك كله ينظر الى بيت المتنبي :

أعيذها نظـراتٍ مـنكَ صـــادقةً ان تحسبَ الشحمَ في من شحمُهُ ورمْ

ديوانه، شرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (القاهرة ١٩٧١) ٣ : ٣٣٦.

(٦) حملا : سقطت من ل

(٧) بهامش لـ : نصع الأمر نصوعاً اتضح (قاموس)

(٨) يهجوه هجاء مقذعاً، وذلك بتحميل اللفظة معنيين، مثل يُحْدِثُ، ولا يشعر (لا يحس، ولا يعمل شعراً).

(٩) ع : والاستنارة

(١٠) الشعر لحسان بن ثابت، انظر ديوانه، تحقيق وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية (لندن ١٩٧١) ١ : ٤٣٠ والبكري سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز اليمني، (القاهرة ١٩٤٦) ٢ : ٢٥٢.

(١١) الديوان : وان أشعر

(١٢) ع : الواقعة، ل : القصيدة

وقول ابن أبي حفصة[1] : (الطويل)

لعمرك ان الجهمَ ما كان شاعراً   وهذا عليٌّ إبنُهُ يدّعي الشعرا
ولكنْ أبي قد كان جاراً لأمه   فلما ادَّعى في الشعر أوهمني أمرا

هذا ثم[2] ان مولانا الشيخ عرض ما عنده من الأسفار، على مولانا المفتي رفع الله تعالى له المقدار، فاختار من بينها كتاب الاتقان(17) ، وطلبه ليطالعه برهةً من الزمان، فوقع عنده الموقع وأعجبه، وأسرَّ في نفسه أن يستوهبه، فَعَرَّض بذلك[3] لمولانا الشيخ في بعض المجالس(٤) فلم[5]، وعجبنا حيث كان ذلك[6] خلاف المعهود[7] عنه من الكرم، ثم ان مولانا المشار اليه شغف بهذا الكتاب، وقال: لا سبيل الى عَوْدِهِ بسببٍ من الأسباب، بِحُكْم : (البسيط)

أحبُ شيءٍ الى الإنسان ما منعا[8]

وقال لي : غاية القصد أن تسلّيَ خاطره عنه بوجه جميل، وتكونَ في باب[9] هبته نعمَ الكفيل. فرتبت لذلك المقدماتِ حسب الاستطاعة، فسمح خاطره الشريف به ووهبه هبة لا يملكُ بعدها[10] استرجاعه، فشكره على هذا الاحسان، وعدَّه له من جملة الامتنان، ثم ان الفقير أرسل لمولانا المفتي بعد أيام[11] مكاتبة، ولمح في أثنائها إلى هذه القضية بأدنى مناسبة، حيث قال له في معرض عرض المحبة، ووصف المودة والإخاء والصحبة[12]. وبالجملة : فالعبد لم يحتج في اثبات عبوديته ومحبته الى حجَّة وبرهان، كيف لا وهي مبنيَّة على اتقان وأي اتقان.

---

(١) البيتان لمروان الأصغر ابن أبي الجنوب في الأغاني (ط. دار الثقافة، بيروت) ١٢ : ٧٤، وانظر ديوان علي بن الجهم: ٣٩، ١٨٧.
(٢) ثم: سقطت من ع.
(٣) ل : بتلك.
(٤) في بعض المجالس : سقط من ل
(٥) هنا حذف لوضوح المعنى، والتقدير فلم يفعل أو فلم يهبه
(٦) ذلك : سقطت من ل
(٧) ع: المشهور
(٨) جاء في هامش ع ك :

أحببت شيئاً فأكثرت الولوع به   أحب شيء الى الانسان ما منعا

وعند العسكري في جمهرة الأمثال (١ : ٣٨٣) احب شيئاً الى الانسان ما منع، يعني : ما أحبّ (على التعجب) ورواه بيت شعر لمصعب الزبيري:

وزادني كلفا بالحب أن منعت   وحَبُّ شيئاً الى الانسان ما منعا

(٩) ظ : بباب: وسقطت الكلمة من ل
(١٠) ظ ل : بعد، وسقطت من ع
(١١) بعد أيام : سقطت من ل
(١٢) هنا تعود ر للمشاركة مع بقية النسخ

ثم لما كان سابع شهر رمضان المذكور قصد حضرة مولانا قاضي القضاة، بلّغه الله تعالى في الدارين ما يتمناه، ما هو بصدده من التفتيش على الكنيسة المذكورة، وما أحدث فيها طائفة الكفار من الأوضاع المنكورة[١]، فتوجه هو ومولانا المفتي المشار اليه، أسبغ الله تعالى نعمه عليه، وحضر العلماء ومشايخ الاسلام، وجمعٌ كثيرٌ من الخاص والعام، وكشفوا على الكنيسة المذكورة، فاذا بقربها مسجد قديم هدم الكفار حيطانه، وحوّلوا وضعه القديم الى وضع آخر جدّدوا بنيانه فعند ذلك أمر سيدنا قاضي القضاة بهدم ما جدده طائفة الكفّار من ذلك البنيان، واعادة المسجد إلى وضعه[٢] القديم كما كان[٣]، فهدمه المسلمون في الوقت والساعة، وعامل طائفةَ الكفارِ بأنواع الخزي والنكال جزاءَ هذه الشناعة، وقابلهم - قاتلهم الله تعالى - أشدَّ[٤] المقابلة، وعزَّرهم بأنواع التعزير، وأعلن المسلمون عند ذلك بالتهليل والتكبير، فضربت[٥] الذلَّةُ على الكفار وتولَّوْا[٦] صاغرين، وأقيمت فيه في الحال الصلوات وشعائر الدين، وكان دخل وقت العصر فتسور مولانا المحراب[٧] وصلَّى بالناس إماما، واقتدى به المسلمون وذكروا الله قياماً، وصار ذلك يوماً مشهوداً شهيرا ﴿ وكان يوماً على الكافرين عسيرا ﴾ (الفرقان : ٢٦) ثم لما أتممنا زيارة تلك الأماكن الشريفة، ورفعنا أيدي الضراعةِ والابتهالِ في تلك المواقفِ المنيفة، توجهنا لزيارة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام(18)، وختمنا ذلك بزيارة من تشرّفت به تلك البقاع من الرسل الكرام . فعندما قضينا[٨] الزيارات وتمّت، وحصل ان شاء الله تعالى ثوابها وبركاتها بالخيرات[٩] وعمّت[١٠]، حمدنا الله تعالى على هذه النعمة الشاملة، وتمت مدة الاقامة عشرة كاملة . وصلينا جمعة بالصخرة الشريفة وجمعة بالأقصى، وشاهدنا من الأنس والبركة ما لا يحصى، وأنشدنا : (الكامل)

شكراً لمن بالجود سَرَّ قلوبنا	في منزلِ الإسرا وضاعفَ طَوْلَهُ[١١]
مولٍ قطوفَ نوالِهِ أبدى لنا	في المسجد الأقصى المباركِ حَوْلَهُ

---

(١) ظ : المذكورة

(٢) الى وضعه : سقط من ظ

(٣) ظ : الى ما كان عليه

(٤) ظ : بأشد

(٥) ظ : وضربت

(٦) ر : وانقلبزا

(٧) تسور المحراب تعبير قرآني، من قوله تعالى ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾ (ص : ٢١) وفي الاقتباس هنا تجوز لأن الإمام «لا يتسوّر» المحراب

(٨) ع : قضيت

(٩) ظ : بالخير

(١٠) انفردت بها ل

(١١) الطَّوْل : التفضل

ثم في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان عزم مولانا المفتي - حفظ الله تعالى ذاته العلية - على العَوْدِ الى دمشق المحميّة. فركبنا في خدمة قاضي القضاة[١] لتوديعه، والقلب من فراقه على شفا نارٍ مشغول بتقطيعه، ومدينا[٢] الأكفَّ لوداعه: (البسيط)

ولوعةُ البينِ تأبى أن تمدَّ يدا

ذكرنا عند ذلك قول القائل: (البسيط)

من لم يمتْ يومَ بين لم يمت أبدا [٣]

ثم انه أوصى الحقير أن لا يقطع مكاتباته عن جنابه السعيد، وأكد ذلك بأنواع التأكيد، ووعد أن يكتب له جواباً عن كل مراسلة ويكون ذلك على سبيل الجبر والمقابلة[٤]. فقلت له: والله يا مولانا إنَّ هذا الصبَّ لمغرم في رسائل اخوان الصفا(19)، فقال: إذن[٥] المؤمن اذا وعد وفى[٦]، ثم أنشدنا تَيَمُّناً هنالك، ما ينسب إلى الإمام الغزاليّ في معنى ذلك: (مخلع البسيط)

يـا من يـريـد الـرحيلَ عنّـا	كـان لـك الله في ارتحالـكْ
كـان لـك الله خيرَ واقٍ	أمَّنَـكَ الله في المسـالـكْ

ثم عزم مولانا المفتي على المسير، وسألنا الله تعالى حسن الاجتماع، ﴿ وهو على جَمْعِهِم إذا يشاءُ قدير ﴾ (الشورى: ٢٩) وقضيناها سفرةً لم يتفق مثلها في الأسفار، وقطعنا الطريق معه[٧] بالمواصلة بمقاطيع الأشعار، وحصلنا من حسن مرافقته، ولطف[٨] مفاكهته على الحظ الوافر، واجتنينا من زهرات مصاحبته ما يغني عن الربيع الزاهر.

وفي اليوم الرابع عشر من شهر رمضان، عزمنا على التوجه لقصد زيارة خليل الرحمن(20)، فوافينا دخوله آخر ذلك النهار، وشاهدنا ما تَحَيَّرُ فيه العقولُ من باهر تلك الأنوار. وأتينا الى

---

(١) في . . القضاة: سقط من ر

(٢) ومدينا: كذا وهو جائز، وفي ر: ومددنا (وهي أصح)

(٣) بهامش كل من ع ر ك: مأخوذ من قوله:

قالت ومدت يداً نحوي تودعني	ولوعة البين تأبى أن تمد يدا
أميت أنت أم حيٌ فقلت لها	من لم يمت يوم بين لم يمت أبدا

(٤) الجبر والمقابلة: استعمل التورية في هاتين الكلمتين: فالجبر والمقابلة مصطلحان رياضيان. وفي الوقت نفسه فان الجبر هنا تعني جبر الخاطر. والمقابلة أي المواجهة بالمثل، رسالة في مقابل رسالة

(٥) ل: ان

(٦) هناك أحاديث كثيرة تنص على وفاء المؤمن اذا وعد، انظر مثلا مسند أحمد (تصوير المكتب الاسلامي ودار صادر، بيروت) ٥: ٣٢٣.

(٧) معه: سقطت من ل

(٨) ر: ونفظ

زيارة ذلك المقام الشريف بقلب سليم، وتلونا دعاءه[١] ﴿ ربّنا تقبّلْ منّا إنك أنتَ السميعُ العليم﴾ (البقرة : ١٢٧) وزرنا ما جاور مقامه الشريف من قبورِ أولاده الأنبياء الكرام، وجميع آله عليهم الصلاة والسلام، وأقمنا في جواره يومين وفي وسط صبيحة الثالث عزمنا نحو غزة(21) قاصدين وتلونا قوله تعالى ﴿ فإذا عزمتَ فتوكّلْ على اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المتوكلين ﴾ (آل عمران : ١٥٩) وودعنا من كان جاء في خدمة مولانا رفع الله تعالى مناره، وصحبه من علماء القدس الشريف للزيارة. وخرجنا في يوم مطر، وفتحت فيه أبواب السماء بماءٍ منهمر[٢]. ثم وافينا غزةَ المحميةَ في ثمان عشر شهر الصوم، وأقمنا بها يوماً بعد يوم، وتشرفنا بملاقاةِ عالمها فخرِ العلماء المدققين، شمسِ الملّةِ والدنيا والدين. وكنا في[٣] غاية التشوف إلى مشاهدة ذاته، والتشوق الى الاجتماع به وملاقاته[٤] فدعانا[٥] إلى منزله ثاني ليلة الوصول ومدّ لنا الموائد، واغتنمنا تلك الليلة مصاحبته العلمية وحصلنا منها على كثير من الفوائد. وذكر لنا أن معرفة الفضائل صارت منكورة، وعفت معالمها من البلدة المذكورة، وشكا لنا كثيراً من عدم فاضل في البلد[٦] يباحثه ويناظره، بل طالب يحادثه في العلم ويسامره : (البسيط)

ما في البلاد أخو وجدٍ نطارحُهُ   حديثَ نجدٍ ولا خلٌّ نجاريهِ[٧]

وتألم أيضاً من عدم معرفة أهلها بقيمة العلم[٨] والعلماء، وما يقاسيه بسبب ذلك من الشدة، وأنشدنا: (الطويل)

* كَفَى حزناً أني مقيمٌ ببلدة[٩] *

فقلت[١٠] له يا مولانا حيث كان الأمر كذلك فما الداعي لتحمّلِ موجباتِ السآمة، وأنشدناه[١١] قول الطغرائي (22):

---

(١) ك : دعاؤه

(٢) اشار الى قوله تعالى ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ (القمر : ١١)

(٣) في : سقطت من ر ل، وفي ع : وكنا في (بدلا من : وكنا في)

(٤) ل : بملاقاته

(٥) ك : ودعانا

(٦) ظ : البلدة

(٧) ورد البيت في نزهة الجليس للعباس بن علي بن نور الدين المكي (ط. النجف ١٩٦٧) ١ : ٤٣٥ وروايته ما في الصحاب

(٨) ظ : بقيمة أهل العلم . العلم: سقطت من ر ل

(٩) بهامش ع ك :

كفى حزناً أني مقيمٌ ببلدةٍ   فضائلُ أهلِ العلمِ في نقائصُ

فناقصهم من كثرةِ المال كاملٌ   وعالمهم من قلة المال ناقص

(١٠) ع : فقلنا

(١١) ر ظ وأنشدنا، ل : وشاهدنا

* فيم الاقامة[1] *

وتلونا عليه آية المهاجرة وما فيها من وجدان المراغم الكثير [2] والسّعة [3]، وموجبات الحبور والدعة، وقلنا : عجباً للقلب المصاحب للهموم، كيف يبدي الفضائل والفهوم، فان الشمس لا تبدو اذ يحولُ غيم، ولا يخفاكم :

* يقيم على ضيم * [4]

وبالجملة [5] : (الطويل)

اذا كنت في أرضٍ يسوءُكَ حالها[6] ولم تكُ محبوساً بها فتغربِ
فانّ رسول الله لم يستقم له بمكة حال واستقام[7] بيثربِ

فذكر لنا حديثَ حبِّ الوطن، وتنفّس الصُّعداء وأنشد من شدة الكمد والحزن : (الطويل)

بلادٌ ألفناها على كلِّ حالةٍ وقد يؤلف الشيءُ الذي ليس بالحَسَنْ
وَتُسْتَعْذَبُ الأرض التي لا هواؤها ولا ماؤها[8] عذبٌ ولكنها وطن

ثم اتسعت معه دائرة المخاطبة، واستطرد القول بطريق المناسبة، إلى ذكر رحلته الى بلدتنا حماة المحميّة المحروسة، وتغزّلَ لنا [9] بوصف ما فيها من تلك الاماكن المأنوسة، فتحرك ما عندنا من السواكن، والاشواق الى تلك المعاهد والأماكن، فعند ذلك تأوّه هذا الصبّ عند ذكر الحمى، وتذكر قولَ ابنِ خطيب داريا (23) : (الطويل)

تذكّر بالأوطانِ عيشاً تصرَّما ففاضت على خدَّيهِ أدمُعُهُ دما
وحنّ إلى أحبابه فتصاعدت له زفراتٌ لا تَسَلْ عن جهنّما

كيف لا وهو كما قيل : (الطويل)

---

(١) هو من قول الطغرائي في لامية العجم :

فيم الاقامة في الزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وهو بهامش ر ك

(٢) ر : الكثيرة، وسقطت من ظ

(٣) آية المهاجرة ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾ (النساء : ١٠٠)

(٤) من قول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد بها الا الأذلانِ عَيْرُ الحيِّ والوَتِدُ
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحد

وقد أشارت النسخ الى ذلك : والبيتان للمتلمس الضبعي واسمه جرير بن عبد المسيح، انظر ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية (القاهرة، ١٩٧٠) ص ٧-٤٢ والروايات المختلفة للبيتين، ص: ٢٠٨ - ٢١٢ .

(٥) وبالجملة : سقطت من ل

(٦) ل ر: أهلها.

(٧) ل : فاستقام.

(٨) ظ : لا هوا بها.

(٩) ر : وتغزلنا، ل : وتنزلنا.

بـــــــــــــــلادٌ بها نيطــتْ عليَّ تمائمــي وأولُ أرضٍ مــسَّ جلــــــدي تـــــــرابها[1]

ثم سألني عمّن يعهـده فيهـا من أفاضل الأصحـاب [2] فكان سـائل دمع[3] مقلتي الجواب، وأنشدت[4] : (الطويل)

اذا هَبَّتِ الأرواحُ من نحـــــو جـــــانـبٍ بــــه أهلُ ميّ هـــــاج قلبي هبـــــوبها[5]

هـــــوىً تــــذرفُ العينــــانِ منــــه وانما هـــــوى كلِّ نفسٍ أيـن حلَّ حبيبهـــــا

وقال[6] : والله يـا مولانـا ان رونقهـا في الحقيقة يشرح الصـدور ويبهج[7] النفوس، ويعجـز عن حصر محاسنهـا سطـور الطـروس. ولكن لله درّك حيث وفّيت حب [8] الوطن حقّـه، وأديته واجبَهُ ومستحقّه، ولعمري لم تشهد[9] العين محبّا للأوطـان مثلك ولا أشوق[10]، ولم نعهد من قيّـده الغرام نحــوك فَيُجْــرِي الــدمــوعَ عنــد ذكــر الــربــوع كـالماء المطلق، ولا شــاهــدنــا بـأضيـعَ مـن عينيـك للــــــــدمع كلّما تذكرت[11] ربعــاً أو تــوهمت منــزلا[12]

فقلت له : يا مولانا [13] كيف لا أكون كذلك وهو : (الكامل)

بلـــدٌ صحبتُ لـــه الشبيبــــة والصبـــا ولبست ثــوبَ العـز وهــو جــديــدُ [14]

---

(1) قبل هذا البيت قول الشاعر (هامش ع ك):

أحَبُّ بلادِ الله ما بينَ منعجٍ إليَّ وسلمى أن يصوبَ سحابها

وهما لبعض الأعراب في معجم البلدان لياقوت (مادة : منعج) ويترددان كثيراً في المصادر عند ذكر الحنين الى الاوطان، انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق احسان عباس، بيروت، (١٩٧٩) ١ : ٣٤٣

(2) ع : الأحباب

(3) ر : سائل دمعي، ل : فكان دمعي الجواب

(4) ل ر : وأنشد

(5) بهامش ع :

أهابك اجلال وما بك قدرةٌ عليَّ ولكنْ مِلءعين حبيبها

ظناً أن البيتين من هذه القصيدة، وذلك وهم، فالبيتان لذي الرمة (ديوانه، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، (دمشق، ١٩٧٣) ٢ : ٦٩٤-٦٩٥ وفيه شاج شوقي، حيث حلَّ

(6) ع : مقال

(7) ل : ويهيج

(8) ل : حق

(9) ع ر ل : لم نشهد (وسقطت لفظة : العين)

(10) ولا أشوق : سقطت من نسخة ظ

(11) ل ر : تذكر

(12) هذا البيت ينسب لذي الرمة وليس في ديوانه : وقبله مما يمهد له :

وما شَنَّتا خرقاء واهيتا الكلى سقى بهما ساقٍ ولما تبلّلا

انظر المختار من شعر بشار لأبي الطاهر التجيبي، تحقيق محمد بدر الدين العلوي، القاهرة، ص : ٣٢٤ وفيه تخيلت رسماً أو تذكرت منزلا

(13) ظ : يا مولاي

(14) البيتان لابن الرومي (٢٨٤/ ٨٩٧)، ديوانه، تحقيق حسين نصار، القاهرة، (١٩٧٣ - ١٩٧٩) ٢ : ٦٦٦ ورواية الأول : ولبست فيه العيش

فـإذا تمثّل في الضمير وجـــــدتـــــه[١]		وعليـــــه أغصـــــانُ الشبـــابِ تميــــدُ

ثم حدثنا الشيخ المشار اليه بكثير من حسن المحاضرات، ولطيف المحاورات[٢]، التي كانت تصدر بينه وبين فاضلها المرحوم سيدي الشيخ[٣] محمد بن ولي الله المرحوم[٤] الشيخ علوان (24)، وكان يتعجب من فصاحته وبلاغته التي حارت فيها العقول والأذهان، ويمدح فضائلـه وفواضله الغزار، ويذكـر صفاءَ العيـشِ الذي قضـاه صحبته في تلك الـديار، ويشكـر ما أسـدى اليه[٥] من الفضل والانعام، وينشد في ذلك المقام : (الطويل)

نـــــــزلـتُ على آلِ المهلـب(25) شـاتيـاً		غـــريبـــاً عن الأوطـــانِ في زمـنِ المحلِ[٦]
فما زال بي إحســـــانهمْ وافتقـــــادهـم		وبــــــــرّهـمُ حتـى حسبتهـمُ أهلي[٧]

فمن أجل ذلك طاب لي فيها المقيل، وأويت لها الى ظلٍ ظليل : (الطويل)

رأيـتُ بها مــــا يمـــــلأ العينَ قُـــرَّةً		وَيُسْلي عن الأوطـــــانِ كلَّ غـــــريبِ[٨]

وقصّ علينا أحاديث ما شـاهده من لطفها ومياهها وجناتها، ودهشتها الغنـاء وميدانها وبساتينها ومتنزهاتها[٩] وما يطرب من تغريد طيورهـا في السّحر، على أعالي الشجر، بفصيح لغاتها، فعند ذلك أنشدته : (الكامل)

لـك أن تشـــــوّقنـي إلى الأوطــــــان		وعليَّ أن أبكـي بــــــدمـع قــــــانِ[١٠]

ثم[١١] أوردنا شيئاً ممّا تغزل[١٢] بـه في محاسنها أهل الأدب، ومـا أطرب من التشبيب فيهـا بأعين القصب[١٣]، الى أن انتهينا إلى قولِ القائل : (البسيط)

---

(١) الديوان : رأيته

(٢) ر : المحاضرات

(٣) الشيخ : سقطت من ع ل

(٤) المرحوم : سقطت من ل

(٥) ظ : ما أهداه إليه

(٦) بعد هذا ينقطع النص في ر

(٧) البيـان لبكير بن الأخنـس الطائي، كما في حماسة المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، (القاهرة، ١٩٥٣) الحماسية رقم : ٩٤ وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٣٤١ ووفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق احسان عباس، (بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢) ٥ : ٣٥٧

(٨) البيت ورد بهامش ك ولم يرد في ل

(٩) ودهشتها . . . وبساتينها : ورد في هامش ل

(١٠) سقط البيت من ل

(١١) ثم : سقطت من ع

(١٢) ع : تغازل

(١٣) أعين القصب : يريد الشبابة، واستعمل لفظه «التشبيب» بمعنيين

مـــــا بين صرح وسرح منظـــــرٌ عَجَبُ | تنـأى همومُكَ عنـــــه وهـــــو مقتربُ [١]
عــاصٍ تتمّ بـه الطّـاعـات حيث صفـا [٢] | يكــــاد من رقـــــة بـــــاللحظِ يُنْتَهَب
أنسيت أهلي وكم قـــــد أنسـأت [٣] رجـلا | قبلــي [٤] اذا كـــــان للـــــذات يغترب
تشـــاجــر الطير في أشجـارهـــا سحــراً | والماءُ حيث أجـــــال الطـــــرف ينسكـب
يسلي الغـــريـب عن الاوطـــــان رونقـــه | في لـــــذة بلـــداهـــا اللهــــو والطـــرب
واف بنـــــا رجبٌ طيبَ المقــــــام بها | فحبـــــذا حبــــذا شهـــــر التقى رجـب
فيــــــا حماةُ حماكِ الله فـــــــزتِ بها | أعيـــــا دمشقَ ولا تحظى بـــــه حلـب
فـــالحمــــدلله حمداً لا انتهـــــاءَ لـــــه | في كـلّ وقتٍ وهـــــذا بعـض مـــــا يجبُ

ثم سألني عن لطفها ولطف الأماكن[٥] التي يعهدها فيهـا في الزمن الأول، كقصر ابن حجة(26) ومعاهده التي يتمدح بها في اشعاره ويتغزل، فأنشدته : (الطويل)

* وهل عند رسم دارس من معوّل [٦] *

وقلت له : يـا مولانا ان تلك المنـازل والأوطان قـد تعرضت لها أيدي الحدثـان، وأدخلتها في خبر كان، وغيرت منها ما تعهدونه من ذلك الوضع وكاد لسان الحال ينشد[٧] عند اطلالها :

* فديناك من ربع [٨] *

ثم ان المشار اليه أطنب في مدح هذه البلدة الغنّا، وترنّم بلطائفِ الأشعار وتغنى.

وانتقلنا إلى مـدح دمشق الشام، واتسعت دائرة بسيط[٩] مدحها حيث اقتضاه المقام، فقلنا له : يامولانا[١٠] رفقاً أذبتَ حُشاشةَ المشتاق، وأسلتهـا دمعاً من الآماق، وبالله[١١] عليك الاّ ما خفّفت على هـــذا المغـــرم وسلّيتَ[١٢] هـــذا المروّع عنهـــا بـــالنـــوى والمتيم، فـــان عنـــد هـــذا

---

(١) ظ : مغترب
(٢) ظ : وفا
(٣) ظ : أنسيت
(٤) ع : مثلي
(٥) ع ل : عن لطف الاماكن (لطفها : سقطت من ع ل)
(٦) عجز بيت لامريء القيس، وشطره :
وان شفائي عبرة ان سفحتها، وهو من معلقته، انظر ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة (١٩٥٨) : ٩
(٧) ل : وكاد الحال ينشد
(٨) هو من قول المتنبي :
فديناك من ربع وان زدتنا كربـــا | فانك كنتَ الشرقَ للشمسِ والغربا
وقد جاء تمامه في الحاشية في ع
(٩) ظ : لطيف
(١٠) ع : فقلت يا مولانا
(١١) ظ : فبالله
(١٢) ل : وسليت على جاء

الصبّ حنينا الى الأوطان ليس يزول، ويكفي في هذا المقام ناهيا قول من يقول : (الطويل)

ولا تـــذكـــريـني الـــواديين ولا تـــري   لعينيَّ أطـــلالَ الـــربـــوعِ فتـــدمعـــا
فلـــولاك مـــا حنَّ المشـــوقُ الى الحمى   ولا شـــام بـــرقَ الشـــامِ مـن سفح[١] لعلعـا

فلما شاهد شدة شوق هذا الصبّ الى أحبابه، وأن جلده قد وهى، قال راثياً له : (الكامل)

واهـــاً لـــه ذَكَـــرَ الحمى فتأوّهـــا   ودعـــا بـــه داعي الصِّبـــا فتـــولّها[٢]

وأنشدنا عند ذلك : (الطويل)

ســـلامٌ على تلـك المعـــاهـــد إنها   شريعـــــــــــــةُ وِردي أو مهـــبُّ شمالي
ليـــاليَ لم نحـــذر حُـــزونَ [٣] قطيعـــةٍ   ولم نمـشِ الاّ في سهـــــولِ وِصَـــالِ
فقـــد صرت أرْضى من ســـوالم[٤] أرضهـا   بخلّـبِ بـــرقٍ أو طُـــروقِ[٥] خيـــالِ

وحصل لنا تلك الليلة من مسامرة ذلك الفاضل ما سرّنا وأبهجنا. وتوجهنا في الصبيحة الى المنزل لننظر : (البسيط)

أقـــاطنٌ قـــومُ سَلْمَى أم نَـــوَوْا ظعنـــا   إنْ يظعنـــوا فعجيبٌ أمـــرُ من قطنـــا[٦]

فألفيناهم عزموا على المسير من البلدة المذكورة[٧]، فتوجهنا لوداع مولانا الشيخ والتمسنا دعواته المأثورة، فدعا لنا متضرعاً بأدعيةٍ صادرة عن صميم الفؤاد، وتلا متيمناً ﴿ **إنَّ الذي فَرَضَ عليكَ القرآنَ لرادُّكَ الى مَعَاد** ﴾ (القصص : ٨٥)

ثم لما كان بتاريخ العشرين من شهر [٨] رمضان وصلنا الى المنزل المعروف بقطية (27) من عمل [٩] بلبيس الشرقية (28) فاستقبلنا [١٠] قاضيها وصحبته جماعة من قضاة الديار المصرية [١١] وهو مولانا فخر القضاة والمدققين، عمدة الأفاضل والمحققين[١٢]، تقي الدين ابن المرحوم مَنْ بالفضائلِ والكمالاتِ موصوف، عمدة القضاة القاضي معروف [١٣]، فحصل لنا غاية السرور

---

(١) ل : من شيح
(٢) الشطر الثاني من البيت بهامش ع ك، وسقط من ل
(٣) ل : حزونا
(٤) ل : سواكم
(٥) ل : بطيف
(٦) ورد عجز البيت بهامش ع ك، وفي متن ل
(٧) ل : البلد المذكور
(٨) شهر : سقطت من ل
(٩) عمل : سقطت من ظ
(١٠) ل : واستقبلنا
(١١) ل : من قضاة مصر المحمية
(١٢) ل : الأفاضل المحققين
(١٣) لم أعثر له على ترجمة

بملاقاته، وكنا بفرطِ الأشواقِ الى مشاهدة ذاته. وكان مولانا قاضي القضاة عامله الله تعالى بألطافه الخفية، لما جاءه الخبر بتوليه القاهرةَ المحمية، أرسل لحضرة الباشا بمصر يستخلف المشارَ اليه مكانه، لتميزه بالفضائل التي فاق بها [١] أقرانه، فسأله عن بعض ما وقع في البين من الأحوال، واستخبر عنها بالتفصيل والاجمال، فأنهى اليه بعضَ الأمور بطريق العرض، وعرَّفه ببعضها [٢] وأعرض عن بعض. وبتنا بذلك[٣] المنزل ليلةً واحدة، وعندنا الى مصر أشواقٌ متزايدة. ثم في ثاني يوم قوّضنا الخيام، ورحلنا عن ذلك المقام، فأتينا محمية الخانقاه (29) في خامس عشري رمضان، وخرج لاستقبال مولانا قاضيها فخر القضاة شهاب الملّة والدين[٤] أحمد بن شعبان[٥]، وتواتر المستقبلون في ذلك اليوم أفواجاً، وتواردوا[٦] للقاء مولانا فرادى وأزواجا. فلما كان نهار الأربعاء سادس عشري شهر رمضان أشرفنا على المحمية القاهرة، ولاحت لنا قصورها العالية العامرة، وخرج لاستقبال مولانا-[٧] أدام الله تعالى مدده وطوله - جميعُ القضاةِ والعلماء وأرباب الدولة، ودخل في أبهة عظيمة، ومهابة جسيمة، وكأن الله تعالى ألقى محبة مولانا في قلوب جميع الخليقة، فاستبشروا [٨] بمعدلته التي سار بها في دمشق[٩] على أحسن طريقة: (الكامل)

وجهٌ عليه من الحياءِ سكينةٌ[١٠] ومحبةٌ تجري من الأنفاس[١١]
واذا أحبَّ الله يوماً عبده القى عليه محبةً للناس

وخرج جميع أهل البلدة لاستقباله فرحاً [١٢]، ووافينا دخولها ذلك النهار ضحى، فدخلناها فرحين مستبشرين، وتلونا قوله تعالى ﴿ ادخلوا مصرَ ان شاءَ اللهُ آمنين ﴾ (يوسف: ٩٩)

ثم لما [١٣] كان السبب الأعظم في هذه الرحلة، مشاهدة من ذاته أضحت للمعارف قِبلة:

---

(١) ل: بها على
(٢) ل: وعرف عن بعضها
(٣) ع ل: في ذلك
(٤) شهاب الدين والملة
(٥) لم أعثر له على ترجمة
(٦) ك: وتواردا
(٧) ع: مولانا، قاضيها
(٨) ع: واستبشروا
(٩) في دمشق: سقطت من ل
(١٠) ل: مهابة
(١١) هذان البيتان لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ/ ٩٣٩م)، انظر ديوانه، جمع محمد رضوان الداية (بيروت، ١٩٧٩): ٩٣
(١٢) فرحا: سقطت من ظ
(١٣) ع: ولما (مع سقوط: ثم)

علاَّمة الزمان، وواحدُ الدهرِ والأوان، أو الأَعلم الأفضل الأفخم، والحبر الذي من خصائصه أن تصغي الفصحاءُ إذا تكلّم، والفصيح الذي إذا قال لم يترك مقالا لقائل[١]، والبليغ الذي إذا أنشا أنسى سحبان وائل (30) (البسيط)

لو أدرك الفصحاءَ العُرْبَ أفحمها وقصَّرَتْ عن معانيه معانيها
ولو جرى عند أهل السبق في طَلَق من البلاغة جلَّى[٢] عن مجليها
ما سُيِّرَتْ[٣] حكمةٌ في الناسِ منذ نشأتْ تجلو صدى القلبِ الا وهو مُنْشِيها[٤]

أعني به سيدنا ومولانا شمس الملة والدنيا والدين، الاستاذ الأعظم والعارف الأفخم[٥] سيدي محمد البكري (31) لا زال بيت البلاغة بدعائم بدائعه معموراً، ولواءُ الأدبِ على ملوك براعته منشوراً. فان هذا العبد مذ أميطت عنه التمائم، ونيطت به العمائم، وتَشَرَّفَ بالعلم الشريف وخدمة أهله أئمة الاقتداء، كان كلما لمع من سنا نجده بارق آنست من جانب طوره هدى[٦]، واذا نقلت الرواة أحاديث علومه المعنعنة المسلسلة، وتلت الأفاضلُ آياتِ فضله المرتلة، ينشق من تلك الروايات نفحات أنسية، ويجد نفس الرحمن من جهة يمانية. ولم يزل يأنس بتلك الأخبار آونة وأزمانا. والأذن تعشق قبل العين أحياناً[٧]. حتى[٨] كلف بها الفؤاد، لكن بنار أوقد فيه جمره، وعلق بالقلب علوقَ الهوى ببني عذرة (32): (الطويل)

ألا أن أهوائي بليلى قديمةٌ وأقتل أهواءِ الرجالِ قديمها[٩]

فقصدنا في آن الدخول الى القاهرة، التوجه للسلام عليه ومشاهدة أنوار طلعته الباهرة، واذا بجنابه الشريف - أطال الله تعالى بقاءه وأدام فضله - جاء للسلام على مولانا قاضي القضاة على حين غفلة. فشاهدنا تلك الذات السامية المقام، ولزم مفاجآته ذلك الوقت بالسلام، وقلت

---

(١) من قول حسان (ديوانه ١ : ٣٣١) يمدح ابن عباس :
اذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بملتقطاتٍ لا تَرَى بينها فصلا
وانظر عيون الاخبار ٢ : ١٦٩

(٢) ل : جلت

(٣) ظ : وما سرت

(٤) ل : ينشيها

(٥) الأستاذ . . . الأفخم : سقطت من ع، وفي ل : والملاذ الأفخم

(٦) ناظر الى قوله تعالى ﴿إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجدُ على النار هدى﴾ (طه : ١٠)

(٧) عجز بيت لبشار بن برد وصدره : يا قوم أذني لبعض الحيِّ عاشقة. وقد أورده بهامش ع، وانظر ديوان بشار، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والنشر (تونس، ١٩٧٦) ١ : ٢١٧

(٨) ل : حتى كلف الفؤاد بنار

(٩) البيت لمجنون ليلى في ديوانه، جمع عبد الستار أحمد فراج (القاهرة) : ٢٥١ وروايته فيه : الا أن أدوائي . . . . وأقتل داء العاشقين قديمها.

له : يا مولانا ان هذا سلام اتفاقي اضافي، ويتلوه ان شاء الله تعالى السلام الحقيقيّ الشافي . وتوجهنا ثاني يوم للسلام عليه في منزله السعيد، لا برحت ربوعه عالية الذرى، فشاهدنا منه في سماء الفضل بدراً مسفّراً . وشهدنا من وافر فضله ومزيد لطفه، ما يعجز اللسان عن بعض وصفه . وكان ابتداء مخاطبته أن قال ملاطفا، ونطق عاطفا : وهذا السلام الحقيقي، تلميحا الى قول أبي العلاء(33) [1] ومن [2] بالعراق، وأبدى لنا من معارفه ما يعجز عنه نطاق النطاق، وكنّا في السابق نظنّ الناس يطنبون في المسند اليه من المدح، ويقولون : أن كلامه لا يكاد أن يكون من قوة البشر بل من قبيل الفتح . حتى شاهدنا ذلك رأي العين[3] فوجدناه يعجز عن وصفه الكيف والأين . ورأينا اطنابهم في مدحه في غاية الايجاز، ومطول وصفهم مختصراً بالنسبة الى ما قامت عليه «دلائل الاعجاز» [4] فعند ذلك تمثلنا بقول القائل : (الطويل)

لقد كنتُ في الأخبارِ أسمعُ عنكمُ حديثا كنشر المسكِ[5] اذ يتضوّعُ
فلما تلاقينا وجدت محاسنا من اللطف أضعافَ الذي كنتُ أسمع

وبالجملة فجميع من في القاهرة(وهي ام الدنيا)[6] من العلماء اذا نسب [7] اليه يكون هباء منثوراً[8]، واذا قيس عليه لم يكن شيئاً مذكوراً [9] . وفي الحقيقة فما علماء هذه الديار، الا كالنجوم وهو كالشمس[10] في رابعة النهار، مشى في كل فنٍ سويّاً على صراط مستقيم[11]، وتلا لسان الكون على من قصّر عن رتبته ﴿ وفوق كلّ ذي علم عليم﴾ (يوسف : ٧٦) حاز قصبات السبق في علم التفسير، وفاق الأوائل والأواخر بحسن التحرير فيه والتحبير[12]، لا يهتدي أحدهم لسلوك طرائقه، وغوامض دقائقه، ولا يغوص على شيء مما يبرزه في تقرير من درر حقائقه : (الطويل)

---

(١) يقال أن احمد بن يوسف المنازي الشاعر دخل على المعري في جماعة من أهل الأدب، وحين انشد المنازي قال له أبو العلاء أنت أشعر من بالشام . ثم رحل أبو العلاء الى بغداد وأنشده الشعراء وحين انتهى المنازي من إلقاء قصيدته قال له : «ومن بالعراق» عطفا على قوله «من بالشام» . انظر ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي على هامش المستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) ، تصوير دار الفكر ، بيروت(عن طبعة مكتبة الاستقامة، القاهرة ١٣٧٩) ١ : ٤٦ - ٤٧

(٢) من : سقطت من ل

(٣) ل : رأي العين

(٤) فيه تلميح الى كتاب عبد القاهر الجرجاني المسمى بهذا الاسم

(٥) كذا في ع ل، وفي النسخ الأخرى : العلم

(٦) ما بين معقفين انفردت به ل

(٧) ل : نسبت

(٨) مقتبس من الآية القرآنية ﴿وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾(الفرقان : ٢٣)

(٩) اشارة الى قوله تعالى ﴿هل أتى على الأنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ﴾(الانسان : ١)

(١٠) وهو كالشمس : سقطت من ل

(١١) عبارة قرآنية وردت في عدة سور، انظر مثلا : (النحل : ٦)

(١٢) يجدر ان نتذكر ان التحرير والتحبير هو احد كتب السمعاني

اذا عُـدَّ أهلُ الفضلِ يـومـاً فكلهم | على فضلـه لـو ينشرون عِيـالُ
ترى[1] عنـده مـا عنـدهم من فضيلـةٍ | وفيـه خـلالٌ فـوقهـا وخـلال

أُجِلُّ معانيه البديعةَ ان يحصرها بياني، أو يسطرها بنان قلمي وقلم[2] بناني : (الطويل)

وكيف أطيقُ البحثَ عن بعضِ فضلـه | وقـد كـلَّ فيـه السنُ الفضـلاء
أقـر بعجـزي حين أحصي خصـالَـهُ | فما لي سـوى ختمٍ بخيرِ دعـاء

أبقاه الله تعالى إماماً اصطفت خلفه صفوفُ البلغاء، فأمهم بنوافل بره، فرأوا شكر ذلك فرضاً مؤبدا، وأطنبوا في حمد أوصافه، ولا غرو ان أصبح بها محمداً. وقد حصل بين العبد وبين حضرته السعيدة، مودةٌ خالصة ومحبَّةٌ أكيدة، مؤسسة على قواعد الاخلاص، ومؤكدة من توابع الود بمزيد الاختصاص.

هذا ومما[3] كتبته لحضرته العلية، صحبة شيء من قُلُب الفستق أهدي لنا من الديار الحموية، ما صورته: (البسيط)

لما تملـك قلبـي حبكـم فغـدا | مجرّداً منـه قلبـاً رقّ واستعـرا
حـرّرتـه فغـدا طـوعـاً لخدمتكم | محرَّراً خادماً[4] وافـاك معتـذرا
فقـابلـوه بجبر[5] حيث جـاءكُـم | مجرداً بمـزيـد الحبِّ منكسرا[6]

يقبّل اليدَ الشريفة، ويلثم الراحةَ اللطيفة، وينهي الى الحضرة العلية، عظّم الله شانها، وصانها عما شانها، أنه أهدى اليه من تلك الديار ما يناسب اهداؤه لأرباب القلوب[7]، ويلائم إرساله لأصحاب الغيوب. فقدم العبد رجلاً وأخر أخرى، في ان يهدي الى جنابكم الشريف منه قدرا، علماً بأنه شيء حقير، لا يوازي مقامكم الخطير، وقد توارى بالحجاب حيث وافاكم وهو حسير[8] وما مثل من يهدي مثله الى ذلك الجناب، إلاَّ كالبحر يمطره السحاب، ثم انه تهجم باهداء هذا القدر اليسير، فان وقع في حيّز القبول انجبر القلب الكسير. ولا يعزب عن علم مولانا بلَّغه الله أملا، النَّمْلُ يُعْذِرُ في مقدارِ ما حملا، والسلام.

---

(١) ل : وترى، وذلك يكسر الوزن

(٢) ل : أو قلم

(٣) من هنا ورد في هذا الموضع ولكنه متأخر عن هذا في بقية النسخ، وتعد ع من أدق النسخ، ولهذا اعتمدتها

(٤) محررا خادما، يوهم التضاد، بين الحرية والعبودية

(٥) مرة أخرى يستعمل المقابلة والجبر على الايهام

(٦) مجردا : يعني الفستق الذي تجرد من غلافه، منكسرا: قد كسرت عنه قشرته، وللكلمتين معنيان آخران فمجرداً تعني وحيداً قد تجرد من كل العلائق، ومنكسرا تعني : منكسر الخاطر.

(٧) أرباب القلوب : أي المحبون ذوو القلوب الكبيرة ؛ وأرباب القلوب : المتصوفة، والقلوب أيضاً : قلوب الفستق

(٨) توارى بالحجاب، جاء خجلا، مع انه حسر عنه حجابه الأصلي وهو قشره.

ثم اجتمعت بعد ذلك بجنابه الشريف، فكان من خطابه المنيف، أنه قال: ما يقول اللسانُ في هديةٍ كلها قلب، وأنشدني بديها في معنى ذلك بيتاً جمع فيه المحاسنَ وهو مفرد، واشتمل من اللطف على مزيد وهو مجرّد، وهو: (المتقارب)

بحـــــــــــــاميـمَ أُقسـمُ أني فتـىً صـــــــــــديـقٌ حميم بقلبـي محبّ

ثم صار مجلسه الشريف اذ ذاك غاصاً بأفاضل الأنام، واعترض في أثناء الخطاب مع حضرته جمل من الكلام، فقال معتذرا: ان هذا من نظم الوقت، وان لم يكن هذا وقت النظم.

هذا وقد شرف العبد من جَنَابِهِ الشريف ببعض المكاتبات، قصد[١] الفقير أن يكونَ لها في هـذه الـرحلة اثبـات، فمن ذلك ما كتب لي حفظ الله تعـالى جنابـه، وكنت قاضيـا[٢] بتزمنت (34) [٣]، مكتوباً يتضمن الشفاعة لشخص في النيابة، صورته: ان أنضر زهر فتَّحت يدُ النسيمِ كمائمه، وازهر ناضراً حب بأعطر من لطـائف المسك نسائمه، وأورق عود أصدح الشوق على أفنـانه حمائمه، وأرقى منبر سجع عليـه خطيب بـلاغة فـاستنـزل من الأفق نعـائمه، وأفصح منطـق ترك سحبـان في أرض البلاغة باقلا (35) أو ذاهلاً يتطلب تمائمـه، حمداً لله تعالى الـذي جعل مُحِبَّهُ مترقيـاً مصاعـدَ المجد، وأيَّد به الدين فأصبح له كالأب رافلا في حلل الجد[٤]. هذا وان بسطة القول في بثّ الشوق، يضيق عنها الطوق، ولو استعـان ذو البثّ بذوات الطوق [٥]، وبعد بُعْـدِ المدى وان كان لا بعد، فـالجنان بكم في أنضر من جنـان الخلد، ثـم إن ممن له الى هـذا[٦] الجناب انتساب، وعـراقة في الاتصال بهذا الداعي لذلك الجناب، الماثل[٧] لديكم بهذه الصبابة، والناقل لخبر هاتيك الصبابة، الولد الأعز عبد الفتـاح، فالمسئـول أن لا يزال مـريش الجنـاح، محفوفـاً بيمن نظركـم السعيد، محفـوظاً بعنـايتكم في الطريف والتليد، متشرفاً بخدمة[٨] عتبتكم في تنفيذ الاحكام، مأموراً من جنابكم العـالي برعاية أمر الله تعالى في النقض والإبرام، بعد الدعاء ثانياً والسلام على الدوام.

وكان أهالي ذلك الإقليم شكوا من ذلك النائب شكاية كلية، وتحقق العبد أن مولانا الشيخ حفظ الله تعـالى حضرتـه العليّـة، لم يبلغـه مـا حـدث[٩] من المذكـــور من التعـــدي على أهل

(١) ظ: فقصد، قصد... اثبات: سقط من ل

(٢) ل: وانا قاض، ك: قاضي

(٣) فراغ في ظ موضع هذه الكلمة

(٤) الجد في مقابلة الأب، والجد: أيضاً الحظ

(٥) ذوات الطوق: الحمائم، واعانتهن للمحزون مألوف في الشعر العربي، ومنه قول أبي العلاء: «أسعدن أو عدن قليل العزاء بالاسعاد»

(٦) ظ: في هذا

(٧) ل: المتأمل

(٨) ظ: في خدمة

(٩) ل: ما صدر

الإقليم، ولم يكتبْ له ذلك الاّ بناء على طبعه السليم. فأحبّ العبدُ ان يعرضَ على المولى المشار اليه، أحوال المذكور وما انطوى عليه، علماً بأن حضرته الشريفة حفظها الله تعالى ووقاها، اذا بلغها أحوالُ المذكور ينكرها ولا يرضاها، فسطّر له هذا الجواب، وأرسله بضاعةً مُزْجَاةً لذلك الجناب. صورته[١]

«يقبّل الأرض بعد دعائه الذي ترصّعت في تيجان الاجابة درره، وتضَّرعَتْ في ديوانِ الاخلاص فِقَرُه، ويصفُ الحبَّ الصحيح السالم، والثناء الذي هو للودّ جازم. وينهي ان السبب في تسطيرها، والباعث على تحريرها، محبة أضرم[٢] نارها في الفؤاد، وأشواق لو تجسّمت لملأت ألف واد، وان تفضل المولى بالسؤال عن احوال العبد فهو باق على محبّته القلبية القبلية، وملازم على مقام العبودية.

وقد وصل المثال العديم المثال، مشتملاً على الدّرر التي فاقت اللآل، فقام له[٣] المخلص تعظيماً وإجلالا، وسجد سجدةَ صادٍ رأى من معانيه زلالا. ورقي[٤]على منبر الثناء مُعلِماً بشكره، وأنشد[٥]: (الكامل)

ولقد سما العبد الحقير إلى السّها لما تفوّهتِ الأسودُ بذكرِهِ

هذا والذي ينهيه العبد من خصوص عبد الفتاح، وما اشتمل عليه من الأمور القباح، فانه كثر في هذا الإقليم[٦] شاكوه، وانعدم فيه شاكروه. وان من البدع المحدثة على هذه البلاد مما يسمّى بالمشاق(36)، وقد شكا منه أهل الإقليم وذكروا أنه حمّلهم فيه غاية المشاقّ. وأما ما أثبته في السجل بطريق التزوير، فذلك أمر ظاهر شهير، الى غير ذلك من ظُلامات بزيادة، وجنايات جاوز فيها الحدّ وخرق العادة. وقد ذكر لي[٧] جماعة من الصلحاء ليس لهم غرض دنياوي، منهم رجل من ذرية الشيخ الشعراوي(37)، أن المذكور إن[٨] تولّى سعى في الأرض بالفساد[٩]، وتعدّى من ظلم نفسه القاصرة الى ظلم العباد، كلّ ذلك ما خلا أفعالا لو تمت بالاخبار، لأضحت ناقصةً عن درجة الاعتبار، في مقام الخطاب، وأحوالا مقرّرة ليست من أفعال الشكّ بل اليقين، لو بحث

---

(١) صورته : سقطت من ل جاء بدلها : وهو

(٢) ل : أضرمت

(٣) له : سقطت من ل

(٤) ظ : وقى

(٥) وأنشد : سقطت من ظ

(٦) ك ظ : في الاقليم

(٧) لي : من ع وحدها

(٨) ل : اذا

(٩) من قوله تعالى ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ (المائدة : ٦٤)

عنها[1] لخرجت عن طريق الآداب. لكن من طرق البلاغة استعمال الاضمار في موضع الاظهار، كما نستفيده، وصيغة المضارع للاستمرار، من بحر فيضكم المدرار. ولو فُصِّلت لحضرتكم الشريفة أمورٌ[2] لأوجبت له أن يطرد ويبعد، ويتمثل له بقول القائل وينشد[3]: (الخفيف)

أيها المدّعي سليمى سفاهاً ... لستَ منها ولا قلامة ظُفْرِ
إنما انت من سليمى كواوٍ ... ألحقت في الهجاءِ ظلماً بعمرو

والحاصل أنّ المملوك ما يحيل[4] التفرس في عدم استقامة[5] المذكور الاّ على سلامة مزاج مولانا وسرعة حدسه، وحاشا لمقامه الشريف أن يرضى لعبده الحشر مع غير (أبناء) جنسه. وعلى كلّ حال فمن حمل أعباء القضاء شاهد أحوالاً تشيب النواصي، وعاين أهوالاً تذيب الرواسي، ولكن: (الطويل)

إلهي ظلمتُ النفَس مذ صرتُ قاضياً ... وعوضتها بالضيقِ عن ذلك الفضا
وحمّلتها ما لا تكادُ تطيقه ... فأسألك التوفيقَ واللطفَ في القضا

ووالله انّ العبد ما سطّر هذا الجواب، الاّ وهو من الخجالة قد توارى بالحجاب، لاشتماله على هذه الألفاظ السقيمة، وقبائح المذكور وأفعاله الذميمة. ولكن صحّ كما في علمكم الكريم[6] العبد يناجي ربّه، وشاع أنّ الكلفة ترتفع اذا صحّت المحبة. على أنه لا يغرب عن شريف علمكم أن بسط الكلام يحسن اذا كان الاصغاء مطلوباً، والخطاب محبوباً ومرغوباً، وما تلك قضية منكورة، بل قصة معروفة مشهورة، بعد تكرير[7] الأدعية على الدوام، والسلام الى قيام الساعه وساعة القيام.

---

(١) ظ: عنهما
(٢) ظ ل: أموره
(٣) البيتان لأبي نواس في هجاء أشجع السلمي، انظر ديوان أبي نواس، تحقيق بهجت الحديثي (بغداد، ١٩٨٠): ٦٢٦ وثمرات الأوراق (بهامش المستطرف، ١: ٩)
(٤) ظ: يحيل
(٥) ل: الاستقامة
(٦) الكريم: سقطت من ع
(٧) ل: تكرر

فلما وصلت الى جنابه الشريف تلقاها بحسن القبول، وأرسل جواباً عنها هذه المشرقة التي تكاد من رقة ألفاظها تسحر[1] العقول، صورتها[2] : (البسيط)

يا نسمةَ البانِ بل يا نفحةَ الريح ان رحتِ يوماً الى مَنْ عندهُمْ روحي
خذي لهم من ثنائي عنبراً عَبِقاً وأوقديه بنارٍ من تباريحي

شيَّد الله تعالى معالم الحقّ التي دثرت، ورفع سَمْكَ سماءِ الدين التي انفطرت، وأتاح الذكرَ الجميلَ الأعذب، وأفاحَ الثناءَ العاطرَ الأطيب، ببقاء من طَنَّ في مسمعِ العاقل[3] حديث فضله المحقّق، واستمسك الناسُ منه[4] بحبلِ استقامةٍ طال ما رثَّ في ذلك الإقليم وتمزق، واقبل على الدين اقبالَ محبٍ صادق، وقال عن الله تعالى وعن رسوله بأعذب لسان ناطق، وقال[5] في وارفِ الثقة بالله واليه بالصدقِ انتمى، وقلا[6] أهلَ الباطلِ ولكنْ بجمرٍ الى وجوههم به رمى، الحبيب الذي أجلَّه القلبُ فأحلَّه خلالَ الشراسيف[7] والضلوع، بل سواء السويداء والشغاف وهاتيك الربوع، لا زال الله تعالى يقذف به على الباطل فيدمغه[8]، ويصدع فود فؤاد الشيطان ويزلّ قدمه ويفدغه[9] ويؤيد به الشريعةعلى أنها المنهل الفرات[10] لكلِّ وارد، ويروض[11] منازه منازلها (المريعة)[12] على أنها رياض المعارف والعوارف والفوائد، في نعمةٍ ترفُّ بنسائم[13] العناية نضارةً، ونعيم يتقاطرُ غضارة، آمين.

يحيط علمكم الكريم، بعد أشرف تحية وأعطر[14] تسليم، أن الفقير ورد عليه مكتوب ولكن بقلم هو[15] أنبوبةٌ بالفضائل راعفة، ولكن مثمر بكل عارفة، وطائر ولكن بأجنحة الأنامل إلى فضاء بلاغةٍ لم يزل لديكم منفسحاً، صادح ولكن أعرب فأغرب، فما الورقاء هاتفة بالضحى في طرس هو من بياض نهار الأعياد، ومداد هو سواد ليل الاسراء، وكم وجنة ودَّتْ

---

(١) ل : تجد
(٢) صورتها : ساقطة من ع
(٣) ع : العدل
(٤) ظ ك : من منه
(٥) تحت هذه اللفظة في ع : من القيلولة، وشرح الوارف : الظل الواسع الطويل
(٦) قلا : يقلي ويقلو، أبغض
(٧) الشراسيف : رؤوس الأضلاع
(٨) اشارة الى الآية القرآنية ﴿بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه﴾ (الأنبياء : ١٨)
(٩) في بعض النسخ ويفدعه - بالعين المهملة - والتزام السجع يعني أن اللفظة بالغين كما هي في ع، وفدغ : شرخ وشق، وهي مستعملة في عامية بعض نواحي فلسطين بهذا المعنى
(١٠) الفرات : العذب
(١١) ظ : ويرفض
(١٢) المريعة : تنفرد بها ع
(١٣) بنسائم، رواية ع ل، وفي النسخ الأخرى : بنسيم
(١٤) ل : وأعظم
(١٥) هو : سقطت من ظ

نتطةٌ من ذلك السواد، وانشاء هو سحر العقول ولكن الحلال، وعذوبة ألفاظ يودها الخَصِرُ الزُّلال، ومعـان ما ذلّت لمعـان، بل لمعـان نشأت من لمعـان فكـر صقيل، ومبـان تذكرنـا ببنـاء الخليل لبيت الجليل [١] . ثم ما أشرتـم اليه [٢] من تلك القضيـة القصيّة، فـلا والله لولا كتابكـم الكـريم مـا أنا بالذي[٣] عالم لا خفيّة منها ولا جليّة، ولا أرضى الا بما يرضي الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وأنتم في فسيح العـذر بل في أعلى محلّ طبقات الشكـر على خـلاص الفقير من عهدة الآثـام. ثم ان سألتم عن مولانا شيخ مشايخ الاسلام، نعمة الله تعالى التي أرسلها الغيداقة[٤] على الخاص والعام، فحال ثابتـة المجد، منتقلة في معارج السعد، فما كلّ حـال كاملة سواها الا فضلـه، ومبتدأ خبره ثناء أملاك السماء وأقطاب[٥] الأرض على من أفـاض الله تعـالى عليـه فضله. بلغ الله تعـالى بـدولتـه[٦] المبتغى، والجملة خبرية، وأقـام بأحكامه الصَّغَى واطّرد القياس في القضية، عـالمٌ ولكنه عالم كمالاتٍ باهرة، ومرتق رتبةً سماء سموه يخضع لها ابناءُ الدنيا ويدعو بمزيدِ تعاليها أبناء الآخرة. فعينُ الله تعالى على زمان أحياه الله تعـالى بعد زمانة وبلا، وعـلاّمة ان سئل معروفاً فـالسيلُ فوق الربى، أفعمَ فعمّ، فجوابه نعـم(٧)، وحاشاه أن يجيب بلا، وما رقـم الفقير هذه الصبابة الاّ ليزيـدكم علماً بما للقلب به من صبابة. وأنتم في أمان الله تعالى وحفظه والسلام على الدوام[٨].

ثم ان العبد كـان في تلك الغضون، كتب لمولانا قـدوة الأعالي(٩) والمدقفين، وخلاصـة الأفاضل المتبحرين(المحققين)[١٠] الشيخ اسماعيل [١١] النابلسي(38) - أسبغ الله تعالى عليه سوابغ الانعام - مكتوباً تضمن [١٢] نوعـاً من ذمّ مصر ومدح دمشـق الشام، فيـه ما [١٣] عبارته : وان سـأل مولانا - أدام الله تعالى أيـامه الـزاهرة - عن احـوال المحمية القـاهرة، فقد وجـد الفقيرما كانوا يصفـونه من محاسنها انما هو من طريق المبـالغة بل من قبيل القول الكاذب، أو من قبيل: «وللنـاس فيما يعشقون

---

(١) يعني بناء ابراهيم الخليل للكعبة
(٢) ل : به
(٣) ر : « ما انا بالذي لولا كتابكم الكريم »
(٤) الغيداقة : صفة للنعمة أي الغزيرة
(٥) ل : وأقطار
(٦) ل : دولته
(٧) فجوابه نعم : سقط من ل
(٨) بعد هذا ورد النص الذى تقدم في ع « وأوله ومما كتبت لحضرته العلية . . . وان لم يكن هذا وقت النظم »
(٩) تقرأ في بعض النسخ الأعالي، وفي بعضها الآخر : الأمالي
(١٠) ما بين معقفين من ل وحدها
(١١) في النسخ ما عداع اسماعيل بن
(١٢) ل : يتضمن
(١٣) ما : سقطت من ل

مذاهب»[١] يعدّ من متنزهاتها[٢] المكان المسمى ببولاق(39)، ولكن لطول الفصل بينه وبين مصر يعسر في كل آن اليه الذهاب والانطلاق، وربما يكون طريقه مَخُوفاً فيحجم الانسانُ عن السير ويحصل له الامتناع، ويستحضر قضية «مررت على وادي السباع»[٣]. على أنّ المكان المذكور وان اشتمل على الماء الا أنّه عديمُ الخضرة، وليس به أنيس مكتس ملابسَ النضرة. ومع ذلك لا يوجد فيه غير السمك لكن ترى الفُلْكَ فيه مواخر، واذا افتخر فإنه مفتخر تقول له: «اذا ما تميمي أتاك يفاخر»[٤]. فقل لمن يقايس متنزهاتها[٥] بدمشق: هذا قياسٌ باطل، وأنّى يلحق الناقصُ بالكامل. وأما حضرة الأفندي - حفظ الله تعالى طلعته العليّة - مغرم بمدح دمشق المحمية، دائماً يتذاكر[٦] ما مضى له فيها من الحضور في تلك الأيام الخالية، ويتأسف على ما مرَّ له من حلاوة العيش في هاتيك[٧] الأوقات الماضية، وينشد: (السريع)

لله أيـــام تقضَّـتْ لنـــا ... مـــا كـــان أحـــلاهـــا وأهنـــاهـــا
مَـــرَّتْ فلـم يبـقَ لنـــا بعـــدهـــا ... شيءٌ ســـوى ان نتمنـــاهـــا

والفقير كثيراً ما يستحسن دمشق على مصر فيوافقني[٨] على هذا الكلام ويقول[٩] للمخالفة[١٠]: (الوافر)

فكيف اذا مـــررتَ بـــدارِ قـــومٍ ... وجيرانٍ لنـــا كـــانـــوا كـــرام[١١]

---

(١) شطر بيت شعر، وصدره: كلفت بها شمطاء شاب وليدها (وقد ورد في هامش ع)
(٢) ع ظ: متنزهاتها
(٣) من بيت شعر ورد بهامش ع ك (وهو في معجم البلدان - وادي السباع)
مررتُ على وادي السباعِ ولا أرى ... كوادي السباع حين يظلمُ واديا
(٤) اراد هنا قول الشاعر:
اذا ما تميمي أتاك مفاخراً ... فقل عدِّ عن ذا كيف أكلك للضبِّ
(وقد ورد في هامش ع ك) وهو من شعر ابي نواس، ديوانه: ٥٧٧
(٥) في أكثر النسخ: متنزهاتها، والصواب تقديم التاء على النون
(٦) ل ع: تتذاكر، ظ، يتذكر
(٧) ل: تلك
(٨) فيوافقني: سقطت من ل
(٩) ع: ونقول
(١٠) للمخالفة: سقطت من ل
(١١) البيت للفرزدق، ويستشهد به النحويون على أن كان زائدة وفصلت بين الموصوف والصفة وذلك هو رأي سيبويه في الكتاب (ط. بولاق) ١: ٢٨٩ وعدّها آخرون غير زائدة، انظر المقتضب للمبرد، تحقيق عبدالخالق عضيمة (القاهرة، ١٣٨٨ هـ): ٤: ١١٦ - ١١٧

وأما هذا العبد فطالما[1] تحركه الى جهتهـا سواكنُ الأشـواق، وتكادُ تجذبـه اذا تقاعس بـالأطواق، لا يصغي الى تفنيد في حبِّها ولا ملام، واذا مزج دمعه بدم[2] يقال تذكَّر عهداً بالشآم[3]. وبالجملة فان شطّت بنا الدار[4] وكان بيننا وبينها[5] «كما حكم البين المشتُّ فراسخ» ولكن: (الطويل)

* وأمّا الذي في القلب منها فراسخ *

(إذ تذكر)[6] تلك المعاهد يفيض دمعه من العيون، وان ذهب عنها كلَّ[7] مذهبٍ ففي قلبه من قاسيون[8]، نـار شوق الى الالمام بتلك الأمـاكن لا يملك القلب دفـــاعه، «ولو لم يكن الا معـرّج ساعة»[9]، وعلى كلّ حال فان أتهم القلـب أو أنجد، وحيثما كان من الأرض[10] قرب[11] أو أبعد، فلست عن حبكم أبـدا ساليا، وإن ملت الى جهـة الجنوب «ينـازعني الهوى عن شماليا»[12] فالسلو (عن عبوديتكم)[13] ومحبتكم من قبيل المحال، كيف لا «والقلب من جهة الشمال»[14]. فنسأل الله تعـالى ان يقـرّب أيـام التـلاق، بطي شقّـة البين والفـراق، لنكـون تحت نظـركم السعيـد، وظلكم

---

(١) ل: فلطالما

(٢) من قول البوصيري: مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

(٣) منتزع من بيت شعر ورد في هامش ع ك ومتن ل وهو:

تذكر عهداً بالشآم ومربعا ... وملهى لأيامِ الصبا ومرتعا

(٤) ل: الديار

(٥) وبينها: سقطت من ل

(٦) ل: تذكرت

(٧) ل: واذا ذهب كل

(٨) اشارة الى بيت شعر ورد في هامش ع ل وبعضه في متن ل:

وفي كبدي من قاسيونَ حرارةٌ ... تزول رواسيه وليس تزولُ

(٩) من قول الشاعر (ورد البيتان في هامش ع والثاني بهامش ك، وبعض الثاني في متن ل):

ألما على الدار التي لو وجدتها ... بها أهلها ما كان وحشاً مقيلها

ولم لم يكن الا مُعَرَّجَ ســـاعةٍ ... قليلاً فاني نــافع لي قليلهـــا

والبيت الثاني لذي الرمة (ديوانه ٢/ ٩١٣) أما الأول فقد ورد بدله عند ذي الرمة:

ألما بمي قبل أن تطرح النوى ... بنا مطرحاً أو قبل بينٍ يُزيلها

(١٠) ل: الأمر

(١١) ع: أقرب

(١٢) من قول المجنون:

يميناً إذا كانت يميناً وان تكن ... شمالا ينازِعُني الهوى عن شماليا

(١٣) ما بين معقفين انفردت به ع

(١٤) من قول الشاعر (بهامش ع ك) (من الوافر):

أيا أرض الشمال فدتك نفسي ... وأصغر أن اقـول فدتك مـالي

وقالوا مِلْ الى جهـــةٍ سواهـــا ... فقلت القلبُ في جهة الشمال

المديد، لا «بـرحَ في الأقطـارِ محيّاً»، وقـد يجمع الله الشتيتين بعدما[١] والسـلام الى ساعـة القيـام.
فاتفق أنّ مولانا الشيخ المشار اليه، وقف على مـا تضمّنه المكتوب واشتمل عليه، وحصل مع حضرته حالتئذ مباسطة في الكلام، وذكرنا طرفاً ممـا قاله ظرفاءُ الشعراء في مدح مصر والشام. وبعد ذلك بتنا عنده ليلة[٢] في بيتـه الذي على بـركة القـرع(40)، وكانت ليلـة مقمرة، وبـوجوده الشريف مـزهرة، اختلسناها من بين الليالي بأيدي الفرص، فقص علينا من نفائس أشعاره البليغة[٣] أحسنَ القصص، وجلا علينا من أبكار معارفه عرائس أفكار حيّرت الشعراء، ونثر علينا من لآلِيء معانيه البديعةِ دررا.
ثم قـال للعبـد في أثناء المصـاحبـة: وهل يـوجـد في دمشق مثل هـذا المكان؟ فقلت – وقـد عـرفت مراده[٤]: لا والله يا مولانا من حيث تشريفه بطلعتكم الرفيعة الشان. وقلت مخاطباً لحضرته الشريفة رفع الله تعالى محلها (الطويل):

* وتستعذب الأرضُ التي أنت حلّها[٥] *

فقال: مع قطع النظر عن الحيثيـات والأغيار فأنشدته: «ومـا حبّ الديار»[٦]. ثم إنه أورد شيئاً يتضمن مدح[٧] مصر بالمناسبة، وقصد الملاطفة والمصاحبة[٨] فانجرّ الكلام الى ابن سناء الملك(41) وجلالة[٩] قدره، وأورد في المجلس شيء[١٠] من شعره، فقـال مولانا الشيخ حفظ الله تعـالى حضرته العلية، ومـا أحسن قولـه كذا، وذكـر شعرا يتضمن نـوعا من ذم دمشـق المحمية[١١]. فقلت لـه يا مولانا:

---

(١) هو صدر بيت، وعجزه: يظنان كل الظن أن لا تلاقيا، وهو للمجنون في ديوانه: ٣١٥، وقد ورد البيت كاملا بهامش ع، وفي متن ل، وورد صدره في متن جميع النسخ ما عدا ظ

(٢) عنده ليلة: سقط من ل

(٣) البليغة: سقطت من ل

(٤) ع: قصده

(٥) بهامش ع ك بيتان، والثاني منهما بهامش ر، وعجز الثاني في ل

لعمري لقد سُدْتَ الأنامَ فأصبحْت ... اليك بنو الآمالِ تسعى وترغبُ

وتُسْتَعْذَبُ الأرضُ التي أنت حـلها ... وكـلّ مكانٍ ينبتُ العِزّ طيـب

(٦) بهامش ع بيتان والثاني منهما في متن ر ظ وهامش ك (من الوافر):

أمرّ عـلى الديارِ ديارِ ليلى ... أقبِّلُ ذا الجـدارَ وذا الجدارا

وما حبُّ الديارِ شغفن قلبي ... ولكنْ حبُّ مَنْ سكنَ الديارا

(٧) مدح: سقطت من ر ل

(٨) ع: في المخاطبة، ر: في المصاحبة

(٩) ع ر ل: ونباهة

(١٠) ع ل ر: الشيء

(١١) يشير الى قول ابن سناء الملك (ديوانه: ٥٨٣):

دمشق قبرُ الدين كم منكرٍ ... فيها ولكنْ ما عليه نكير

ولــــو كـــــان شعــــراً واحـــــداً لاتقيتــــه ولكنّـــــه شعـــــر وثـــــان وثـــــالـث[١]

ثم ضحك كثيراً والتفت الى الشيخ نور الدين العسيلي(42)[٢] وقال له : يا مولانا وفاضل عصرنا ، ان الشيخ محبّ الدين من أكبر المتعصبين على مصرنا ، ولو رأيتم المكتوب الذي كتبه سابقاً الى دمشق يتشوق الى اخوانه ، ويتشوّف الى أوطانه ، ومدحته[٣] لدمشق المدحة الوافرة ، وتفضيله لها على المحمّية القاهـرة ، لرأيتم العجب العجاب ، الى غير ذلك مـن الملاطفة في الخطاب . والتقطنـا تلك الليلة من فوائده الشريفة مـا يفوق الدرر، وشاهـدنا من حسن محاضرته لطفاً أرقّ من نسيم السحـر، وقضيناها ليلة كاد يسبق آخرها أوّلها وأولها آخـرها ، ولم يكن عيبها الاّ تقاصرها[٤] . ثم إن عوامل[٥] المودة بيننا تأكدت بحيث صار الفؤاد مشغـوفاً بمحبته ، وكان العبد دائماً يعطّر مجالس قـاضي القضاة بمدحته . فاتفق أنه جاء[٦] في بعض الليالي لـزيارة[٧] مولانـا قاضي القضاة فأبـدى من نكته ولطـائفه العجَب العُجابَ ، وأملى[٨] من فوائده وفـرائده ما حيّر العقول والألباب . فعـرض عليه مولانا قـاضي القضاة هذا الفقير[٩] وقال لـه : هذا الشيخ محبّ الدين ما هـو الا عبد جنابكم الخطير، فوالله لقـد وقع هذا الكلام عند العبد ألطفَ موقع ، وحلّ من قلبه أحسنَ موضع ، وأنشدت[١٠] عند ذلك : (الكامل)

مــــذ صـحَّ عنـــــدي أنني عبـــــدٌ لكـم صَغُـــــرَ الـــــوجـــــوُد بعينـــــهِ في همتي
ولقـــــد أتيــــه على الـــــوجـــــود تعــــززاً لما نُسِبْـــــتُ لكـــم وصحَّـــــتْ نسبتـــــي

ثم تشرفت بعد ذلـك المجلس بمشاهدة ذاتـه المحمية ، وعـرضت عليه[١١] قصة المحبة والعبـودية ، وقلت لـــه: يـا مـولانـــا ان عبـوديــة هــذا المخلص لكـم مبينـة[١٢] لا تحتـــاج في اثبـــاتها الى

---

(١) محوّل عن قول الشاعر :

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهم وثان وثالث

(٢) زاد في ل : وكان مختصاً بالشيخ ، وكانت له يد

(٣) ل : ومدحه

(٤) بهامش ع ، ازاء هذا الموضع ، مثله :

يـــــا رب ليـل سرورٍ خلتـــــــه قصرا كعـــــارضِ البرقِ في أُفقِ الـــدجى بـــــرقـــا
قـــــد كــــاد يعثـــرُ أولاه بــــآخـــره وكـــــاد يسبق منـــــه فجـــــره الشفقـــــا
ويـــومِ سرور قـــــد تكـــــاملَ حسنُـــــهُ ســـــوى قصرٍ لا عيبَ فيـــــه ســـــواه
وعهـــديَ بـــه كـــالـــرمح طـــولا فعنـــدمـــا (. . . .) والتقـى طـــــــــرفـــــاه

(٥) ل : عوائد

(٦) ر ك : جاء مولانا

(٧) في . . . لزيارة : سقط من ظ

(٨) ر : وأبدى

(٩) ظ ك : العبد الفقير ساقطة في نسختي ظ ع

(١٠) ع ل ر : وأنشد

(١١) عليه : سقطت من ر

(١٢) ل : سنية

بيّنة، كيف لا وقد حكم بموجبها قاضي المحبّة، وشافهكم بذلك مرة في أثناء الصحبة. ولله درّه قاضياً أحسن في أداء هذه الشهادة الحسنة الحسبة، فاني[١] والله لم أزل أثني على مقاصده المستجادة، وأشكره ولا كشكري على هذه الشهادة. هذا ولو ذكرنا بعض[٢] فضائل مولانا ومحاسنه، لعجز عن حصرها القلم وكلّ لسانه، وضاق صدر الطرس وان كان متسعاً ميدانه: (الطويل)

وليس يزيد المرءَ قدراً ورفعة ... إطالةُ وصّافٍ واكثارُ مادح[٣]

وقد[٤] تعين أن نذكر حينئذ شيئاً من تراجم المشهورين من علماء الديار المصرية بطريق الايجاز والاختصار، وأما ترجمتهم[٥] بالاطناب فذاك شيء لا تحويه الأسفار.

١ - محمد الرملي، فأما الامام[٦] العالم العلامة، والحبر البحر[٧] الفهامة، شمس الملّة والدين، الشيخ محمد الرملي الشافعي(43) - فسح الله تعالى في أجله، ونفع المسلمين بعلمه وعمله - فانه هذّب المذهب وحرره، وتكاد[٨] غالب مسائل[٩] الفقه في حفظه مصوّرة. انتهت اليه معرفة الفقه في هذه الديار، واشتهر بذلك غاية الاشتهار، بحيث لا يختلف في ذلك اثنان، ولا يحتاج فيه الى إثباتِ حُجَّةٍ واقامةِ برهان[١٠]، وانه بلغ فيه الى[١١] الدرجة القصوى، وصار المعول عليه في[١٢] هذا العصر في الفتوى. وصل في ذلك الى أسنى[١٣] محل وأرفع مقام، حتى يقال عندما يتكلم «اذا قالت حذام»[١٤].

---

(١) ع: واني

(٢) بعض: سقطت من ر

(٣) بهامش ع: أصله

وليس يزيد الشمس نوراً ورفعة ... إطالة وصاف وإكثار مادح

(٤) ك ر: هذا وقد

(٥) ل: تراجمهم

(٦) الامام: سقطت من ر

(٧) البحر: سقطت من ل

(٨) ع: ويكاد

(٩) ر ل: مسائلة

(١٠) ل: حجة ولا برهان

(١١) الى: سقطت من ل

(١٢) في: انفردت بها ر

(١٣) ل: أرفع

(١٤) من قول الشاعر:

اذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام

ورد البيت في ك ر ع ل

٢ – نجم الدين الغيطي ، وأما حافظ الوقت وحيد [١] دهره ، ومحدث عصره ، الرحلة الامام والعمدة الهمام ، الشيخ نجم الدين الغيطي(44) فانه محدّث هذه الديار على الاطلاق ، جامع للكمالات الجمّة ومحاسن الاخلاق ، حاز أنواع الفضائل والعلوم ، واحتوى على بدائع المنثور والمنظوم . إذا تكلّم في الحديث بلفظه الجاري ، أقرّ كلّ مسلم بأنه البخاري . أجمعت على صدارته في علم الحديث[٢] علماء البلاد ، واتفقت على ترجيحه بعلو الاسناد .

٣ – الطبلاوي ، وأما الفاضل العلاّمة ، والمدقق الفهامة ، الشيخ أبو النصر ابن[٣] الطبلاوي(45) المدقق الكامل ، فانه مشتمل على أنواع من الفضائل ، فاق بعدة فنون على أقرانه ، وتميّز بذلك على أبناء زمانه . أقرّت [٤] له الفضلاء بالاعتراف ، واتفقت على أنه فاضلُ وقتِهِ بلا خلاف .

٤ – يوسف الشامي ، وأما جمال الملّة والدين الشيخ يوسف الشامي(46) ، ذو التحقيق والفضل السامي[٥] فهو في العلوم الغريبة والفنون الدقيقة ، أفضل من في مصر على الحقيقة . مشغول[٦] دائماً باقراء التفسير والمطول والعضد والرضي[٧] والمواقف والمطالع[٨] . وان عزّ مشكل أو غريب فإليه يشار بالأصابع . وأما تواضعه وخفض جناحه فلا يتأتّى من صاحبِ نفسٍ بشرية ، والعجبُ أنه مع اشتماله على هذه الفضائل والكمالات ليس له من الجهات في مصر الاّ نحو أربعة عثمانية . وقد عجبت حيث كان نصيب هذا الفاضل نصيباً محقّراً ، وفي الحقيقة لا عجب فان من عادة الدهر أن يمشي بمثله[٩] القهقرى[١٠] : (الكامل)

والاحمقُ المرزوقُ أعجبُ من أرى ... في دهرنا والعاقلُ المحرومُ

وبالجملة [١١] : (الطويل)

---

(١) ل : جيد
(٢) في علم الحديث : سقطت من ر
(٣) ابن : سقطت من ظ
(٤) ل ر : أقرّ
(٥) هنا ينقطع النص في ر
(٦) ل : مشغولا
(٧) الرضي : سقطت من ع
(٨) عدّ هنا كتبا بأعيانها : فالمطول على التلخيص للتفتازاني ، والعضد (او العضدي) هو الايضاح في النحو ألفه أبو علي الفارسي لعضد الدولة . والرضي يشير الى الشافية أو الكافية والمواقف لعضد الدين الايجي ، والمطالع عدة كتب يبدأ اسم الواحد منها بهذه اللفظة مثل المطالع السعيدة للسيوطي والمطالع المشرقة للسبكي .
(٩) بمثله : سقطت من ل
(١٠) بعده : في النسخ لفظة شعر وفي ل : وبالجملة
(١١) ل : آخر

ولـــــو كــــــانت الأرزاقُ تجري على الحجـى اذن هلكتْ من جهلهنَّ البهـــــائمُ [١]

ثم ان المذكور قليل التردد الى القضاة ولكن الـزمه العبد مرة بالاجتماع بمولانـا قاضي القضاة- أدام الله تعالى أيامه - وقلت له ، ان من المتعيّن في أيام سعادتكم اكرام الفاضل واحترامه . فوعد بأن [٢] يكرم مثواه ويبلّغه مناه، فـاتفق في تلك الأيام انحلال شيء من الجوالي، فأنعم عليه بذلك اغتنـاماً لدعائه المتوالي.

٥ - أحمد بن قـاسـم، وأمـا الفـاضل المحقق، والعـلامـة المدقق، الشيخ شهـاب الـدين أحمد بن قاسم(47)الفاضل [٣] المشهور، فانه في أنواع الفضائل مساو للشيخ يوسف المذكور، وهما في الفضل فرسا رهان[٤]، ورضيعا لبـان، وممارسـا فصاحـة وبيان، بل هما في التسـاوي والتشابك، والتشـاكل والتشارك، كما قال البحتري : (الكامل)

كالفرقديـــــــن اذا تأمـــــــل نـــاظــرٌ لم يعل مــوضـعُ فــرقــدٍ عن فــرقـــدِ[٥]

وقد تفضل مـولانا قـاضي القضاة - أحسن الله تعالى اليـه - ورتب للفاضل المذكـور شيئاً من الجوالي أيضاً وأنعم عليه.

٦ - علي المقدسي : وأما مولانا المحقق العلامـة، والامام الكامل المدقق الفهامة، الشيخ علي المقدسي الحنفي(48) - عـامله الله تعـالى بلطفـه الخفي - فالمعـوّل في الفتوى الآن عليـه في الـديار المصريـة، والمرجع اليـه من بين السادة الحنفيّـة. وهو في الحقيقة جـامع لكمالات[٦] عديدة، ومالكٌ لفنونٍ [٧] غريبة مفيـدة، وله اطلاع على عـلوم كثيرة، ووقـوف على معـــارف[٨] غزيرة، فاق بهـــا على فضلاء هذا[٩] الزمان، وتميـز بها على علماء هذا الأوان، مع ما جبل عليه من دماثة الاخـلاق، وسلامة طبع فاق بها على الاطلاق.

٧ - الـذيب، وأما الشيخ الملقـب بالـذيب (49) فكنّـا لما [١٠] نسمع بـاسمه نتصـوّر من مفهومـه

---

(١) البيت لأبي تمام
(٢) ل : فوعده بأنه
(٣) الفاضل : سقطت من ظ
(٤) ل : كفرسي رهان
(٥) بل هما. . . عن فرقد : سقط من ع وجاء في هامش ك ومتن ظ
(٦) ع : جامع كمالات
(٧) ظ : وله اطلاع على علوم كثيرة ومالك لفنون
(٨) ل : علوم
(٩) هذا : سقطت من ل
(١٠) لما : سقطت من ل

اغتيال النفوس كتصور الشاة معنى في الذيب ، وحسبك ما يقال لكلّ مسمّىً من اسمه نصيب .
حتى برز هذا التصور الى التصديق ، ووقع له واقعة يوم دخول قاضي القضاة بالتحقيق . وذلك من عجيب ما اتفق في ذلك النهار[١] . ومن غريب ما حدث فيه حسبما سبقت به الاقدار. وما ذاك الاّ ان رجلاً مُسِنّاً عمره نحو تسعين سنة أتى ليطالبه بأربعة أنصاف كانت له في ذمته ، فتشاجر معه ، قيل ان الشيخ وكزه فقضى عليه من ساعته ، وذلك ليلة القدر في المدرسة التي هي بالأشرفية مشهورة (50) ، وسئل عن خصوصيّة المكان فقيل ان الشيخ مع كونه مدرس الشيخونية(51) بخمسين عثمانياً ، بواب هذه المدرسة المذكورة . وكان ذلك أمرا قضى[٢] الناس منه العجب[٣] وحصل على المذكور غاية الانكار بهذا السبب .

٨ - بدر الدين القرافي : وأما مولانا العلامة ، والعمدة الفهامة ، المتصف بالفضائل والفواضل في جميع المسالك ، الحائز لرق الآداب فهو للفتوة متمم وللفتاوي مالك ، بدر الملة والدنيا والدين ، القاضي بدر الدين القرافي المالكي (52) فإنه أتقن مذهبه غايةَ الاتقان ، واحتوى على أنواع الفضائل ونباهة الشان ، وله جامكيةٌ حسنة ، وحسن انشاء واشعار مستحسنة . دائماً يواصلنا بمكاتباته ، ولا يقطع عنّا حيث كنّا ترسلاته[٤] ، وكان عرض له بترقّ في مدرسة السلطان حسن(53) الفقهية المالكية ، وأرسلنا العرض مع مندوبنا الذي وجهناه في مصالحنا الى الأبواب العلية ، فأتانا منه[٥] مكتوب يتضمن أنه تم للمشار اليه الترقي المذكور، فكتبنا له أبياتاً نعلمه بما تضمنه المكتوب[٦] المسطور، صورتها : (الخفيف)

اسعد الله طلعة البدر قاضي الـ	ـفضلِ والعلم والفنون الشهيره
بصنوف من السعاداتِ والا حـ	سان[٧] والمجد والهبات الغزيره
جاءنا من دار العدالة مكتو	ب وأنباءٌ عن واقعات كثيره
فيه أن المراد وهو الترقي	لكم تمَّ خمسة مسطوره
لا برحتم في رفعةٍ وترقٍّ	وكمال وطلعة مستنيره

فكتب لي جواباً عن ذلك ، صورته[٨] : (الخفيف)

دمت للفضلِ والفواضل كنزاً	وهماماً حوى[٩] من العلم خيره

(١) وذلك من عجيب . . . النهار : سقطت من ل
(٢) ظ : كان قضى
(٣) ل : قضى منه الناس بالعجب
(٤) ل : توسلاته
(٥) منه : سقطت من ظ
(٦) ل : الكتاب
(٧) الاحسان : سقطت من ظ
(٨) صورته : سقطت من ل
(٩) ل : يحوي

من حـــديثِ كـــذاك تفسير آيٍ	آيـــة الله لـــلأنـــام شهيره
وفـــروع كـــذاك حسن بيـــان	وكـــلام تـــراه حقـــاً أميره[1]
وقـــريض يفـــوق دراً بـــديعـــاً	واليـــه الآداب أضحتْ مشيره[2]
قـــد أتـــاني المديح يبـــدي سروراً	استـــوى فيـــه ظـــاهـــرٌ وسريـــره
صحب المجـــد والبشـــارة فضـــلا	يـــا لها منـــة بأحسنِ سيره
هكـــذا الفضل من امـــام محبٍ	قـــد رعى عبـــده فكـــان بشيره
اســـال الله ذا[3] الجلال ارتقـــاءً	لمقـــام بـــه الأمـــاني الأثيره
ليرى بـــارعٌ نفـــاذَ قضـــاء	ويـــرى الخصم حكمـــه بـــالبصيره
وصـــلاة لأفضل الخلق جمعـــاً	مظهـــر الحق جهـــرة ونصيره

٩ – محمد الفارضي : وأما شاعر مصر في هذا الأوان، من فاق برائق شعره بلغاء الزمان، الفاضل الأديب، والبليغ الأريب، الشيخ محمد الفارضي(54) فهو مع فصاحة شعره وبلاغة نظمه ونثره، حاز قصب السّبق بالعربية، وتميز على أهل العصر بنكته الأدبية. كتب لي وأنا قاض فوّة (55) مكاتبة لطيفة مختصرة، ستقف عليها ان شاء الله تعالى في محلّها مسطرة. سأله يوماً بعضُ طلَبة العلم أن ينظم له ترتيب التوابع فنظمها في بيت جامع وهو: (الطويل)

اذا اجتمعت فـــالنعت قـــدّم بـــه اعتلقْ	بيـــانٌ وتـــوكيـــدٌ وجيـــا بَـــدَلٌ نَسَق

ونظمها[4] الفقير في ذلك الحال، في بيتين فقال : (الطويل)

اذا اجتمعت يـــومـــاً لـــديك تـــوابع	ورمتَ لها الترتيبَ في ذكـــرٍ اتسقْ
فنعتٌ بيـــانٍ ثم تـــوكيـــد بعـــدَهُ	إلى بـــدل ثم اختم الكلَّ بـــالنَّسَقْ

١٠ – سري الدين ابن الصائغ : وأما الرئيس الفاضل، والمحقق الكامل، الشيخ سري الدين ابن الصائغ (56)، والشهاب الذي في سماء الفضل بازغ، فقد انتهت اليه الرئاسة[5] الطبية في الديار المصرية. ومع ذلك فكم لـه من انشاء رقَّ وراق، وبراعـة تميّز بها على البلغاء وفاق. وكان حصل للفقير دُمَّلٌ توعَّكَ منه المزاج، واحتاج في بنائه على الفتح الى نوع علاج. فأرسلت الى ذلك الفاضل الهمام، وكتبت اليه بعد فواتح السلام: أيها الرئيس البارع، والبدر الذي في أفق البلاغة طالع، ذو[6] الحكمة التي أعيا بها جالينوس، والحذاقة التي حار فيها بقراط وبطليموس، أشكو اليك دمّـلاً أبطأ فجـره، وألم ضرّه، وأضمـر عـامله لا على شريطـة التفسير،

(١) وكلام . . . أميرة : سقطت من ل
(٢) ل : شهيرة
(٣) ك ظ : ذو
(٤) ل : فنظمها
(٥) الرئاسة : سقطت من ظ
(٦) ك ظ : ذا ، ل والحكمة

حصل منه ألم كثير، فتفضلوا بما يبرز بما استكنّ [١] فيه على عجل، وبما ركب علاجاً [٢] لتنازع [٣] ما فيه من العمل، بحيث يصير هذا المضمر مبنياً على الفتح، لتنطق الألسنة بالدعاء، ونعرب عن أفعال المدح. والسلام على الدوام.

فأرسل المشار اليه [٤] شيئاً يلائم ذلك، وكتب عن ذلك جواباً صورته: هل لك أيها الممتزج بالروح امتزاج الماء بالراح، المهدي الى النواظر النّزه [٥] والى النفوس الارتياح، الداعي برسالته المعجزة الألفاظ الى جنّة ناضرة، المبرز بدلالته وجوه المعاني الناضرة، إلى عيون البيان الناظرة [٦]، لا زالت أزمة الرغباء [٧] منقادة منا اليك، ونواصي البلغاء معقودة أعنتها بيديك، والفصاحة لا تمدّ سرادقاتها ولا تقصر مقصوراتها الآّ عليك: (الطويل)

ودمت الى كلِّ القلوبِ محبباً وفي كلِّ عين شاهدتك حبيبها

في بناء ذلك الدمّل العاصي عن الاندمال على الفتح، ونصب ثناء العامل من الأدوية على المدح، والدخول على جمع مادّته بصورة التكسير، وتصريفها بالتحويل الى وضعيات التغيير، وارخاء الشدّ كي لا يكفّ الدواء ولا يلغى عامله، وتقوية المعمول بالتجلّد على التأثير الذي ارتفع فاعله، فبذلك ان شاء الله تعالى تفترُّ ثغوره، وينبسط على جلد الجلد غروره [٨]. والله تعالى يديم معاهد [٩] الفضل بك آهلة، والفضلاء من مناهلك ناهلة، والنبلاء في ظلال ظلّك قائلة، لتكون ألسنتهم بأحمد المحامد فيك قائلة، آمين [١٠].

وأما بقية الأفاضل بمصر فإنهم لرثاثة حالهم ليسوا بمشتهرين، واذا مشى أحدهم بين الناس لا يكاد يبين، مطروحون في زوايا الخمول، ولا يترفل [١١] في المناصب الآّ الجهول: (الطويل)

أرى الدهرَ من سوءِ التصرف مائلاً الى كلِّ ذي جهلٍ كأنَّ به جهلا [١٢]

---

(١) ظ ك : اسكن
(٢) ظ ك ل : عاجلا
(٣) ل: ينازع
(٤) زيادة من ع
(٥) ع : التنزه
(٦) ل : الى عيون ابنا ناظرة
(٧) ل : الرعاية
(٨) ل: غورة (اقرأ : غؤوره)
(٩) ظ : معالم
(١٠) لتكون . . . آمين : سقطت من ل
(١١) ل : يرفل
(١٢) البيت في شرح مقامات السيوطي، مقامات السيوطي، (تحقيق سمير الدروبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩) : ٢ : ١٠٢٦

فتذكرت عند ذلك قول القائل : (الطويل)

عتبتُ على الـــدنيـــا لتقـــديم جـــاهلٍ ... وتأخير ذي فضـل فأبـــدت [١] ليَ العـــذرا
بنــــو الجهـل أبنـــاءٌ لـــــذاك أحبهـم ... وأهـل النهى أبنـــاءُ ضَرَّتِيَ الأخـــرى [٢]

ثم ذكرت حال هؤلاء الفضلاء، لمولانا قاضي القضاة أسبغ الله تعالى عليه مواهب الافضال، وبلَّغْتُهُ ما اشتمل المذكورون عليـه من الفضل والكمال. فوعـد - أدام الله تعالى أيـامه وزاد عـلاه - أن يبلّغ كُلاًّ منهم مناه.

هذا ثم قصد مـولانا قاضي القضاة ثاني يوم دخولـه للاقتداء بوالده المرحوم شيـخ الاسلام، وتوجَّهَ الى زيارةِ مَنْ في القاهرة من الصحابةِ والأئمةِ والأوليـاءِ الكرام، فزرنا تلك الاماكن الشريفة ومن فيها من الصحابة، كقبر عقبة(57) وشهدنا ما حـواه مقامه الشريف من الجلالة والمهابـة، ومقام امام الأئمة محمـد بن ادريس الشـافعي (58) رضي الله عنـه، ومـــا جـاوره مـن قبر علي بن الحسن [٣] بن زين العابدين(59). وقبور العلماء العاملين : كالقـاضي زكريا(60) وملاّ مغوش(61) المترجم بعالم الربع المعمور، وحصلنا على كمال البركـة والأجور. وتمثَّلنا عند قبر هذا الفاضل، بما قـاله فيه رثاءً [٤] ذلك القائل [٥] : (الوافر)

ألا يـــــا مـــــالكَ العلماءِ يـــــا مَـنْ ... بـــه في الأرضِ أثمــــر كـلُّ مَغْـــرِسْ
لئـن أوحشت تـــــونسَ بعـــــد بُعْـــدٍ ... فـأنـت لمصرَ ملْـكَ الحُسْـنِ تُـــــؤْنِـسْ

ثم انعطفنا الى مقام الليـث بن سعد (62)، ومقام السيدة نفيسة (63)، ومـا اكتنف تلك البقاع من الاماكن الأنيسـة. ثم زرنا مقام سيـدي عمر بن الفارض (64) ، وشاهـدنا في مقامـه الأنس اللائح والنور الفائض. ثم بعد ذلك توجهنا للجيز (65) لزيارة كعب الأحبار (66)، وما في تلك البقاع من قبور الصالحين الأخيار. ولم يكن دأب مولانا الاّ قصد الزيارات واستباق الخيرات.

ثم لما قضى تلك الزيارات تصـدى لفصل الأحكام الشرعية [٦] بين الأنام، متمسكـاً من تقوى الله تعالى بالسبب الأقوى، محافظاً على العمل بالأوامر الشرعية في السرّ والنجوى، فسار - أدام الله تعالى أيّامه - في الناس سيرة حسنة، ونطقت بالدعاء له من الخواصّ والعوام جميع الألسنة. وسلك - أسبغ الله تعالى نعمه عليه - مسلكا لم يسبقه أحد من القضاة اليه [٧].

---

(١) ل : فقالت
(٢) جاء البيت بهامش ل ع وفي متن ظ، ولم يرد في ل
(٣) ل : الحسين
(٤) فيه رثاء : رواية ع، وفي سائر النسخ : رثاء فيه
(٥) القائل : رواية ع، وفي غيرها : الفاضل
(٦) الشرعية : سقطت من ع
(٧) ل : عليه

وكان يُجِلُّ العلماءَ غايةَ الاجلال والاعظام، ويعاملهم بأنواع التبجيلِ والاحترام. واتبع حَذْوَ والده المرحوم في جميع مقاصده، ولا غرو أن يحذوَ الفتى حذو والده. وأحاط بأحوالِ مصر علماً حتى بلغ أقصاها، ولم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الاّ احصاها[1]. ووجّه إلى إزالةِ المنكراتِ همّةً عالية عظيمة، حتى قطع أصل أمّ الخبائث من مصر فكانت عقيمة، ولم يدعْ بيتَ خمرٍ الاّ كَسرَ دنانه، وخلع أوتاده وقطع أسبابَهُ وهدَم أركانه. ولم يبقِ حاناً في مصر العتيقة وبولاق إلاّ جعلها «خاوية على عروشها» [2] ولخمرها أراق، حتى سلا الناس عن[3] ارتضاع كأس المدام: (الطويل)

* سُلُوَّ رضيعٍ قد علاهُ فطامُ [4] *

ولقد شاهدنا كسرَ دنانِ خمر في مصر العتيقة على طرفِ النيل، فخالطته بحيث غيَّرت لونه الأول، وذكّرنا ذلك[5] قول القائل: (الطويل)

فما زالت القتلى تمجُّ دماءَها ... بدجلةَ حتى ماءُ دجلةَ أشكلُ[6]

وأما المساجد والأوقاف فقد عمّر كثيراً منها بعد أن آل أمرها الى الاضمحلال، وصارت بحيث يذكر فيها اسم الله[7] ويسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال[8]. ومن جملة ما أزاله[9] من المنكرات، وقطع أصله من البدع المحدثات: استيلاءُ طائفةِ الكفارِ على الإماء المسلمات. فصرف الى ذلك عزمه الشريف وسعى فيه سعياً جميلا، وأجبر الكفار على بيعهن للمسلمين عملا بقوله تعالى: ﴿ولن يجعلَ اللهُ للكافرينَ على المؤمنين سبيلاً﴾ (النساء: ١٤١)

وكان يبذل الجهد في نصرة الحقّ ويجادل عنه ويباحث، ولعمري ليس له في القضاء ثان بل لعمري انه الثالث. وبالجملة فصفات هذا المولى الجليل تجلّ عن أن تحصر، أو تكتب في الدفاتر وتسطَّر: (الطويل)

فوا عجبا مني أحاولُ نعتَهُ ... وقد فَنيتْ فيه القراطيسُ والصُّحْفُ
أقاضينا هذا الذي أنت أهلُهُ ... غلطتُ ولا الثلثان منه ولا النصف
ولا الضعفُ حتى يتبعَ الضعفُ ضعفَهُ ... ولا ضعفُ ضِعفِ الضعفِ بل مثله ضعفُ

---

(١) مقتبس من قوله تعالى ﴿ما لهذا الكتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها﴾ (الكهف: ٤٩)

(٢) مقتبس من قوله تعالى: ﴿أو كالذي مرَّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها﴾ (البقرة: ٢٥٩)، أو من قوله تعالى: ﴿فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾ (الكهف: ٤٢)

(٣) عن: سقطت من ل

(٤) عجز بيت شعر وصدره: سلا النفس عنها واطمأنت بنأيها. والبيت ثابت بهامش كل من نسختي ع ك

(٥) ذلك: سقطت من ل

(٦) البيت في كتاب الكشاف للزمخشري ١: ٥٠ (دار المعرفة، بيروت) دون نسبة

(٧) ظ: اسمه.

(٨) من قوله تعالى: ﴿يسبح له فيها بالغدوّ والآصالِ رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ (النور: ٣٦)

(٩) ل: ما أزال

ثم ان مولانا – ادام الله تعالى رفيع جنـابه – وجّه همته في منصب القضاء لعبد بابـه، وكان يعرّفه كثيراً عند حضرة اسكندر باشا (67) بكمال التعريف، ويذكره عنده بما يليق بوصفه الشريف. فكان العبد يتردّد الى حضرته العليّة، وهو يميل الى المباحثة مع أهل الفضل ويحبهم محبةً كلّية(١). وكنت أقابل له بعضَ كتبِ التفسير، وأصححهـا غـايـة التصحيح والتحـريـر. فـاتفق في ذلك الاثنـاء وفـاة قـاضي التزمنتية(٢)، ففوّض قضاءها للعبد وعرض الأمرَ إلى السدّةِ السنية(٣) العلية. وتوجّه الفقير الى القضاء المذكور لتنفيذ الأحكام، وأرسل العرض مع منـدوبه فسبقـه خبر وفاة قاضيهـا ببعض أيام، فأعطي القضاء المذكور لقاض من القضاة، وكانت عدد أيام(٤) اقامتي بها كعدد أيام الميقات.

ثم توجهت بعد ذلك الى المحمية القاهرة، فألفيت الخبر جاء من دمشق بوفاة المرحوم فوري أفندي المفتي(٥) المشار اليه(٦) أعلاه(٧) وانتقاله الى الدار الآخرة. فكان خبراً(٨) أظلم الوجود لوصوله، وحلَّ الهمُّ المبرحُ بحلوله، وأجرى الدمعَ من العيون، وأوجـعَ القلوبَ وقرَّحَ الجفون. (فعاين العبد)(٩) من هـذا الخبر أنّ سماء قلبه انفطـرت، ونجومهـا انكـدرت، وتفتت منه الأحشـاء وتقطّعَ الفؤاد، وذكّـره فقده، وما كان نـاسيا، أن الموت نقّادٌ، فياله مولى أظلمت الدنيـا لفقده، وَخَلَتْ ربوعُ الفضائلِ من بعده: (الكامل)

فلكـلِّ معــــدوم ســـــواه مشبـــــهٌ ولكـلِّ مفقـــــــودٍ ســـــــواه نظيرُ

وبالجملة: (الطويل)

ولـــــو كـــــان غير الموت شيٌ أصـــــابهم عتبتُ ولكـنْ مــــــا على الموتِ مَعْتَبُ

على أنه اذا جاء الأجل المحتوم فلا حيلةَ في ردّه، ولكلّ شيءٍ حدّ فإذا تمَ وقف عند حدّه.

وعلى كل حال(١٠) فـان الموت كاسٌ لا بـد أن يردهـا الخاصُّ والعام، ولا يبقى الاّ ﴿ وجـه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ (الـرحمن: ٢٧) فالمتحتم حينئذ تلقي أمـر الله تعالى بالقبـول والرضى، ﴿ فإنا لله وإنـــا إليــه راجعـــون ﴾(١١) فيما قــــدّر وقضـى. ولعمـــــري إنَّ هـــــذا المولى حقيق بـأن

---

(١) ل: المحبة الكلية

(٢) نسبة الى بلدة تزمنت، أنظر رقم: 34 في التعليقات

(٣) السنية: سقطت من نسخة ع ل

(٤) انفردت بها نسخة ع

(٥) المفتي: سقطت من ل

(٦) انظر التعليقات رقم: 3

(٧) اعلاه: سقطت من نسخة ع ل

(٨) ل: خبر

(٩) ما بين معقفين سقط من ع ل

(١٠) حال: سقطت من ظ

(١١) انظر سورة البقرة: ١٥٦

تُشَقَّ عليه القلوبُ قبل الجيوب، وأن تجري عليه العيون دماً فضلاً عن الدمع[١] المسكوب. غير أن الواجب اطاعة الله تعالى في الباطن والظاهر، والتأسي بقوله تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كانت يرجو الله واليوم الآخر ﴾ (الأحزاب: ٢١) ولكن: (الطويل)

سأبكيه ما فاضتْ دموعي وان تغض فيكفيه مني ما تجنُّ الجوانحُ[٢]
لئن حَسُنَتْ فيه المراثي وذكرها فقد حسنت من قبلُ فيه المدائح

فرحمه الله تعالى رحمةً واسعة، وبرَّد بمياهِ الرحمة والغفران مضاجعه، آمين.
هذا، ثم في[٣] تلك الغضون عزل اسكندر باشا وقَدِمَ حضرة الوزير الأكرم سنان باشا (68) متوالياً الى المملكة المصرية. واتفق في تلك الايام خلوّ مدينة فوّة[٤] من قاض ينظر في الأمور الشرعية، فاقتضى الحال بمشاورة مولانا حفظ الله تعالى جنابه الخطير، تقليدَ العبدِ قضاءَ البلدة المذكورة من حضرة الوزير. وأمره شفاها بالنظر في الأحكام، وفصل القضايا الشرعية بين الأنام. فتعين حالتئذ التوجهُ إلى البلدة المذكورة، وصحبت معي صاحبنا الفاضلَ الشيخ علي المالكي[٥] ذا الفضائل المأثورة، وودعت حضرة[٦] مولانا قاضي القضاة حفظ الله تعالى ذاته الشريفة ورعاها، وركبنا في السفينة قائلين ﴿ بسم الله مجراها ومرساها ﴾ (هود: ٤١) فوافينا دخول البلد عشيّة نهار الأحد سابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة[٧] جعل الله تعالى عاقبتها الى خير. وكان من لطيف[٨] الاتفاق أن رسولنا قدم في ذلك الوقت[٩] الى مصر بتوليتنا[١٠] قضاء قنا (69) والقصير(70)، فحصل لمولانا قاضي القضاة غاية البشر والسرور، وجهز صحبته مراسيم شريفة[١١] لضبط لقائنا المذكور. وكان صحب الرسول عروض تتضمن الرقي لصاحبنا الشيخ علي المذكور في

---

(١) ظ: عن الماء

(٢) جاء هذا البيت والذي يليه مُحرَّفين في بعض النسخ؛ والبيتان في ديوان الحماسة: ٢٤٠ لأشجع السلمي على النحو التالي: (الطويل)

سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض فحسبك مني ما تجنُّ الجوانحُ
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها لقد حسنت من قبلُ فيكَ المدائح

ديوان الحماسة، ص ٢٤٠

(٣) النسخ ما عدا ع: ثم ان في

(٤) انظر التعليق رقم: 55

(٥) انظر التعليق رقم: 12

(٦) حضرة: سقطت من ر

(٧) ل: سنة ست وسبعين وتسعمائة

(٨) ل: لطف

(٩) الوقت سقطت من ل

(١٠) ل: بتولينا (وسقطت لفظة قضاء بعدها)

(١١) ل: وجهز مراسمه الشريفة

المدرسة السرياقوسية[١] وأخبرنا بحصول ذلك الترقي واتمام تلك [٢] القضية ، فسررنا باتمام ذلك المرام ، وتوجه بعد ذلك صاحبنا المذكور الى القاهرة[٣] بعد أن أقام عندنا بعض أيام . ووجدنا لفراق أنسه [٤] وحشة كلية ، وافتقدنا لطف مصاحبته العلميّة .

ثم في خلال الأيام ورد من حضرة الباشا - عامله الله تعالى بخفي الألطاف - للتفتيش في بعض الأمور مراسيم شريفة للفقير ولبعض قضاة تلك الأطراف . فلما اجتمعنا للتفتيش وقع للفقير مع بعض أولئك القضاة مباحثة في خصوص ، وألزمته وبيّنت له خطأه بموجب النقول والنصوص . ثم اتسعت بيننا دائرة البحث والكلام ، وانتقلنا من مقام الى مقام . وقد كتبت القصة برمتها ، وأودعت هذه القضية بجملتها ، ضمن مكتوب أرسلته أذ ذاك لحضرة قاضي [٥] القضاة - أدام الله تعالى فضله وزاد علاه - ، فانه كان يؤكد في إرسال المكاتبات المطولة المفصلة ، الى خدمته الكريمة المفضلة ، بحيث تكون مشتملة على مزيد الإطناب ، حسبما يقتضيه مقام مخاطبة الأحباب . فقصدت إثباتَ المكتوبِ برمته في هذا المقام ، لتضمنه تلك الماجَرَياتِ [٦] بالتمام . صورته : شيّد الله تعالى صدر الشريعة ، بمشارق أنوار تلك الطلعة البديعة ، ولا [٧] زال ثناؤها منصوباً على المدح ، وأكفّ الداعينَ ببقائها مبنية على الفتح . وبعد إهداء سلامٍ فضَّ الاخلاصُ ختامه ، ونصبَ القبولُ في خَفْضِ العيشِ [٨] خيامه [٩] ، فان تفضّل المولى بالسؤال عن حال [١٠] عبد بابه ، اللائذ بشريف أعتابه [١١] ، فهوملازم على أدعيته ، ومواظب على أثنيته . ونسأل [١٢] الله تعالى أن تهبَّ على هذه الدعواتِ نَسَماتُ القبول ، وأن يبلغكم في الدارين كلَّ سول [١٣] مما يعرضه المملوك على خدمتكم العليّة ، وينهيه الى سدتكم السنيّة : أنه لما أتى الى مدينة فوّة وجد فيها نائبين في غاية الفضل والاستقامة ، وآخرين في غاية الجهل أظهر الرعيةُ منهما غايةَ التظلم والسآمة ، وأن القاضي السابق كان ولّى احدهما بمصر والثاني برشيد ، وكلّ منهما توليته غير صحيحة ، ورأى العبد شكايةَ أهلِ البلدِ من ظلمهما

(١) انظر التعليق رقم : 29
(٢) تلك : سقطت من ع
(٣) في هامش ل : المعزية
(٤) أنسه : سقطت من ل
(٥) ظ : اذ ذاك لقاضي
(٦) ل : المباحثة
(٧) ل : لا
(٨) ل ك : العيس
(٩) ل : خيامهم
(١٠) حال : سقطت من نسخة ظ
(١١) ل : جنانه
(١٢) ن : وأسأل
(١٣) ل : كل مأمول

وأفعالها القبيحة، واطلع على عدم استقامتها ورأى ذلك رأيَ العين، عرض أمرهما الى حضرة الوزير فبرز أمره الكريم برفعهما وابقاء النائبين المستقيمين، وكان أحدهما منسوباً الى قاضي رشيد، فأرسل يشفع عند الفقير في عوده ويسأل عن سبب عزله. فكتبت له في الجواب ما يُعْرَضُ على المولى أسبغ الله تعالى على العلماء مديد ظلّه، صورته: بعد فواتح السلام، يحيط علمكم الكريم أن السبب في عزل النائب المذكور هو [1] الصفة التي لو قدّم منها ما أخّر لذاق طعم[2] مرّها الوخيم، ولو أبصر بهذا المقدم عاقبة أمرها لكان ذا [3] نظر سليم، ولو أبدل فاء فعله بقاف وعينه بنون، ولو لم تكن يده مبنية على الفتح لم يركن الى السكون. والظاهر أن سيرة الفقير بفوة بلغت الخاصّ والعامّ[4]، ومشيه بالاستقامة على أحسن نظام. ومن المعهود[5] أن التابع بإعراب متبوعه، ولكن بعض الأفعال لا يتمّ بمرفوعه[6]. والفقير ما لام أفعاله الاّ بعد أن ظهرت لديه وهي عين، ولم يعوّل فيها على أخبار مخبر حتى ينسب لمين[7]، ومع هذا فقد أظهرت الرعية منه ومن قرينه غاية التظلم، وان أعددناه دونه يلزمنا قضيّة التحكم، والسلام[8]. ثم ارسلتها له[9] وما اخاله لمعانيها يفهم، ولكن « وما عليّ اذا لم »[10]. وما أحراه بقول القائل: (الكامل)

ولقد ذكرتُ لك المرادَ فان تكنْ فطناً عرفتَ وما إخالكَ تعرفُ

ثم اتفق في تلك الغضون أن ورد أمر شريف للكشف على بلد في أوقاف الدشيشة[11] من قضاء فوّه المذكور، بالخطاب لقاضي فوّة وقاضي اسكندرية وقاضي رشيد[12] وقاضي دمنهور. فصار بيننا وبينهم مباحثة عظيمة[13] عجيبة، وأمور غريبة، ومذاكرة علمية، وشاهدنا من بعضهم قضايا بالقافية، عنّ للعبد أن يعرضها[14] على مولاه لابرح مرفوع

---

(١) ظ: هي
(٢) طعم: سقطت من ع ل
(٣) ظ ك: اذا
(٤) ظ ك: الخاصة والعامة
(٥) ظ: المعهودات
(٦) ظ ك: لا تتم
(٧) ل: للمين
(٨) والسلام: سقطت من ظ
(٩) ع: اليه
(١٠) اشارة الى قول البحتري (وهو بهامش ع):
عليّ نحتُ القوافي من معادنها وما علي اذا لم تفهمِ البقرُ
(١١) الدشيشة: سقطت من ظ وأصل الكلمة جشيشة من جَش الحبّ أي دقه فهو جشيش، فأذا طبخ فهو جشيشة. راجع مادة «دشش» في تكملة المعاجم العربية لدوزي؛ وقد يكون المراد هنا اسم موضع
(١٢) وقاضي رشيد: سقطت من ل
(١٣) عظيمة: سقطت من ع
(١٤) ل: أن يعرض بعضها

الجناب، ليقضي منها العجب[١] العجاب. آما قاضي رشيد فلاستعماله الكيف بلا متى ولا أين، لا يرى دائماً الاوهومفتوح الفم مضموم العين. فكان ابتداء مصاحبته معنا أن قال: لأي شيء عزلتم[٢]النائبين المذكورين فقلت له: هما[٣] أولا ليسا بنائبين شرعا، وثانيا انهما مؤذيان طبعا، وثالثا ان بلغ أرباب[٤] الدولة أننا نستخدم أربعة نواب، ربما ينسبوننا[٥] إلى السَّفَهِ وعَدَمِ الصواب. على أن محكمة مصر المحمية ليس فيها أربعة نواب شافعية. ثم طال الكلام بيننا الى أن اقتضى الحال في ذلك الوقت كتابةَ هذه الرسالة، المعروضَ بعضُها على جناب مولانا مدّ[٦] الله تعالى ظلاله، صورتها - بعد البسملة: حمداً لك يا من نصب القضاة للعدالة، ورفع مناصبهم حيث خفض أرباب الجهالة، والصلاة[٧] على سيدنا محمد المسدّد في اقواله والمؤيد، وعلى اصحابه والآل، والتابعين لهم بأحسن منوال، ما سطع نور الحقّ وظهر برهانه، واضمحلَّتْ شُبَهُ الباطلِ وخمدت نيرانه. وبعد، فهذه مباحثة[٨] صدرت بين الفقير وبين قاضي رشيد - وفقه الله تعالى لكلّ أمر سديد - وذلك أن القاضي بفوّه لما ذهب لأهلها مغاضباً، ولوظيفة القضاء مجانباً، وقيل بل تولّى هرباً[٩]، أو ليبلغ في الأرض سبباً[١٠]، وقلّد حضرة الوزير الاكرم، والمشير الأفخم حضرة سنان باشا - أعز الله تعالى انصاره - اذ هو وكيل[١١] الخليفة - أيّد الله تعالى سلطنته وضاعف اقتداره - قضاء البلدة المذكورة[١٢] لهذا العبد الفقير، الراجي رحمة ربه القدير. وأذن لـه شفاهاً بالنظر في الأحكام الشرعية، وأحكام الأمور الدينية، وجد فيها[١٣] نائبين تكررت شكاية[١٤] الرعية من أحوالهما، وعدم استقامتهما في أقوالهما وأفعالهما، وكان نصبهما القاضي[١٥] في غير محلّ قضائه، ومكان توليته وامضائه، عرض الفقير[١٦] أمرهما لحضرة الوزير، فبرز الأمر بعزلهما من

(١) ع: بالعجب
(٢) ظ: ان عزلتم
(٣) هما: سقطت من ل
(٤) أرباب: سقطت من ل
(٥) ل: ينسبونا
(٦) ل: أيّد
(٧) ل: وصلاة؛ ظ: والصلاة والسلام
(٨) ك: مباحث
(٩) ل: هاربا
(١٠) أو سببا: سقط من ل
(١١) ل: اذ هو من أنه
(١٢) ل: قضاء البلد المذكور
(١٣) ع: بها
(١٤) ل: شكية
(١٥) ل: القاضي السابق
(١٦) ع: العبد

جنابه الخطير، لاشتمالهما على ظلامات صريحة، ولكون[1] تولية القاضي وهو في غير محل ولايته نائباً غيرصحيحة، لما قاله في بعض كتب[2] الفتاوى: المولى لا يكون قاضياً قبل الوصول الى محلّ ولايته، فمقتضاه جواز[3] قبول الهدية قبل الوصول وعدم جواز استنابته. فقال قاضي رشيد - أرشده الله تعالى للصواب -: بل توليته صحيحة لان عادتنا معاشرَ القضاةِ ارسالُ المكاتيب بنصب النواب. فقلت له: قد أخطأت يا مولانا[4] في الحكم والعلّة، ولم تصب في التفصيل ولا في الجملة، وكلامك هذا في معرض الردّ والاندفاع، وان ما استدللت به استدلالٌ بمحلِّ النزاع[5]. ثم بحث قاضي رشيد - ألهمه الله تعالى رشده - وزعم أن تولية الفقير من حضرة[6] الباشا غير صحيحة. فغلّطه في كلامه وردّه وقال له: ليس الامر كما تزعم وتقول، وقد نطقتْ بخلافِ قولك النقول، وليس هذا الكلام منك الا محض الغلط، ولو وقفت على ما[7] ذكره في «الملتقط»[8] حيث قال: يجوز قضاء الأمير الذي يولي القضاة، وكذا كتابه الى القاضي الاّ أن يكون القاضي من جهة الخليفة - لأحجمت عن مثل هذا الزعم والأقوال السخيفة. وقد أفتى بعض المحققين من المتأخرين بأن[9] تولية باشا مصر قاضياً ليحكم في قضية بمصر مع وجود قاضيها المولَّى من السلطان باطلة، لأنه لم يفوّض له ذلك. ومفهوم هذا لا يخفى على من له أدنى عرفان، فلا يشك حينئذ من له في الفضل نوع قوّة، في صحة تولية الباشا لهذا[10] الفقير قضاء فوّه، لعدم قاضيها كما يؤخذ من عبارة ما أفتاه هذا المفتي بطريق المفهوم، وكون الوزير وكيل الخليفة في مثل هذا الخصوص أمر معلوم. بل نقول على سبيل الترقي لو نصّب العبد قاضياً نيابة عن السلطان، جاز قضاء القاضي كما صرّح به أئمة الاتقان فما بالك بوزيره، ومعتمده وظهيره؟! هذا ما نقله أكابر العلماء المدققين، ولا ينكر ذلك الاّ جاهل أو معاند[11]، نعوذ بالله تعالى أن نكون من الجاهلين، والحمد لله وحده. ثم أرسلتها اليه وقلت له: لا بدّ من إرسال هذه الرسالة مع عرض إلى حضرة الوزير ليطّلع على ما أبديته من الجهل الشهير. ثم إنه في ثاني يوم أفاق بعض إفاقة، وأتى إلى منزل الفقير وأبدى الاعتذار بحسب الطاقة. وسألنا في عدم العرض فطوينا عنه

---

(١) ظ: ولكن
(٢) كتب: سقطت من ع
(٣) تعود ر فتشارك بقية النسخ ابتداء من لفظة «جواز»
(٤) ل: يا مولانا قد أخطأت
(٥) في احدى النسخ: استدلالا محل النزا
(٦) حضرة: سقطت من ل
(٧) ما: سقطت من ظ
(٨) الملتقط في الفتاوي الحنفية للإمام ناصر الدين أبي القاسم محمد بن يوسف الحسني السمرقندي (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)
(٩) ر: أن
(١٠) لهذا: سقطت من ل ر
(١١) أو معاند: سقطت من ل ر

صفحاً، وطلب الصّلح فتلونا﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِما أن يُصْلِحا بينهما صُلْحاً ﴾ (النساء : ١٢٨)؛ وألحَّ علينا هو وقاضي اسكندرية لنتوجه الى ضيافته في بلدته رشيد، وأكد ذلك بأنواع التأكيد. وأما قاضي دمنهور فإنه جاهل لم يدر مقامه، ولما تمّ الكشف والتحرير، تقدم على الفقير، وكتب أمامه، فصبرت عليه حتى أتمّ، ثم تأملت ما رقم، فكان الذي كتبه [١] ما قرأته: من الداعي الى الملك القفور، محمد القاضي بدمنهور. فقلت له : ما هذا الاّ جهل شهير، بل والعياذ بالله تعالى خطأ كبير، فان الغفور بالغين لا بالقاف، ولو رأى ذلك حضرة الباشا لعلم ما هناك [٢] بلا خلاف. ثمّ لما رقم على الحكم والمثال، علامةَ القبول والامتثال، كتب ما صورته : امتثلت الى أمر [٣] الشريف محمد المولّى بدمنهور. فقلت له [٤]: وقد أخطأت أيضاً في هذا الإمضاء من ثلاثة أوجه وتجاوزت حدا، الأول : جعلك الفعل متعدياً بالى وهو بنفسه يتعدى، والثاني اضافتك الأمر الى الشريف، ولا يخفى على عاقل أن الواجب التوصيف، والثالث بقاء اسمك مفلتا بلا سبب ولا رابط، ولا علاقة ولا ضابط، الى غير ذلك من العجائب والنوادر والغرائب [٥]، سبحان الله تعالى. وعلى قولهم [٦] الشيء بالشيء يذكر فقد ذكرتنا عبارات قاضي دمنهور ما وقفنا عليه هذه الأيام لقاض في مدينة الفيوم من كتابته امتثال على مثل [٧] الحكم المذكور، صورته: «لما ورد الأمر [٨] الشريف من الباب العلية، والعتبة العالية الهنية، قد نظرت ووقفت وامتثلت بالسمع والطاعة، الفقير أحمد [٩] بن مولاناعلي العربية [١٠]، القاضي بمحروسة فيوم المحمية، عفى عنهما الكافي الصمدية». فلما تأملت هذه العبارات طفح علي الطرب [١١] وطاف [١٢]، وأذكرتني، وما كنت ناسياً، قضايا بالقاف. وعجبت من هذه السجعات المطربة، وحكمت بأن هذه ليست الاّ من تلك متشعبة، وقضيت من ذلك غاية [١٣] العجب، وتأسفت على نقص حظ أبناءالعرب.

---

(١) ل : فكان ما كتبه
(٢) ل : ما هنالك
(٣) ل : الى الأمر
(٤) له : سقطت من ظ
(٥) ل : والغرائب
(٦) وعلى قولهم : سقطت من ع
(٧) مثل : سقطت من ظ
(٨) رع : الحكم
(٩) أحمد : سقطت من ظ
(١٠) هكذا وردت في جميع النسخ المخطوطة
(١١) ظ : السرور
(١٢) ظ : وماح
(١٣) ع : بغاية

وأما قاضي اسكندريـة، فانه في غاية ما يكون من الأوصـاف المرضيّة، وقد أطلعني على مكتوب بخطّ فخر الموالي المعتبرين[١] عبد الـرحمن جلبي أفندي(71) يتضمن وصـوله الى القسطنطينيـة، وأن جميع الموالي أتوا للسلام على حضرته العلية، وأنه توجّـه حين وصوله للسلام على حضرة مولانا[٢] المفتي أدام الله تعالى أيامه، وأطال بقاءه وخلّد أعوامه. وتوجه ثاني يوم دخوله الى حضرة الوزير الأكرم وذكر عنده من أوصافكم الكريمة ما شهده وسمعـه من أفواه العالم فزاد اعتقاده في حضرتكم[٣]، وسره ما سمع من حسن سيرتكم، وان برويز أفندي(72) اجتمع بعد ذلك بيوم بحضرة الوزير - خلّد الله تعالى أيام سعادته وحفظ جنـابه الخطير - فذكر له مـا شكره عبد الرحمن أفندي منكم، ومـا بلغه من الأوصاف الجميلة[٤] عنكم، فزاده ذلك ميلا الى مولانا واعتقاداً فيه، وقال: سبحان الله تعالى، الولدُ سِرُّ أبيه. ثم ان مولانا حامد أفندي (73) وبرويز أفندي توجّهـا الى بيت عبد الرحمن جلبي بعد مجلس السلام، وشكراه على مـدحه لجنـابكم - حرسه الله تعالى بعينـه التي لا تنـام- بعد تقبيل اليـد الشريفة ثـانياً والسلام في المبدأ والختام[٥].

هذا آخـر المكتوب الـذي أرسلته الى جنـاب مولانـا أدام الله تعالى فضلـه المتضمن لتلك القضـايا بالتفصيل والجملة[٦]. هذا ثم ان أهالي فوّه كـانوا اذ ذاك شكوا من رئيس المحضرين(74) بها المدعو بحسام، وذكروا أنـه يتعدّى عليهم بالغرض ويفـوّق اليهم السهام، فرفعه الفقير لما بلغـه من أفعاله، وسمعه من سيرته وأحواله، فجاء بمكتوب من حضرة من بالفضل مشهور والتحقيق موصوف، مولانا فخر القضاة منشي أفندي[٧] القاضي بمنوف، وهو على الاطلاق أفضل قضـاة هذه الديار، وإليه من بينهم بزيادة الفضل[٨] يشار، يتضمن مكتـوبه الشفاعة عنـد الفقير بالمذكور وأن يكون نظـره عليه، وذكر أنه قـد تاب الى الله تعالى ورجع عمّا نُسِبَ اليه، فقبل الفقيرُ ما أشـارت به حضرته[٩]، وكتب له عن ذلك جواباً صورته: إن أحلى ما تنطق به الألسنة[١٠]، في جميع الآونة والأزمنه، حمد منشىء أنشأ الموجودات بقدرته على أحسـن نظام، وشكرُ معيدٍ أبدع الكائنات ببـديع حكمته على مقتضى المقام، اختـار مـن خلقـه خـلاصـةً هـداهم بهدايتـه الى التـوفيق، وأرشـدهم بنور عنـايتـه الى أقـوم

(١) ر: المدققين
(٢) مولانا: لم ترد في ع
(٣) ظ: بحضرتكم
(٤) ظ ل: الحميدة
(٥) ع: والسلام على الدوام
(٦) هذا آخر... والجملة: سقط كله من ر
(٧) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوفرة لدي
(٨) بزيادة الفضل: سقط من ر
(٩) فقبل... حضرته: سقط من ر ظ
(١٠) استهلال شبيه باستهلال الرحلة نفسها

طريق، وصلاةٌ على أفصح منطق نطق بالضاد، صلاةً يَرْوَى بها يومَ الفصلِ كلُّ صادٍ، وعلى آله وأصحابه، وتابعيه وأحبابه، ما أطرى منشىء في مدح أوصافه العلية فأطرب، وشنّف المسامع بلطائف نعوته الشريفة فأطنب، آمين. وبعد رفع دعاء اذا قصد باب القبول قيل له[١] : ﴿ ادْخُلُوها بِسَلامٍ ﴾ (الحجر : ٤٦)، وسلام أعطر من حديث النسيم بأخباره زهر الكمام[٢]، ووصف اخلاص مؤكدٍ بتوابع المدح والثناء، واعراب عن محبة مشيدة البناء، ونعت الاشواق، التي عجزتْ عن حَصْرِها الأوراق، فقد وصل المثال الكريم من حضرة من فاقَ أهلَ العصرِ بفضائله الحسان، والمنشىء البليغ الذي اذا أنشأ أنسى سحبان، فقابله المخلص بالاجلال والاعظام، وضرب صفحاً عن شاكي حامله حسام[٣]، فإنه كان[٤] شكا منه بعض الناس وتظلّم، وذكر أنه ينشب الرعية بأظفارٍ لم تُقَلَّم، ولكن نرجو له المجاز عن ذلك الطريق حيث كان مرسلاً من جنابكم الشريف، واذا كان مضافاً الى جنابكم وموصولا بأعتابكم يكتسي كمالَ التعريف. على أنه كان السبب في فتح باب المصاحبة، والباعث على المراسلة والمخاطبة[٥]، وطالما تتشنّفُ الأسماع بأوصافكم التي سارت بها الركبان، وفضائلكم اللاتي يشهدُ بها أعيانُ الأفاضل وأفاضلُ الأعيان، وأنتم في أمان الله تعالى وحفظه على الدوام، والسلام.

هذا، وقد ورد عليَّ وأنا قاض بفوّة مكاتبات من أحبابنا أهالي المحمية القاهرة، أدام الله تعالى عليهم نعمه الوافرة، من ذلك مكاتبة من مولانا فخر المدققين، القاضي بدر الدين القرافي المالكي(75) صدرها : (الوافر)

أيا بحرَ المعالي والمعاني	ومن للمكرمات يجيدُ عزما
لتهنأ[٦] بالولاءِ بحسنِ مجدٍ	ونرجو أن يزيدَ نداك حتما
لفوّة قوةٌ أبدتْ سريعاً	قضاءَ قنا بقصدٍ ثم جزما
فقد جاء الرسولُ بكُتْبِ مولىً	وقاضي عسكر قد زاد حكما[٧]
بتولية القصير كذا قَنَاء	قِنا يا رَب همّاً ثمّ غمّاً

---

(١) له : سقطت من ع

(٢) ع : أكمام

(٣) شاكي فيه تورية بمعنى شاكي السلاح، وشاكي الحسام، والشاكي: من شكا يشكو، وحسام هو رئيس المحضرين. وأورد بهامش ع ك، قول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفارهُ لم تقلّم

وفي ايراد البيت قولهم بالمشابهة، والمشابهة الصحيحة ستأتي في قوله بعد ذلك: ينشب الرعية بأظفار لم تقلم

(٤) كان : سقطت من ر

(٥) ر : والمصاحبة

(٦) جزما في ع ر ، وجاءت الجيم مهملة في بقية النسخ

(٧) هنا ينقطع النص في ر

فكـــان مجيئـــه في [1] يـــــوم الاثنين — وفيـــه مســـافـــراً قـــد رام مـــرمى
فعـــاجلنـــا بحكم مـن وزيـــــر — ومكتـــــوب نقـــاضي مصر رسما
مخافـــةَ أن يطـــول الأمـــرُ يـــومـــاً — ونخشـــى أن يضيـــعَ الحالُ حشما
وتـــــدريس الفقير أتـى جليـــــاً — على وجـــه يـــزيـــد الحال غما[2]
بقيتـم في علـــــوٍ وارتفــــــاع — ودمتـم تمنحـــــــون الخلـق علما

فكتبت له في صدر مكتوب جواباً عن ذلك، صورته[3]: (الوافر)

أتــــاني منـك مكتـــوبٌ كـــــريم — حـــوى البشرى ولكن فـــاق نظما
فشـــوّقني لأحبـــــابي بمصرٍ — وجـــدّد عهـــدَ أشـــواقي ونمّـى
فـــــاني لم أفـــــارقهـم بقلـبٍ — اذا فـــارقتهـم بـــالـــرّغم جسما
وقـــــد سُرَّ الفقير بها ذكـــــرتـم — لـــه من شفـع مكتـــوبٍ وحكما
فمصر ليس لي فيهـــا صـــديق — ســــواكـم أرتجيــــه لما أهمّا
فـــان تك شـــافعي حكماً حـــديثـــاً — فـــانـك مـــالكـي بـــالجودِ قِـــدْمـــا
وفعلـك للجميـلِ اذا تعـــــــدّى — وخـصّ نـــداك إخـــوانـــاً وعمّا
فكـم أوليتنـــا فعـــلاً جميـــلاً — وكـم لـك مثـل هـــذا الفعـل اسما
فـــلا زالـت عـــوارفكـم غـــزاراً — ------------------------
وبـــدرك مشرقـــاً في أفـقِ سَعْـــدٍ — ومجدك شـــامخاً بـــدءاً وختما

ومن ذلك مكاتبة من فخر الأفاضل والأدباء، وعمدة البلغاء والنجباء، الشيخ محمد الفارضي[4] باسمه واسم فخر الاهالي والأعيان، سيدي محمد الظاهر[5] الموقّع بالديار المصرية، توصية لأناس من أهالي فوّة المحمية، صورتها: مولانا حرسه الله تعالى وحماه، وأكسبه قوة بفوّة كما شرّف به حمص وحماة[6]، معروض الفقير أن أيتام السّعد لهم خبر مُطوّل، وليس الاّ على فضل مولانا فيه[7] المعوّل، ملخّصه أو مختصرة وقفيّة ادّعى شخص بيعها، وأنه أصبح يملك ريعها، والمسألة متعلقة بأيتام، ومولانا حسنة هذه الأيام، فمولانا لا يخليهم من العنـــايـــة، أدام الله تعـــالى لـــه الـــرعـــايـــة، ولا يخفى الحثّ على إكـــرام اليتيم،

(١) في: سقطت من ظ (ومع سقوطها فوزن الشطر لا يضبط)
(٢) في ما عدا ع جاء النص: الحال عمّا
(٣) ظ: فكتبت له صورته
(٤) انظر التعليق رقم: 54
(٥) لم أجد له ترجمة
(٦) وأكسبه... وحماة: سقط من ظ
(٧) فيه: مزيدة من ع

وقد جاء ذلك في الذكر الحكيم، وبقيتم في عافية، ونعمة كافية وشافية.

ومن ذلك مكاتبة من صاحبنا الفاضل الشيخ علي المالكي[١] صورتها[٢] : (الطويل)

سلامٌ كَعَرْفِ المسكِ فاح بعطره ... وورد كنشرِ الروضِ زان بزهرِهِ

على من غدا يعلو السّماكين رفعةً ... ويسفل عنه الفرقدان لقدره

إمامٍ له درُّ المعالي قلائدٌ ... وقد فاق في نظم الكلامِ ونثره

وبعد فيا ربَّ الفضائلِ والحجى ... ومن قد غدا يسمو بثاقبِ فكره

إليك اشتياقي لا يُحَدُّ فانّه ... تنزّه عن ضبط وحدّ وحصره

وان عليا - مذ تناءى محبُّه[٣] ... تدانىَ له صرفُ الزمانِ بغدره

يحنُّ إليكم[٤] كلَّ وقتٍ كأنه ... محبٌّ جفاه حِبُّه طولَ عمره

بعيدٌ قريبٌ منكمُ بضميره ... وفارقكم في جهره دون سرّه

اذا ما خلتْ منكم مجالسُ وده ... فقد عمرت فيكم مجالسُ شكره

ولولا رجاهُ أنَّ وقتَ فراقكم ... سحائبُ صيفٍ مات غماً بقهره

سقى الله أياما تقضَّت بقربكمْ ... هواطلَ من طلِّ الغمام قَطْرِهِ

لكم أبداً منّي سلامٌ مضاعفٌ ... وأزكى تحياتِ الى يوم حشره

هذا ثم أقمنا في فوّة المذكورة مدة في غاية الحضور لا نخشى ضراراً ولا بوسى، وكانت اقامتنا بها كضعف ميقات موسى. وبعد ذلك فوض قضاؤها لقاض، وفارق الفقيرُ أهاليها وهم راضون عنه وهو عنهم راض، وكتبوا لنا محضراً ذكروا فيه ما شاهدوه من سيرة الفقير ومشيه على أولى سَنَنٍ وأقومِ طريقة، وأنه لم يتولَّ عليهم قاضٍ مثله في الحقيقة، ورقم عليه الفاضل من أهاليها، والمعوّل عليه من أهل العلم فيها، وكان خروجنا منها ثامن عشر شهر[٥] شعبان سنة تسع وسبعين وتسعمائة من الأعوام، ووافق ذلك اليوم يوم[٦] خروجنا في[٧] سنة ثمان من دمشق الشام. وقد امتدحني أفاضلها بقصائد فصيحة، محتوية على مقاصد لطيفة ومعان رجيحة؛ فمن ذلك قصيدة كتبها الشيخ الفاضل العلاّمة، والمدقق الكامل الفهّامة، القاضي محمد الفزاري[٨]، صورتها: (الطويل)

---

(١) انظر التعليق رقم : 12

(٢) ع : صدرها

(٣) محبه : رواية ع ؛ وفي النسخ الأخرى : مجيئه

(٤) ظ : اليك

(٥) شهر : سقطت من ظ

(٦) يوم : سقطت من ظ

(٧) في : سقطت من ظ

(٨) لم أعثر له على ترجمة، وفي ظ : الفراي

أَلُطْفُكَ أم سحرٌ أجودُكَ أم بَحْرُ ... أوجهك أم شمسٌ وما طلع الفجرُ

أمجدُكَ أم فخرُ الثريا على الثرى ... أَحَمْدُكَ بينَ الناسِ يُتلى أم الذكر

تناهى ثبوتُ الشكرِ فيك فلا يرى ... لرأيك لم يلحق ببابكم عذر

اليك محبَّ الدين وَجَّهْتُ مقصدي ... على ذات عزم زانها النظمُ والدرّ

بذكرك قد عطرت أنفاسَ سرّها ... فسارتْ وطولُ الأرض في عينها فِتْرُ

إلى كهفِ علم يسبقُ الطرفَ فهمُهُ ... سحاب ندىً في الناس نائلُهُ غَمْرُ

وكلاّ فان الّسُّحْبَ بالقطْرِ جودها ... وذا جوده في قطره يغرقُ البحر

كثيرُ سهادِ العينِ في العلم للعلى ... ويرضيه من اغفاء أعينه النزر

وقد قلَّد الأعناقَ منّته فما ... نرى سيِّداً الاّ ومنه له شكر

الا يا محبَّ الدين فخرُك قائمٌ ... وما لامرىء لم يمس من حماة[1] فخر

فآلك هم أهلُ المكارِم ما لهم ... من العيب إلاّ أنْ بهم حَسُنَ الذكر

وما فخرهم الاّ لأنك منهمُ ... وأن بلاداً ما نزلتَ بها قفر

وقد ضلّ كف[2] يمّمت غير سوحك الـ ... ـفسيح فردَّت[3] وهي من قصدها صِفْرُ

واذ[4] قد وزنت الناس عقلاً وهمةً ... وفضلاً[5] ووصلاً كان منك لهم جبر

فعنك رَضِيْ الرحمنُ عمّا نشرته ... بفوّة من عدلٍ وبذلٍ به الأجر

وجئت[6] وكان الناس في الإصرِ[7] والعنا ... فجاءَ الغنى، والبأسُ يطرده اليسر

وأرسلت أمنَاً في قنا وقصيرها ... فقصَّر عنها السوء وانفصل الشر

يريك ذكاء الفكر ما بعد يومك الـ ... ـجديد فأنت الحاذقُ الذَّهِنُ النضر

اذا اشتبه الأمرانِ عزَّ برأيك الـ ... ـسديد شديدُ الحقّ يمتازه الذكر

وأنت سواء[8] الحالتين على المدى ... على سنن التقوى هما السرُّ والجهر

فذا شأن من لم يخشَ الاّ الهه ... وذاك هو الجودُ المؤسسُ والفخر

وما هي الاّ فكرةٌ حمويَّةٌ ... اذا اتصلت بالمعتنى رحلَ الفكر

ومن ذا يضاهي ذا المحبَّ فانه ... سليلُ المعالي وصفه النصر والصبر

اذا ما قضى أمضى فيرضى[9] بحكمه ... جميعُ برايا الخلق والخالقُ البَرُّ

---

(١) لا بد من التصرف بلفظة «حماة» على نحو ما، كأن تلفظ «حمأة» أو «حامَة» حتى يصحّ وزن البيت

(٢) ظ : ركب

(٣) ظ : ردّ (ولا ينضبط بها الوزن)

(٤) ظ : وان

(٥) وفضلا : رواية ع، وفي غيرها وفصلا

(٦) ظ : وحيث

(٧) ع : في الضيق

(٨) ظ : سويّ

(٩) فيرضى : رواية ع

وانّ الـــرعـــايــــا حيثما قـــد أتــــاهمُ بشيرك بعـــــــد الحزن عن قــــــدم سُرّوا

بعيشك حــــالي هل أقــــايس بـــالـــذي لــه ظــاهــر الــدعــوى وأنت ليَ الظهــر

فما أنــــــا ممّن يـــــــرتضي علَّ أو عسى لحظ[1] عـــدوٍ حظــــه عنـــدك البتر

شهيـــداي في حبيّك عَـــذْلانِ عنـــدكمْ قبـــولُهما حتمٌ هما القلبُ والفكـــر

سلـــوا عن مـــودّاتِ الـــرجـــالِ قلـــوبَكُمْ وتلك شهـــودٌ مثلما قـــد حكى الشعـــر

ثم قدمت الى المحمية القاهرة في أواخر شعبان، وأنا بفرط الأشواق الى مشاهدة ذات[2] مولانا قاضي القضاة لا برحتْ عاليةَ الشان، وعرضت عليه المحضر فسرَّ به – أدام الله تعالى سروره واستبشاره – وصحبني في خدمته إلى حضرة الباشا أعزّ الله تعالى أنصاره، وعرض المحضر المذكور على حضرته العليّة، وأكد ذلك بموكدات ومحسّنات بديعية، فأنتجت تلك المؤكدات والمحسّنات، أن عاد عليّ من حضرته الكريمة بعض الصلات. وكم لهذا المولى على عبده مثل هذه الصلات عوائد[3]، وطالما أهدى اليه من نعمه ما يعجز[4] عن بعض شكره الزائد : (الطويل)

ولـــو أنني أرتيتُ كلَّ بـــــلاغـــةٍ وأفنيتُ بحـــرَ النطقِ في النظم والنثـــرِ

لما كنتُ بعـــــــــدَ الكـلِّ إلا مقصّراً ومعترفــاً بـــالعجــز عـن واجبِ الشكــرِ

هذا وكان العبد في تلك الأثناء يتشوق الى أفاضل إخوانه بدمشق المحروسة، ويتشوّف الى اخبارٍ تَرِدُ عليه من حضراتهم المأنوسة، وينشدُ من شدة أشواقه التي أورثته الفِكَر: (البسيط)

❊ يا جيرةَ الشام هل من نحوكم خبر ❊

فبينما هو من الأشواق على شفا، اذ وردت عليه منهم رسائل ولا رسائل اخوان الصفا، فقبّلتها[5] وفضضت منها الختام، فألفيتها مشتملة من عرائس المعاني على حورٍ مقصورات في الخيام[6] : (الطويل)

وقبلتهـــا ألفــــاً وألفـــاً فقـــال لي غـــراميَ زدهــا واضربِ الألـفَ في الألفِ

فمن ذلك مكاتبة من صاحبنا فخر الأفاضل المتبحرين، وزبدة الأماثل[7] المدققين، مولانا الشيخ عماد الدين(76) أدام الله تعالى أفاضله، وبلّغه أمانيه وآماله، صدرها : (الطويل)

---

(١) ظ : لحظ

(٢) ع : حضرة

(٣) الصلة والعائد : مصطلحان نحويان أيضاً

(٤) بهامش ع : لو قال ما ينقص، لكان أولى (وهو تعليق لأحد القراء)

(٥) فقبلتها : سقطت من ظ

(٦) في سورة الرحمن : ٧٢ ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾

(٧) الأماثل : رواية ع، وفي النسخ الأخرى : العلماء

سلامٌ كَعَرْفِ المسكِ بل هو أعطرُ — وازكى تحيات تضوعُ وتُنْشَرْ

على الحضرةِ العلياءِ والساحةِ التي — بها الفضلُ ثاوٍ والأفاضلُ تفخر

على ساحةٍ فيها السماحةُ والندى — وساكنها ما زال بالخيرِ يذكر

سلامَ محبٍ لم يَحُلْ عن ودادِهِ — وانّ صحيحَ الودَّ لا يتغير

أمولاي إن الشوق مُرّ مذاقُهُ — وانَّ فراقَ الإلف[1] لا شكَّ يعسر

واني لمشتاقٌ بديعَ جمالكم — ولستُ على حَرِّ القطيعةِ أصبر

لانكمُ إنسان عيني ونورها — وكيف بغير الضوءِ عينيَ تبصر

فجودوا ورقّوا واعطفوا وتفضّلوا — وَمَنوا بقربٍ وارحموا الصبَّ واعذروا

بقيتمْ وُقيتمْ دمتمُ لا عْدِمْتُمُوا — ولا زال راجيكم مدى الدهرِ يجبر

فكتبت له عن ذلك جواباً، صورته : (الخفيف)

غبَّ تقبيلنا لتلك الأيادي — وولاءٍ من مخلصٍ في الوداد

وثناءٍ يفوقُ نَشْرَ خزامى — وعلى المسك اذ ذَكَا والزَّباد

وسلام مؤكدٍ من محبٍ — سالكٍ في الورى[2] طريق الرشاد

ان عيني لمّا تبّاعد عنها — شخصكم مسَّها أليمُ السّهادِ

قد جفاها المنامُ مذ فارقتكُمْ — وقلاها من بعدُ طيبُ الرقاد

يا أهيلَ الودادِ إني محبٌّ — أنتمُ مقصدي وأنتمْ عمادي

كيف أسلو وحبكم حلَّ من قلـ — ـبي ومن مهجتي سوادَ[3] السواد

ما قصدتُ القِلى وان كنتُ في نا — رِ اشتياقٍ قد احرقتْ اكبادي

حاشَ لله ما الجفا بمرامي — لا ولا الهجرُ والصدودُ مرادي

ولئن غبتُ عنكم فودادي — مثل ما تعهدون بل في ازدياد

صحَّ من علةٍ وحاشاه من شو — بِ اختلال[4] يشينه أو فساد

لستُ ممن تكلّف الودّ حاشا — لمحبٍّ تكلُّفٌ في وداد

وعلى كل حالةٍ حيث ما كنـ — ـت من الأرض قُربِها والبعاد

انني من أقل أعبدكم اذ — أنتمُ من بين ذا الورى أسيادي

قسماً بالوداد يا جيرةَ الحيِّ — يميناً بالله ربّ العباد

لم أحلْ عن ودادكم أبدَ الدهـ — ـرِ وان طال عن حماكمْ بعادي

كل حين يحرّكُ الوجدُ مني — شجناً ساكناً لذاك النادي

---

(١) ل : الود

(٢) ع : الولا (أي الولاء)

(٣) ع : سواء

(٤) اختلال : رواية ع ، وفي غيرها : اختيال

فعلى أهلــــه الكــــرامِ ســــلامــي ... ابـــــدأ دائماً مـــــدى الآبـــــاد
لا بـــــرحتـم في نعمــــةٍ وسرور ... قـــــادم دائماً وفي إسعـــــاد
مـــا تغنت قمـــريـــةٌ فـــوق غُصْنٍ ... ورقــى بلبـلٌ على أعـــــــواد

ومن ذلك ما كتبه فخر الأهـالي والمدرسين، وزبدة الأكامل المدققين، مولانا[1] الشيخ شمس الدين ابن المنقار(77) دامت فضائله، صورتها: (الكامل)

مـن يـــوم بينك كـلُّ طـــرفٍ دامـي ... لم تكتحـلْ أجفــانُــهُ بمنـــامِ
لما رحلـــتَ[2] ممتّعـــاً بســـلامـــةٍ ... ومصـــاحبـــاً للسَّعْـــدِ والإكـــرامِ
خلَّفـتَ بعـــدك كُـل خـلٍ هـــائماً ... يُجْرِي الـــدمـــوعَ حليفَ كـل سَقَـــامِ
سكـــرانَ من كـأسِ الفـــراق معـــذّبـــاً ... يـــا صـــاح بـــالهجـــرانِ والآلام
يشـــدو بـذكــرك مـن نـواك اذا رأى الـــ ... عشــــاقَ في ركبٍ بكـلِّ مقـــام
مـــولاي بَعْـــدَكَ قـــد تفـــرَّقَ جمعنـــا ... وضيـــاءُ نـــادينـــا امتحى بظـــلام
فـــالبعضُ منـــا في الحجـــاز وبعضنـــا ... في الـــروم والبـــاقـي بأرض الشـــام[3]
قـــد كنتَ واسطـــةً لعقـــد نظـــامنـــا ... حتى انفـردتَ[4] فَحُلَّ عَقْـدُ نظـــامي
وكـــذاك كنـتَ البـدرَ تطلعُ في الـــدجى ... فتـــزيـلُ عنـــا وصمـــةَ الاظـــلام
وضيـــاءُ وجهـك في النهـــارِ إذا بـــدا ... فـــالشمس تسترُ وجههـــا بغمام
هـــذا وعبـــدك مـــات بعـــدك صَبْرُهُ ... فـــاسلـمْ وَدُمْ في السعـــدِ والانعـــام
فعلى حماك مـن المحب تحيـــــــةٌ ... لا تنتهـي وعليـكَ ألـفُ ســـــلام
وسقـى الالـــهُ ديـــارَ مصرَ وأهلهـــا ... أنـــواءَ سُحْـب من يـــديكَ عظـــام
لما حللـتَ بها تضـــاحَـكَ زهـــرهـــا ... فـــرحـــاً وَبُـــدِّلَ نقصهـــا بتمام
والنيـلُ زاد على القيـــاسِ فـأصبحـت ... راحـــاتُـــهُ مخضـــوبـــةً ببنـــام
لا غـــرو ان شَرَّفْـتَ مصرَ وأهلهـــا ... فلطـــالما شَرَّفتنـــا بـــالشـــام
أكـرِمْ بنفسٍ لـلإمـام[5] كـريمـــةٍ ... وشريفـــةٍ أزرتْ بنفسِ عصـــام[6]
جُمِعَتْ لـــه طُـــرُقُ السيـــادةِ اذ غـــدا ... يهتـمُّ بـــالإقـــدامِ لا الاحجـــام
لا زال يـــرفـلُ في ثيـــابِ سعـــادةٍ ... ويجرُّ ذيـــل[7] العـــز فـــوق الهام

---

(١) مولانا: سقطت من ع
(٢) ع: حللت وبهامشها الصواب: لما ظعنت
(٣) هنا بهامش ع: كما قيل
وكنا في اجتماعٍ كالثريا ... وصيَّرنا الزمانُ بناتِ نعشٍ
(٤) ظ: انفرد (وهو خطأ لا يصح به الوزن)
(٥) ظ: للانام
(٦) إشارة إلى قول الشاعر: «نفسُ عصامٍ سوَّدت عصاما»
(٧) ظ: ثوب

مــا نَّدقَ المشتـــاقُ طِــرْسَ رســالــةٍ   بحـــديثِ أشـــواقٍ وفـــرطِ غـــرام

فكتبت له جواباً عن ذلك صورته[١]: (الكامل)

وردت[٢] عليَّ مـن الجنـــابِ الشّــامـي   ورقـــاءُ تسفـــر عن فـمٍ بَسّـــام
قـــد أنبأت يـــا سيـــدي عن بعض مـــا   عنـــــدي من الاشـــــواقِ والآلام
وشرحت فيهـــا بعضَ بعـض صبـــابتي   وغـــزيـــرَ أشـــواقي وفـــرطَ غـــرامي
فكأنها[٣] صـــوت الصّـــدى انَ صحتُ نـــا   داني وجـــــاوبني بمثلِ كـــــلامي
حـــاشـــا لمثلي أن يكـــونَ لـــديك يـــا   قسَّ الفصـــاحـــةِ مفصحـــاً بكـــلام
لكنهـــا مـن بحـــرِ كـــاملك الـــذي   عَـــــذُبَتْ مـــــوارِدُهُ لكلِّ همام
بـــالله قـلْ لي من لآليءَ صغـتَ هــــــ   ذا اللفـظَ أم رصَّعـتَ عقـــدَ نظـــام
أم ذلك السحــــــرُ الحلالُ نقشتَـــهُ   حتـى أخـــــذتَ مجامعَ الأفهـــــام
أحسنت فيهـــــا الجمعَ والتقسيم اذ   أدمجت فيهـــا ذكــــرَ أهـلِ ذمـــام
فعليهـم وعليكَ ألـفُ تحيـــــــةٍ   في كـلِّ إصبـــــاحٍ وألـفُ ســــلام
يـــا ســـادتي رفقـــاً بصـبٍ هـــائمٍ   أضحـى حليفَ صبـــابـــةٍ وغـــرام
قـــد طَلَّقَتْ اجفـــانُـــهُ طيبَ الكـــرى   وعـــدمتُ روحـي ان وجـــدتُ منـــامي
فـــاليـــومُ أحسبـــه بشهـــرٍ كـــاملٍ   والشهـــــرُ أحسبـــه بـألفي عـــام
ولئن غـــدا في مصرَ عبـــدُ جنـــابكـم   فـــالـــروحُ عنـــدكم بـأرضِ الشـــام
مـــا يـــذكـــر المملـــوك أيـــامـــاً مضت   ألا ويبكيهـــــا بـــــدمعٍ هـــامي
فعلى دمشـقَ تحيـــــةٌ مـن مغـــــرمٍ   مـــا شـــام بـــرقـــاً في دجى وظـــلام
وسقـى الحِمىَ والســـاكنيـــه على المدى   هتّـــانـــةٌ تهمي بصـــــوبِ غمام
لا زال رَبْعُـكَ بـــالفضـــائلِ آهـــلاً   والسعـــدِ والاقبـــالِ والانعـــام
مـــا دمـت تنظم[٤] مـن رســـائلك التـي   في حسنهـــا فـــاقت على النظـــام
درراً على كـل القصـــائد فخـــرهـــا   في حُسْـنِ مطلعهـــا وحسـنِ ختـــام

ومن ذلك مكاتبة من فخر الأفاضل، وخلاصة المدققين الأماثل، ملاّ أسد الدين (78) دام فضله، صدرها[٥]: (الطويل)

---

(١) صورته : انفردت بها ع
(٢) ظ : ورد
(٣) ظ : فكأنما
(٤) ع : تملي
(٥) ع : الملا أسد صدرها

أحنُّ الى مـــصر وطيـــب مقـامهـا ... وحبِّ الأولى حلُّـــوا بها من أولي القَـــدْرِ
ولا سيما ذو الجودِ والفضّـــلِ والتقــــى ... وأوصـــافُـــــهُ الحسنى تجلُّ عـن الحصر
وإني وان شـطَّ المزارُ لقـــــــائلٌ ... عليكمْ ســـلامُ الله يـــا ســـاكني مصر

فكتبت له جواباً عنها : (الطويل)

أتــــاني كتــــابٌ طيِّبُ الطي والنشرِ ... من الفـــاضلِ المشهـــورِ بـــالعلمِ والفخـــرِ
وفيـــه ســــلامٌ رائق رقَّ لفظُــــهُ ... ومعنـــاهُ حتى فـــاق في النظمِ والنثـــر
فهيَّجَ أشــــواقي إلى ســــاكني الحمى ... ولم أنسهم فـــازددت ذكـــراً على ذكـــر
فــاني بــروحي عنـــدهم كـلَّ ســاعـــةٍ ... وان كنتُ قـــد حَلَّيْتُ بـــالجسمِ في مصر
أحـنُّ الى تلك المعــــاهــــدِ كلِّها ... تــذكــرت أيـامــاً مضت ســالف الــدهــر
فـــآهــا على تلـك الليـــالي وطيبهـــا ... لقـــد أشبهت في حسنهـــا ليلـــةَ القـــدر
فيـا ليتَ شعـري يسمحُ الـدهـرُ بـالـذي ... مضى ليَ مـع أحبـابنـا الأنجمِ الـــزُّهْــرِ
ســـلامٌ على جمع الصحـــابِ الـــذي بها ... ولكنَّكَ المخصـــوصُ مـولايَ بـــالـذكـــر
مـدى الـدهـر مـا نـاحت مطـوقـةٌ[(١)] ومـا ... تـــرنَّم فـــوق الأيـك في غُصْنِـهِ القُمْـــري

ومما كتبته لمولانا وسيدنا صدر العلماء المدققين، وزبدة الفضلاء المحققين، مولانا الشيخ اسماعيل النابلسي -أسبغ الله تعالى ظلاله، وزاد علمه وأدام افضاله- ما صورته : (الطويل)

لـــــواءُ التهــــاني بـــــالمسرَّةِ يخفـقُ ... وشمسُ المعــــــالي في سما الفضـلِ تُشْرِقُ
وسَعْــــــدٌ واقبــــالٌ ومجدٌ مخيِّمٌ ... وأيـــام عـــزٍ بـــالـــوفـــا تتخلَّقُ
فيـــا أيها المولى الــــذي جلَّ قـــدره ... ويـــــــا أيها الحبرُ اللبيبُ المدقـق
أرى الشــام مــذ فـارقتهـا زال نـورُهَـا ... وثـــوبُ بهاهـــا والنضـــارةِ يَخْلَـقُ
اذا غبـتَ عنهـــا غـــاب عنهـــا جمالها ... ونفسٌ بــــدون الــــروحِ لا تتحقَّقُ
وإن عـــدتَ فيهـــا عـــاد فيهـــا جمالها ... وصــــار عليهـــا من بهائكَ رونـق
فيـــا ســـاكني وادي دمشـقَ مـــزاركم ... بعيـــدٌ وبـــابُ الـــوصلِ دونيَ مغلـق
وليس على هــــذا النـــوى ليَ طـــاقـــةٌ ... فهـل من قيـــودِ البين والبعـــدِ أطْلَقُ
وإني الى أخبـــــاركـم متشـــــوِّقٌ ... وإني الى لقيـــــاكـمُ متشـــــوّق
أودُّ اذا هـبَّ النسيـمُ لنحـــوكـم ... بـأنيَ في أذيـــالِـــهِ أتعلَّقُ
وأصبـــو لـــذكـــراكم اذا هبَّتِ الصَّبـــا ... لعلي عــن أخبــــاركـم أتنشَّـق
ولي أنّـــةٌ أودتْ بجسـمٍ ولـــوعـــةٌ ... ونـــارُ جـــوىً من حـــرّهـــا أتقلَّق[(٢)]

---

(١) مطوقة : جاءت في ر موقة

(٢) هذا البيت سقط من ظ

فحنّـــوا على المضنَى الــــذي ثـــوبُ صبرهِ | اذا مَسَّـــــــــه ذيـلُ الهوى يتمـــــــــزّقُ
غـــــريبٌ بـأقصى مصر أضحتْ ديــــارُهُ | ولكـنَّ قلبـي بـــــــالشـــــــآم معلَّقُ
وقـــــــد نسخ التبريـحُ جسمـي فهـل الى | غبـــارِ ثـــرى الأعتـــابِ وصـلٌ محقق [1]
ويـــاليت شعــري هل أفـــوزُ بـــروضـــةٍ | وفيهـــا عيـــونُ النـــرجسِ الغضِّ تُحْدِقُ
وأنظـــــر واديها وآوي لـــــربـــــوةٍ[2] | ومـــــاءٍ معين[3] حــــولنـــا يتـــدفّقُ
ويحلـــو ليَ العيشُ الـــذي مـــرَّ صَفْـــوُهُ | وهـــل عــــــــائدٌ ذاك النعيـــمُ المروّق
وأنظـــــر ذاك الجامـعَ الفـــــردَ مـــــرةً | وفي صحنــــــــــــــهِ تلـك الحلاوةُ تشرق
وأصحـــــابنــــا فيـــــه نجـــومٌ زواهـــرٌ | ونـــــــــورُ محيّـــــــا وجههـم يتـألـق
فـــــلا بــــرحـــــوا في نعمـــــةٍ وسعــــادةٍ | وعـــــــــــــزٍّ ومجدٍ شـأوه ليس يُلْحَـقُ
ولا زال يـــــا مـــولاي حجّـــاً مبـــاركـــاً | عليــــــــه من الله الثـــــــوابُ المحقـق
ولا زلتَ في كـلِّ المقـــــاصــــدِ سيـــــدي | مـن الله في سَعْـــــــــــدٍ وأنـت الموفّـق
مــدى الـدهــر مـا حَنَّ الغـريبُ إلى الحمى | وأرسـل دمعـــــاً بـل دمـــــاً يتـــــدفـق
ومـــــا صـــاح شحـــرورٌ على غُصْنِ أيكـــةٍ | وغـــــرَّدَ قمــــريٌ ونــــاح المطــــوّقُ

هذا، ثم أقمت في مصر المحمية الى أواسط شهر رمضان المعظم قدره، وبرزت الأوامر الشريفة بعمارة قلعة في القصير[4]. فأمرني حضرة الباشا بسرعة التوجّه الى القضاء، فلزم أن يطاع أمره، فودّعنا قاضي القضاة - لا زال وابل انعامه صيّبـا - وتيممنا عند ذلك « صعيداً طيباً »[5]، ووصلنا الى محمية قنا في سادس عشري الشهر المذكور، وهو نظير اليوم الذي وصلنا فيه الى مصر في سنة ثمان، فيكون ما بين دخولنا الى مصر[6] وقنا عاماً كاملاً بلا زيادة ولا نقصان. فلما كان أواسط شهر ذي القعدة الحرام ورد الخبر بأنّ مولانا قـاضي القضاة تولّى قضاءَ محميّـة بروسة(79) وكان في تلك الأيـام ورد على العبد حكم بتحريـر الرزق في بلاد الصعيـد فلـم يبلغه الخبر الاّ بعد توجّـه ذاته المأنوسـة، ولم يمكنه المجيء لوداع حضرته الكريمة لا برحتْ عاليةَ المنار، وشقَّ علينا بعد جنابه الشريف عن هذه الديار. وكان[7] اذ ذاك صاحبنا فخر القضاة[8] المدققين، مولانـا القاضي تقي الـدين، عيّن من جانب[9] الباشا الى قضاء دجرجا (80) لجمع الغـلال، وبينهـا وبين قضـائنـا يـوم أو بعض يـوم لمبتغي الترحــال،

(١) هذا البيت سقط من ظ
(٢) ع : بربوة
(٣) ناظر الى قوله تعالى : ﴿ وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمعين ﴾ (المؤمنون : ٥٠)
(٤) انظر التعليق رقم : 70
(٥) اشارة الى الآية القرآنية : ﴿ فتيمموا صَعيداً طيباً ﴾ (النساء : ٤٣)
(٦) ظ : لمصر
(٧) من هنا تعود نسخة ر الى مشاركة النسخ الأخرى.
(٨) القضاة : سقطت من نسخة ظ
(٩) ظ : جناب

فأرسل لنا[1] مكاتبة شريفة، ومراسلةً بديعة لطيفة، ذكر فيها ما عبارته: وأما قُطبُ فلكِ الوجود، ونيّر ذرى معاقدِ السعود، مولانا أفندي قاضي بروسا لا زال عالي المقام[2]. فان الفقير فارقه وهو يتلو عليكم رسائل التحيات المعطرة، ووسائل التسليمات المعنبرة، بلّغه الله تعالى أقصى الآمال، وخلّد أيام سعادته ما دامت الليالي والأيام. انتهى.

ثم إن هذا العبد بَعْدَ[3] جناب مولانا[4] قاضي القضاة «ضاقت عليه الارضُ بما رحبت»[5] وعاين أنّ روحه من جسده سُلِبَتْ، وشرب[6] بعد بينه كأسَ فراقٍ ذهب بلبِّه كلَّ مذهب، وسقاه النوى «سوط عذاب»[7] طعمُ الصبرِ أطيبُ منه وأعذب: (الطويل)

ولو لم يكنْ في مصرَ ما سِرْتُ نحوها	بقلبِ المشوقِ المستهامِ المتيَّمِ

لا سيما اذا تذكر[9] تلك الأوقات التي مضت في التمتع بمشاهدة ذاته العلية الشان، وما مرَّ له من حلاوة العيش في غضون تلك الليالي التي خطفناهن[10] من أيدي الزمان: (الوافر)

وكانت بالعراق لنا ليالٍ	خطفناهُن من أيدي الزمانِ
جعلناهن تاريخَ الليالي	وعنوانَ المَسَرةِ والأمانِ

ولعمري إن هذه الليالي هي المعنية بقولِ الشاعر: (البسيط)

واهاً لها من ليالٍ لو[11] تعودُ كما	كانت وأيّ ليالٍ عاد ماضيها
لم أنسها منذ نأتْ عنّي ببهجتها	وأيُّ أنسٍ من الايام ينسيها

وبينما العبد[12] يتجرّع غُصَصَ الفراق بعد بُعْدِ جنابه، ويتمنَّى القربَ إلى الأوطان وينشد تشوقاً إلى أحبابه: (البسيط)

يا جيرةَ الشامِ هل من نحوكم خبرُ	فان قلبي بنار الشوقِ يستعرُ
بعدتُ عنكم فلا والله بعدكمُ	ما لذَّ للعين لا نومٌ ولا سهرُ
اذا تذكرتُ أوقاتاً نأت ومضتْ	بقربكم كادتِ الأحشاءُ تنفطرُ

---

(١) ر: وأرسل له

(٢) ظ: المقدار

(٣) بعد: انفردت بها ع

(٤) مولانا: سقطت من ر

(٥) من الآية ﴿ وضاقت عليكم الأرضُ بما رحبت﴾ (سورة التوبة: ٢٥)

(٦) ل ظ ك: وشربت

(٧) سوط عذاب: من الآية ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ (الفجر: ١٣)

(٨) البيت للمتنبي، في ديوانه بشرح العكبري ٤: ١٧٩

(٩) ظ: تذكرت

(١٠) ع ظ: خطفناها

(١١) لو: رواية ر ع وفي غيرها: هل

(١٢) العبد: سقطت من ر

كأنني لم أكن بالنيربي (81) ضحى ... والغيمُ يبكي ومنه يضحكُ الزَّهَر
والورقُ تنشدُ والأغصانُ راقصةٌ ... والدوحُ يطربُ بالتصفيقِ والزهر
والسفح أين عشيّاتي التي ذهبتْ ... لي فيه فهيَ لعمري عنديَ العمر
سقاك يا سفحُ[1] سفحُ العين[2] منهملاً ... وقلَّ ذاك له ان أعوزَ المطر

إذ ألقي اليه من حضرة قاضي العساكر المنصورة كتابٌ كريم[3] بتبديل قضاء أسنا(82) وابريم(83) فأنشدت[4] عند ذلك : (الخفيف)

ربَّ يومٍ بكيتُ منه فلمّا ... صرتُ في غيرهِ بكيتُ عليه[5]

واشتد به حينئذٍ التذكارُ والحنين[6] إلى الأوطان، وتضاعف ما عنده من الشوق الى الأحباب والاخوان، وتمثل بقول القائل : (البسيط)

من السعادة أن لا تبعدَ الدارُ ... وان يَبُلَّ غليلَ الشوقِ تذكار
ليت المنازلَ بالجرعاءِ دانيةٌ ... منّا وذاك الذي نهوى لنا جار

ثم أرسل العبد إلى مولانا قاضي القضاة لا بَرِحَ مرفوعَ الجناب، ليرتِّبَ المقدمات في تبديل منصبه بمنصب قريبٍ من الأحباب، لا زالت سواكنُ الآمالِ متحركةً بعوائد صلاته، جازمةً بحصول روائع احسانه وهباته، وكتبت رسائلِ الأشواق الى حضرته السعيدة، وأودعت في صدرها هذه القصيدة، صورتها : (الكامل)

ما مصرُ بعدك منزلاً يُستَطْيَبُ ... يا مطلباً ما لي سواهُ مَطْلَبُ
أضحى لها من بعد أُنْسِكَ وحشةٌ ... ولقد علاها من فراقِكَ غَيْهَبُ
ورياضها حلفت يميناً أنها ... مذ فات فَيْضُ نداكمُ لا تُعْشِبُ
قد زال رونقها وكادتْ أرضها ... من بعدِ هاتيك الغضارة تجدب
والنيلُ قد عَدِمَ الوفاءَ وبعدكم ... قد غاضَ منه المَا ولم يكُ يعذب
يا فاضلاً فاق الموالِيَ علمُهُ ... وكمالُهُ فهو الطرازُ المُذْهَبُ
ماذا يقولُ الفاضلون وان همُ ... في مدحِ ذاتكم الشريفةِ أطنبوا

---

(١) يا سفح : رواية ع ر، وفي غيرها : بالسفح
(٢) سفح العين : رواية ع، وفي غيرها : سفح الدمع
(٣) ناظر الى قوله تعالى ﴿ اني ألقيَ إليّ كتابٌ كريم ﴾ (النمل : ٢٩)
(٤) فأنشدت : رواية ع، وفي النسخ الأخرى : فأنشد
(٥) البيت ليونس بن ميسرة الدمشقي من عباد أهل الشام، أدرك معاوية وقتل سنة ١٣٢ هـ عند دخول العباسيين دمشق، انظر : ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير (ليدن) ٧ / ٢ : ١٧٠ وحلية الأولياء، ٥ : ٢٥٠-٢٥٣ وابن حجر، تهذيب التهذيب (حيدر آباد الدكن) ١١ : ٤٤٨ - ٤٤٩ وورد البيت في ربيع الأبرار للزمخشري، تحقيق محمد سليم النعيمي (بغداد، ١٩٧٩-١٩٨٠) ١ : ٥٥٨
(٦) ر : حينئذ الحنين

تتنافسُ الأمصارُ فيك فأنت كالـ … ـغيثِ الذي ان حلّ أرضاً تخصب
سعدت بروسةُ فيكمُ فلذا غدَتْ … تزهو على كلِّ البلادِ وتعجب
كنتَ النظامَ لمصرَ أما بعدكم … فلها وعمرك حالةٌ لا تُعْجب
فلكَمْ عمرتَ جوامعاً ومساجداً … فيها وقد كادت تزولُ وتخرب
وسلكت فيها مسلكاً بالعدل لم … يسلكه قبلك في القضاة[1] مُهَذَّب
وأزلتَ فيها المنكراتِ بهمّةٍ … مقرونةٍ بعنايةٍ لا تُغْلَبُ
لا تختشي في الله لومةَ لائم … أبداً وتُخْشَى بالاله وتُرْهَبُ
لم أنسَ في مصرَ العتيقةِ كسر ذا … ك الخمرَ حيث جرى يسيحُ ويُسْكَبُ
لولا الزيادةُ في الغلو لقلتُ كا … د الخمر للبحر المعظَّم يَغْلِبُ
قد شبَّه المملوكُ حالةَ جريه … فيه بها يحكيه شعرٌ يُغْرِبُ
ما زالت القتلى تمجّ دماءَها[2] … وتمامه[3] عن علمكم لا يَعْزُبُ
وأصابعُ المقياس كم قد عاينَتْ … منك الأيادي فضلها لا يُحْجَبُ
لم أنسَ فيه لذَةَ العيشِ الذي … مَرَّتْ حلاوتُهُ وزال الطيب
حيث الصَّفا وافٍ ومجلسُ أُنسنا … صافٍ وحيثُ الوقتُ وقتٌ طيب
والفلكُ تجري في جوانبِ روضةٍ … طوراً تجيءُ بنا وطوراً تذهب
فكأنما هي جنةٌ من تحتها الـ … أنهار تجري في الرياضِ وتسكب
والله واللهِ العظيمِ وحقِّ مَنْ … ضمَّت جوارحُهُ الشريفةَ يثرب
ما لذَّ لي من بعدكم عيشٌ ولا … قلبي يُسَرُّ ولا صفا ليَ مشرب
ما يذكر المملوكُ ساعةَ بينكم … الاّ ويرسل دمعه يتسكّب
قد كنتُ من ألمِ الفراقِ محاذراً … في كلِّ وقتٍ خائفاً أترقَّبُ[4]
حتى سقاني الدهر[5] من ألَمِ النوى … كأساً مذاقُ الصبرِ منها أطيب
ما ذا ولا هذا عجيبٌ إنما … حالي غدا من كلِّ ذلك أعجبُ
خلفتموني في الديارِ مضيَّعاً … صبّاً على فقدِ الأحبةِ أندب
فكأنني في موقفِ الأعراف لا … أنا بالشآم ولا لمصرٍ أنْسَبُ
قد صرت لا من هؤلاء وهؤلاء … اني لأخشى أن اقولَ مذبذب
لولا رجائي أنَّ أيامَ النوى … كسحاب صَيْفٍ عن قريبٍ تذهب

---

(١) القضاة : رواية ع ر ، وفيما عداها : القضاء
(٢) قد مرَّ هذا التضمين من قبل
(٣) ع ر ظ : وتمامها
(٤) البيت سقط من ر ، وقوله «خائفاً أترقب» تعبير قرآني (انظر سورة القصص : ١٨ ، ٢١)
(٥) ع : البين

لقضيتُ من الم الفراقِ وعاينت … عيناي أنَّ الروحَ مني تُسْلَبُ
يا جيرةً مالي سواهم مطلبُ … كلاًّ ولا لي عن حماهم مهرب
عطفاً على من بات فاقِدَ إلْفِهِ … وله بقيةُ مهجةٍ تتعذَّب
اني وان بعدتْ دياري عنكمُ … لا بدَّ أن يفيَ الزمانُ فأقرب
فعليك مني ألفُ ألفِ تحيةٍ … ولك الدعاءُ مقرر ومرتَّبُ
لا زلتَ في أفقِ المعالي طالعاً … وشموسُ فضلك في العلى لا تغرب
ومحلُّ أنسك رائقاً في بهجةٍ … ومناهلُ العلماء عندك تعذب
ما دمتُ في حُسْنِ ابتداء مديحكم … أشدو وفي حسن الختام أُشبِّبُ

وشفعت ذلك بقصيدة لقاضي العساكر(84) المنصورة، لا زالت ألوية فضله[1] على العلماءمنشورة، صورتها : (الطويل)

يقبّل أرضاً للجباهِ مساجدُ … مواقفها للسائلين مقاصدُ
محبٌّ لكم من شكرهِ قد تعلَّمتْ … حقيقاً بأن تثني عليكَ المحامد
ولكن له شوقٌ تزايدَ حدُّهُ … ونارُ جوىً من حرِّها تتصاعد
ونازعه حظٌّ تقاعس عن قِلًى … يكابده في دهره ويكايد
وقد قذفته واستطالتْ يدُ النوى … وأقعده دهرٌ خصيمٌ معاند
وقد صار في أقصى الصعيدِ ديارُهُ … وما زال للأحبابِ عنه يباعد
وليس له فيها أنيسٌ مُذاكرٌ … بعلمٍ وتُنْسَى في حماهُ الفوائد
ويفتر فيها نثرُهُ ونظامُهُ … لهذا أتاكم شعره وهو بارد
فعامِلْهُ بالإغضا عن السهوِ إنه … لهيبتكم في جبهةِ الطِّرسِ ساجد
وطال اغترابي عن حمىً قد عهدته … وقد عمرت بالفضل فيه المعاهد[2]
بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي[3] … وفارقني فيها وليدٌ ووالد
وقد طال هذا الفصلُ بيني وبينهم … فهل صلةٌ من نحوكم وعوائد
وما اخترتُ أن أهدي قريضي لبابكمْ … وعلمي به في سوقكم وهو كاسد
لأنيَ في نظمِ القصائدِ باقلٌ … وأنك يا قسَّ الفصاحةِ ناقد
ولكنّ دهراً ألجأتني صروفُهُ … ونقصانُ حظي قد بدا يتقاعد
وما ذا عجيبٌ إن ذا الدهرَ طبعُهُ … يعاكسُ أربابَ العلى ويعاند
ويحسبني مولايَ أني منهمُ … لذاك غدا في رَوْمِ نقصيَ يراود

(١) فضله : رواية ع ك ر
(٢) ظ ل ومتن ك : المحامد
(٣) الشطر تضمين من قول لأعرابي مرّ فيما تقدم

وليس على التحقيق لي منـه منصفٌ — ولا لي في التخليص منـه مساعد

سوى حضرةِ المولى الـذي فـاق مَنْ مضى — أَقَـرَّ بهذا خصمُـه والمعـانـد

وأجمع أهـلُ العصرِ أن علـومَـهُ — لمفـردةٌ في جمعهـا وهـو واحـد

وأعني بـه مـولاي قـاضي عسـاكـرٍ — أخـا الفضـلِ بل للعلـم أصـلٌ ووالـد

وليس يـزيـد المرءَ قـدراً ورفعـةً — اطـالـةُ وصّـافٍ وفيـه شـواهـد

فـلا زلـتَ كنـزاً للعلـوم ومصـدراً — وطـابـت لأهـلِ العلـمِ منـك الموارد

وَدُمْ أبـداً في رفعـة وسيـادة — مـدى الـدهـرِ مـا دام السُّهَى والفـراقـد

ثم أرسلتُ الرسـولَ وانا مستشرف استشرافَ الطـالـب، ومتشوّفٌ له تشـوُّفَ الطامع الـراغب، فلعله يأتي «بسلطان مبين»(١)، أو يرجع «من سبأ بنبأ يقين»(٢).

فلما كان بتـاريخ أوائل ذي القعدة الحرام(٣) سنة ثمانين وتسعمائة، ورد الخبر بأنّ الصدقـاتِ الكريمة السلطانيـة، أنعمتْ على الفقيرِ بتبديل قضـائه بقضاءِ القـدموس(85) المحمية، فسررتُ بهذا البَـدَلِ حيث تضمَّنَ عَطْفَ الجوار(٤)، وحمدتُ الله تعالى على قُرْبِ الديار.

ثم توجهتُ الى القـاهرة المعمـورة. فأتيتها في أواسط الشهرِ المذكـور من السنة المذكـورة، ودخلتها دخولَ مستوحشٍ لفراقِ ما كنتُ أعهده في زمن مـولانا ووليّ نعمتنا جوي زاده أفندي من الأنس فيها، وتذكـرتُ تلك الليالي الماضيةَ في خـدمته التي لا يُرْجَى عَوْدُ مـاضيها. ثم قصدتُ السـلامَ على قاضي قضـاتها، وحـاكم شرعهـا بل عينِ حيـاتها، وهـو اذ ذاك فخـر الموالي المعتبرين، وصـدرُ الأفـاضلِ المتبحرين، رمضان أفنـدي الشهير بناظر زاده(86)، أدام الله تعـالى فضله وزاد إسعـاده، وقـد كنتُ ألفتُ بتلك(٥) الديار منزلاً، لمولانـا المشار اليه أولاً، أدام الله تعالى له الانعام، فلما دخلتهـا «وما أهلها الأهل الذي كنتُ أعهدُ»(٦) أنشدت قول القائل: «أمّا الخيام»(٧) ثم أقمت في البلد المذكور(٨)، الى تمام السنـة المزبـورة، أنتظـر قـافلـةً تسـافـر إلى تلك الـديـار، لأعـزمَ معهـا

---

(١) من الآية ﴿ لأعذبنه عذاباً شديدا أو لأذبحَنَّه أو ليأتيَنّي بسلطانٍ مبين ﴾ (النمل: ٢١)

(٢) من الآية ﴿ وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ (النمل: ٢٢) وعند هذا الحد تقف النسخة ر

(٣) الحرام: تنفرد بها ع

(٤) يستعمل «البدل» و «عطف الجوار» على سبيل التورية

(٥) ظ: في تلك

(٦) ع: أعرف، وهذا شطر من بيت شعر بهامش ع وهو:

فما الناسُ بالناسِ الذي عهدتهم — ولا الدارُ بالدارِ التي كنتُ أعرف

(٧) من بيت شعر ورد بهامش ع ك، وهو:

أمـا الخيامُ فانها كخيامهم — وأرى نساءَ الحيِّ غير نسائها

والشعر لعلي بن أحمد الفالي (بالفاء)، انظر معجم الأدباء ١٢: ٢٢٩ - ٢٣٠

(٨) الصواب: المذكور

إلى التسيار، فلم يتفق في تلك الأيام سَفَرُ قافلةِ أصلا، وكان توجهي بالسرعة الى القضاء أمراً مهماً لا يحتمل تراخياً ومهلا، فعنَّ لي أن أسافر الى تلك الديار بحراً، وكنت أقدّم للسفر رجلا وأؤخر أخرى، إذا[1] تذكـرت قول القائل المشهور، «أحجمتُ وكـان عندي من مراكبـه نفور»[2]، وان تيمنت بالآية الكريمةِ أقدمت وسألت الله تعالى تيسيرَ الأمور. فعنـد ذلك قدَّمت مقدماتِ الاستخارة، واستخرتُ الله تعالى الـذي ما خاب من استخـاره، فشرح الله تعالى للسَّفـر في البحر صدري، وسألته عند ذاك تيسير أمري، وتـوجهت من القاهرة المحمية في أوائل المحرم الحرام، وأتيت الى محميـةِ دمياط وأقمتُ فيها[3] لانتظار سفر المراكب عشرةَ أيـام، وعندي إلى الأحباب من شدة الشـوق ما يمنعني القرار، ثم اقتحمتُ من فَرْطِ الأشـواقِ لججَ البحار، مع أنني كنتُ أهـابُ البحر واستهـول أن اركب لجحه، أو أصعدَ في أمـواجه العاليـة دَرَجة. وركبت في سفن المحبة يسيّرها هـوى الشوقِ المعطّر بعبيرِ شـذاها، وتلوتُ متيمّناً ﴿ باسم الله مجراهـا ومرساها ﴾ (هود : ٤١) وسرنا بنيّةٍ خـالصة وعزمٍ صحيح، وصرنا نرضىَ من الأيام بالريح[4] فلما كان بتاريخ[5] عشري المحرم الحرام أشرفنا على طرابلس المحمية فأعلنّا بحمد الله سبحانـــــه وشكره وتلونـــا : ﴿ ان يشأ يُسْكِنِ الـريح فَيَظْلَلْنَ رواكـدَ على ظهــــره ﴾ (الشـورى : ٣٣) ودخلنا البلـدة المذكـورة وتشوَّقنـا لها بازديـاد، فـوجدنـاهـا بلدةً لم يُخْلَقْ مثلهـا في البلاد[6]، وألفيناها مشحونةً ظَرَفا ولطفاً، ونظرنا من محاسنها ما يعجزُ عن حصرهِ اللسانُ ولا يستطيع له وَصْفَا، وجعلنـاها لهذا المطاف ختاما، وأقمنـا بها يُوَيْمَاتٍ بل أياماً. وكنتُ حـال دخوليْ إلى البلدةِ المذكورة متشوقاً إلى من أسأله عن أحوال الـديار، ومتلفتاً إلى من ينبئني بأخبارٍ تتضمن المسارّ، متمثلاً بقول القائل : (الطويل)

ألا هـل أرى مثلي كئيبــــــاً أراسِلُـــــهْ   يســـــائلنـي عن محنتـي وأســـــائِلُـــــهْ

فاتفق أن صـادفتُ بها فخرَ الأحباب والأدباء ، وقـدوةَ أهلِ الدخول والنجباء، سيـدي محمد بن الفرّا الـدمشقي، وكـان أتى صحبـة الـوالـدِ من حماةَ الى القـدمـوس وأقـام معـه بها من الـزمـانِ بـرهـة،

---

(١) ظ ك ل : اذ

(٢) هنا بهامش ع ك بيتان وهما

خلقت طينــــا ومــــاء البحـــر يتلفني   وعنـــد قلبي نفـــور من مـــراكبـــه
فـــالبحـــر ليس رفيقـــ بـــالـــرفيق بـــه   والبر مثل اسمـــه بـــرّ بـــراكبـــه

(٣) فيها : رواية ع، وفي غيرها : بها

(٤) بهامش ع ك بيتان إزاء هذا الموضع وهما :

ركبتُ في البحــــر شختـــوراً الى بلـــدٍ   لحاجـــــة أوجبـت في البحـــرِ تسريحي
يـــا دَهْـــرُ جُـــدْ لي بـــريحٍ منكَ طيبـــةٍ   قـــد صرتُ أرضَى من الأيـــامِ بـــالـــريح

(٥) انفردت بها ع

(٦) اشارة الى الآية القرآنية الكريمة ﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ (الفجر : ٨)

وأتى طرابلس المحميَة بقصدِ السير والنزهة، فاستخبرتُهُ عن الأحوال، وسألتُهُ عنها بالتفصيلِ والإجمال، فكان بِخَبَرِ سلامةِ الأحبابِ نعمَ مبشرٍ وبشير، ووجدتُ عنده من كلِّ شيءٍ خبرا ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبير﴾ (فاطر : ١٤) فحرَّكَ ما عندي من سواكن الأشواق، وكادتْ عواملُ المحبةِ تجذبني الى نحو الديارِ بالأطواق. ثم فارقتُ البلدةَ المذكورةَ في عاشر شهر[١] صفر الخير ولستُ لها قالياً[٢]، ورحلت عنها لا راغباً عنها ولا سالياً، ولكن لما قيل: (الوافر)

إذا دنتِ المنازلُ زاد شوقي ... ولا سِيَما اذا دَنَتِ الخيامُ

فلمحُ العينِ دون الحي شهرٌ ... ورجعُ الطرفِ دون الشهرِ عام

ثم أتيت الى محمية القدموس في ثالث عشر الشهر المذكور[٣]، وعندي من الشوق الى الوالد والولد ما لا تحويه السطور، فانه قد طال مني هذا الاغتراب، وَصَبَّ النوى من أليم هذا الفراق سوطَ عذاب، وقذفتني يدُ البعد عنهم منذ ثلاث سنين ولن أبرحَ الأرض حتى يحكمَ الله بالاجتماع وهو خير الحاكمين : (الطويل)

وقد يجمعُ الله الشتيتين بعدما ... يظنَّانِ كلَّ الظن أن لا تلاقيا[٤]

فسجدت لله تعالى شكراً، وحمدته على هذه النعمة الكبرى. ثم ان سيدي محمد المذكور تخلف بعد الفقير في طرابلس المحمية لقضاء الوطر من التنزه والسير، ووعد أن يجيءَ الينا بعد عشرة أيام لا غير، فمضى له أربعون يوماً[٥] وهو مقيمٌ في البلد المذكور، مستغرقٌ في السير والحبور، فكتبتُ له للمبادرةِ بالمجيء مكاتبةً وجهزتها مع الرسول، وضمَّنتها أشياءَ من مصطلح أهل الدخول. واخترعتُ أحد ضربي الاستخدام في لفظ النوى على وجهٍ تشكره الأسماع، وأوقعته فيه مع تسمية النوع أحسنَ ايقاع، صورتها : (البسيط)

يا من سما في سماءِ اللطف فوقَ سِمَا ... كِ الأفقِ محيي ذوي الألبابِ بالطَّرب

نَقِّلْ مقامَكَ ايقاعاً على رَمَلٍ ... وإن تشأ دارجاً تسعى على خبب[٦]

ينهي سلاماً لا يُحَدّ، وثناء لا يعدّ، ويشرحُ ما عنده من الشوق الذي يعجز عن حصره الطوق، ويشكو من نواك الذي يشكوه سَمْعُ أهلِ الذوق، ويستخدمُ في ابلاغ سلامه اليكم نسيمَ الصَّبا، وكلما سار ركبٌ من العشاق هام قلبُهُ اليكم وصبا، ولم يزلْ يذكرُ أنسكم في كلِّ

---

(١) تنفرد بها ع

(٢) ازاء هذا الموضوع بيت شعر في ع ك :

فوالله ما فارقتكم قالياً لكم ... ولكنَّ ما يقضى فسوف يكون

(٣) ثم . . . المذكور : سقط من ظ

(٤) البيت لمجنون ليلى، انظر ديوانه : ٢٩٣

(٥) يوما : سقطت من ظ

(٦) ظ : جنب

مقام، وان سكن ما عنده من الشوقِ تحركه عواملُ الغرام، وانه لا قدرة للمخلصِ على هذا النوى، وبيننا وبينك موعدٌ لن نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى[١]، ولم نزلْ نعلِّلُ النفسَ بعدكم من حينٍ الى حين ولا يخفاكم أنّ مدَّةَ الوعدِ كانت عشراً وقد جاوزت الآن حَدَّ الأربعين[٢]. وقد أرسل الفقيرِ إليكم حاملها ليكونَ لكم كالرفيق، وعينه ليجيءَ في خدمتكم وعينُهُ نحو الطريق. فأنعم يا مولانا بالبدارِ، فإنَّ ساعاتِ السرورِ قصار، والسلامُ في المبدأ والختام.

ثم ان المشار اليه قدم علينا بعد أيام، وهو ينشدُ في هذا المقام : (الوافر)

كتبتَ إليّ ترغبُ في حضوري ... وربُّ الفضلِ دعوتُهُ تُجابُ
فقبَّلْتُ الكتابَ وقلتُ طوعاً ... لأمركَ سيدي وأنا الجوابُ

ثم عرضت عوارضُ اقتضت إقامة الفقير في القضاء بعض أيام، وعنده الى حماته[٣] ما لا يُحْصَى من الشوق والغرام. فان الفقيرَ لم يبن عنها مثلَ هذه البينونة الكبرى[٤] ولم يفارقها مثلَ هذا الفراق، ولم يطلّقها ثلاثة أعوام إلاّ هذا الطلاق. ثم إني أقمتُ في القدموس مدة، وراجعتُ حماتي بعد اذ[٥] مضى لي[٦] ما يزيد على ثلاث سنين في العِدَّة، ودخلتها في سنة إحدى وثمانين في غرّةِ ربيع الثاني، وطربتُ عند هذا[٧] الدخول ولا كطرب المثاني[٨]، وقرّتِ العينُ منّي برؤيةِ حماتي وأحبابي، وجَمْعِ شملي بإخواني وأصحابي، وحمدت الله تعالى على طول الأعمار، والتردد الى الآثار، وطويتُ شُقَّة البينِ وألقيتُ عصا التسيار: (الطويل)

وألقت عصاها واستقرَّ بها النوى ... كما قرَّ عيناً بالايابِ المسافرُ[٩]

وأقمتُ في المحروسة المذكورة بعضَ أيام، وأنا بفرط الأشواقِ إلى الأحباب بدمشق الشام : (الطويل)

---

(١) اشارة الى الآية القرآنية ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخْلِفُهُ نحن ولا أنت مكانا سوى ﴾ (طه : ٥٨)

(٢) فيه إشارة الى قول الشاعر وهو بهامش ع ك :

وماذا يبتغي الشعراءُ منّي ... وقد جاوزت حدَّ الأربعين

والبيت لسحيم بن وثيل الرياحي، من قصيدة له هي الأولى في الأصمعيات (الطبعة المصرية)

(٣) يعني مدينة حماة

(٤) البينونة الكبرى تكون في الطلاق، ولا رجعة فيها. ويعني هنا مفارقة طويلة الأمد

(٥) اذ : في ع، وفي غيرها أن

(٦) لي : سقطت من ظ

(٧) هذا : سقطت من ظ

(٨) المثاني والمثالث : درجاتٌ في العود

(٩) يأتي هذا البيت في قصيدة للمعقر بن أوس البارقي حليف بني شهر بن عامر، انظر شرح النقائض تحقيق A.A, Bevan (نسخة مصورة عن طبعة ليدن، ١٩٠٥ – ١٩١٢)، دار صادر، بيروت، ٢ : ٦٧٦ وقد نسبه الجاحظ في البيان والتبيين، (تحقيق عبد السلام هارون) ٣ : ٤٠ للمضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي، وهو شاعر أموي كان معاصراً للفرزدق.

وانّ امـــــرءاً في بلـــــدة نصفُ قلبِــــهِ ... ونصـفٌ بأخــــــرى انــــه لصبـــــورُ

وكنتُ في ذلك الحال، أتمثَّلُ بقولِ من قال: (الطويل)

أأحبـــــابنــــا واللهِ مـــــذْ غِبتُ عنكـمُ ... سهـــــادي سميري والمدامعُ مــــدْرارْ
ووالله مــــــا اخترتُ الفـــــــراقَ وإنما ... بـــــرغمٍ ولي مـن ذلك الأمــــرِ أعـــذار
اذا شـــامَ بـرقَ الشـــام طـرفي تـــدافَعَتْ ... سحـــائبُ جفني والفــؤادُ بـــه نـــار
ألا ليت شعـــري هـل يعـــودن شملنــــا ... جميعــــاً وتحوينــــا ربـــوعٌ وأقطـــار

ثم غلبني الشوق، وكاد يجذبني إلى أحبابها بالطوق، ولله درُّ القائل: (الكامل)

لي نحـــــو ربعـكِ دائماً يـــــا جِلَّـقُ ... شـــوقٌ أكـــادُ بـــه[1] جـــوىً أتمزّق
اشتــــاقُ منكِ منــــازلاً لم أنسهـــا ... أنّى وقلبـي في ربـــوعك مُــوثَـقُ
وقـفٌ عليك لـــــذا التـأسفِ والبكـــا ... قلبـــي الأسير ودمــعُ عينـــي المطلـــق
أدمشقُ لابعـــــدت ديـــــارُكِ عن فتىً ... أبـــــداً اليـكِ فــــؤادُهُ يتشـــوّقُ
أنفقتُ في نـــــاديك أيـــامَ الصبـــا ... حبّـــــاً وذاك أعــــزُّ شيءٍ ينفق
ورحلـــتُ عنـــكِ ولي اليـــكِ تلفُّـــتٌ ... ولكـلِّ جَمْعٍ صَــــدْعَـــةٌ وتفـــرق
فـــاعتضتُ عـن أُنسي بظلكِ وحشـــةً ... منهـــا وَهي جَلَـــدي وشـــابَ المفـــرق
فلبستُ ثـــوبَ الشيبِ وهـــو مُشَهَّــر[2] ... ونـــزعتُ ثـــوبَ الشرخِ وهــو مُعتَـق
ولكـم اسكِّنُ عنـكِ قلبـــاً طـــامعـــاً ... بـــوعـودِ قـــربك وهـــو شـــوقـــاً يخفق
ولكـم أحـــدِّثُ عنـكِ مـن لاقيتُـــهُ ... وجميـعُ مـن سمـع الحديـثَ يُصَـــدِّقُ

فتوجهتُ إليها ودخلتها في ثاني عشري شهر[3] ربيع الآخر، وقرّت العين برؤية أحبابها: (الطويل)

* كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر *[4]

وحللتها وأنا متشوّف إليها ولا تشوّق المحبّ الى لقاء المحبوب، وأقمت بها أياماً ﴿ لا يمسّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنَا فيها لُغُوب ﴾ (فاطر: ٣٥) وحمدنا الله تعالى أن أحلَّنا دارَ الأحباب، وأذهب عنا الحَزَنَ[5]، وجمع شملنا بهم كروحين في بدن[6]. واغتنمنا مصاحبةَ الإخوانِ أياماً[7]، وقضينا في خدمتهم ليالِيَ ما كانت الاَّ أحلاماً، مرت لنا معهم بلذيذ المصاحبة والمسامرة، ولم يكن عيبها إلاّ أنها متقاصرة: (الكامل)

---

(١) ل ومتن ل: أكابده
(٢) مشهر: سقطت من ظ
(٣) شهر: انفردت بها ع
(٤) إشارة الى بيت شعر مرَّ تخريجه
(٥) إشارة الى الآية ﴿ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ (فاطر: ٣٤)
(٦) بهامش ك، بيت من الشعر (بخط مختلف عن خط المتن)
روحه روحي وروحي روحُهُ ... من رأى روحين حلاًّ في بدنْ
(٧) في متن ك: زمانا، وصوّبها في الهامش

إن الليالي للأنام مناهلٌ ... تُطوى وتُنْشَرُ دونَها الأعمارُ[1]

فقصارهنَّ مع الهموم طويلةٌ ... وطوالهنَّ مع السرورِ قصارُ

وأوقفتهم على ما كتبته من رحلتي صحبةَ قاضي القضاة جري زادَة أفندي إلى القاهرة المحميّة، وما أودعته فيها من الألفاظ الباقلية، فصادفتْ في سوق فصاحتهم نفاقا وسعرا، وشرّفوها من إنشائهم بتقاريظ نظماً ونثرا، سأكتب إن شاء الله تعالى تلك التقاريظ مع ما كتبته لبعضها من الجواب في أواخر الرحلة الرومية[2] إذا آلت الى التمام، ليكون ذلك آخر ما يعيه السمعُ منها ويصير[3] ذلك لها حُسْنَ الختام.

ثم اني أقمت في دمشق[4] المحمية أياماً أديت فيها واجبَ الصلة، واقتضى الحالُ التوجّهَ إلى القضاء[5] لننظر المصالحَ بالعجلة. وصرت لعنان العزم الى جهة القضاء ثانياً، وأتيت الى خدمته لا متساهلاً ولا متوانياً، واستمرَّيْتُ أفصلُ الأحكامَ الشرعية على الوجه المسدّد المحكم، إلى خامس شهر[6] شعبان المكرم. وكان في أوائل شهر ربيع الأول لما ورد الخبر بأنّ مولانا فخر الموالي المتبحرين محيي الدين أفندي معلول زادَة[7] أدام الله تعالى فضله وزاد اسعاده، تولّى قضاء العسكر المنصور، حصل لنا غاية الفرح والسرور، وأنشدنا: (الكامل)

ورد البشير[8] بما أَقَرَّ الأعينا ... وشفى النفوسَ فنلن[9] غاياتِ المنى

وتقاسم الناسُ المسرَّةَ بينهم ... قسماً فكان أجلَّهم قسماً أنا

وكنا ندعو الله بذلك آناء الليل وأطراف النهار[10]، لما لنا من سابق المعرفة والعبوديّة مع جنابه لا زال عاليَ المنار، فان قاضي العسكر السابق لم يكن له معرفة بهذا العبد الفقير، بل كان حاله عنده في مقام التنكير. وأمّا مولانا حفظ الله تعالى جنابَهُ الشريف، فالعبدُ عنده في مرتبة الضمائرِ من مراتب التعريف، خصوصاً وقد كان آخر اجتماعه في طريق مصر بخدمته العليّة، صحبة مولانا جوي زادَة أفندي في ذلك المجلس الخاصّ الذي ذكرناه في أوائل الرحلة المصرية. وكان العبد يترجّى في زمنه الترقي الى أسنى المراتب، والترقّل في أعلى المناصب. فلما سمعت بتوليته قلتُ لنفسي: هاليلك قد أقمر، وفجرُكِ قد أسفر. وكتبتُ بعد أيام مكاتبة[11] وعبودية إلى رفيع جنابه، وأرسلتها مجرَّدة

---

(١) أورده الثعالبي في الإيجاز والاعجاز (نشر اسكندر آصاف) : ونسبه الى عتاب بن ورقاء، ولم يورد البيت الثاني.

(٢) الرومية : سقطت من ظ

(٣) ظ : ويصحبه

(٤) ظ : بدمشق

(٥) ظ : للقضاء

(٦) شهر : من ظ وحدها

(٧) انظر التعليق رقم : 5

(٨) ظ ل ك : السرور

(٩) فنلن : رواية ع، وفي ما عداها : فنلت

(١٠) انظر الآية: ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار ﴾ (طه : ١٣٠)

(١١) مكاتبة : انفردت بها ع

مع بعضِ خواصّ أحبابه، أسأل من تفضلاته تبديلَ منصبي بمنصب هو خير، كما هو المأمول من كرمه حفظه الله تعالى من كلِّ سوءٍ وضَيْر، وكنتُ مترقباً لما يَرِدُ عليَّ من إحسانه أدام الله تعالى فضائله، وكان بقي لي[1] من المدة العرفية قريب من سنة كاملة. فلما كان خامس شعبان المذكور ورد الخبرُ أنه من غير بَدَلٍ وجَّهَ منصب الفقيرِ لرجلٍ جاهل، ومن حُلَى الفضل والفضائل عاطل. فكنت كما قيل: (الطويل)

رفعت اليه أشتكي الجزمَ في الهوى ... وأعربت عن نصبي فوقَّعَ لي الخفضا

وأضحيت منه خائب الآمال، وصار كحال أبي المرقال[2]: (الكامل)

انّ الغرابَ وكان يمشي مشيةً ... فيما مضى من سالفِ الآجالِ[3]

حسد القطاةَ فرامَ يمشي مشيها ... فأصابه ضَرْبٌ من العقّال

فأضلَّ مشيتها وأخطا مشيهُ ... فلذاك كنيته أبو المرقال[4]

فتعجبتُ من هذا الفعل غايةَ العجب، حيث لم يكن لذلك أصلٌ ولا سبب، وصرتُ من هذا الأمر أتعجب، ثم حملته على نظائره من تلقي المخاطب بغير ما يترقَّب. وقضيةُ الحجاجِ مع القبعثري (87) قضيةٌ مشهورة، وعند أهل البلاغة معروفةٌ وغير منكورة. فحينئذ كنت في ذلك الدعاء كالباحث عن حتفه بظلفه[5]، والقاطع مارن[6] أنفه بكفّه. وظهر لي أني أصبت نفسي بسهمي وبذاتي أوهنت عظمي: (الكامل المرفل)

قومي همُ قتلوا أميمَ أخي ... فإذا رميتُ يصيبني سهمي

فلئن عفوتُ لأعفونْ جللاً ... ولئن جنيتُ لأوهننْ عظمي[7]

وصار منّي ضرري ودائي: (الوافر)

* وكان اذن على نفسي دعائي *[8]: البسيط

وكنت كالمتمنى أن يرى قمراً ... من السماء فلما أن رآه عَمِيْ

---

(1) ظ: لنا

(2) ابو المرقال: كنية من كنى الغراب، انظر كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) حياة الحيوان الكبرى، (الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٠) ٢: ١٠١.

(3) حياة الحيوان: الأجيال

(4) هذه الأبيات أوردها الدميري والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ٩: ٣٣٣ والنويري في نهاية الأرب ٣: ٢٨٧

(5) هذا مثل، انظر في شرحه مجمع الأمثال للميداني، ولسان العرب (بحث)

(6) مارن الأنف: ما لان منه منحدراً عن العظم وفضل عن القصبة

(7) البيتان وردا بهامش ع، وليسا في المتن، وقد صدرهما في الحاشية بقوله «أخذه من قوله» وهما من الحماسية رقم: ٤٥ عند المرزوقي

(8) هذا شطر بيت، وقد كتب ازاءه بهامش ع:

سألتُ الله ان تسمو وتعلو ... علوَّ البدرِ في كبدِ السماءِ

فلما أن علوتَ علوتَ عني ... فكان إذن على نفسي دعائي

فلما بدا لي منه ما رأيت، علمت ان طبعه استحال، وتذكرت قول من قال: (الوافر)

وكلّ ولايـــةٍ لا بـــدَّ يـــومـــاً مغيِّرةُ الصـــديقِ على الصـــديـق

وتذكرت قولهم: « ارض من صاحبك إذا ولي ولاية بعشر ودّه قبلها»، كما شاع ذلك في الأقوال السائرة، وعلمتُ أن ودَّه صار كودٍّ من «خربت بيتاً مهاجرة»[1].

ثم فارقتُ أهالي ذلك القضا، وهم راضون مني كمال الرضا، تأسفوا على عزلي تأسفاً كثيراً، وأجروا على فـراقي دمعـاً غـزيـراً، فعنـد ذلك حمدتُ الله تعـالى على السرّاء والضراء[2] وقلت ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ (الطلاق : ٧) وقلت مضمنا: (البسيط)

ان كـــان منصبُ حُكْمي زالَ في زَمَنٍ عنّي فمنصبُ فضلي الـدهـرَ لم يَـزُلِ
« وان عـــلانيَ من دوني فـــلا عَجَبٌ لي أسوةٌ بـانحطـاطِ الشمسِ عن زحل»[3]

ثم توجهتُ لتسليم مـا كنتُ جمعتُهُ من مالِ العـوارض لحضرةِ الدفتردار بدمشق الشـام فأتيتها في أوائل شهـر رمضان، فما اتفق لي أني اجتمعت في مجلس المحاسبجي بمحيي أفنـدي القـاضي يومئـذ بحوران، فـوقع في المجلس حجة ممضاةٌ بامضـاء الفقير فيها ما لفظـه « القاضي بالقدمـوس المحميّة» فاستبعد القاضي المذكور دخول الألف واللام على لفظ القـدموس وأنكر القضية، وقال إن القدموس من الأعلام، وانه مما يمتنع أن يدخله[4] اللام، فخلتُ انه في المقام الابتدائي من الإنكار، وأجبت عن اعتراضه[5] بما ذكره علماءُ العـربيةِ على وجـه الاختصار، مقتصراً على قـدر الحاجة حَـذَراً عن اللغو في الكلام، واستغنيت عن تأكيد الحكم بمؤكدات حسب ما يقتضيه المقام، فكأن المشار إليه لم يقنع بما به أجيب، وذكر هـذه الواقعة لبعض الافاضل زاعماً أني مخطيء وأنـه مصيب. فلما تحققت أنه مصرٌّ على إنكار ما قلته تصريحاً[6] وضمنـاً، وأنه وَصَلَ في مقـامِ الإنكارِ إلى مـرتبةِ النفي والاستثنـا[7]، اقتضى الحالُ أن يخرج الكلام على مقتضى الظـاهر، ويؤكد الحكمُ بما يسمـحُ الفكر الفاتر والـذهنُ القاصر. وكتبتُ في ســاعــةٍ من ذلك[8] النهـار رِســالـةً مختصرة، بـديعـةً محرّرة، أولها[9]: بـاسمـك يـا

---

(١) من قول الشاعر، وهو ثابت بهامش ع ك :

ان التي خربت بيتاً مهاجرةً بحومةِ الجند غالت وُدَّهَا غُولُ

(٢) السراء والضراء : تعبير قرآني ، انظر سورة آل عمران : ١٣٤

(٣) بيت من لامية العجم للطغرائي وقد مرَّ ذكره، انظر التعليق رقم :22

(٤) ظ : يدخلها

(٥) ظ : اعتراضاته

(٦) ظ : صريحاً

(٧) بهامش ع ك ازاء هذا : إشارة إلى قوله (إن أنتم إلا تكذبون)

(٨) ظ : تلك

(٩) ظ : منها

من تنـزّه في فعلـه عن الاعتراض، وتقـدّس عن المحلّ في كلّ حـال ومستقبـل ومـاض[1] وتوحّـدَ بقدموس[2] ذاتِهِ وصفاتِهِ عن الشبيه والنظير، وتعالى في ملكه عن المعين والظهير، صلِ[3] على سيدنا محمـدٍ أفصح من نَطَقَ الضاد، وعلى آلـه وأصحابـه الأمجاد، ما طلب العـاملُ معمولـه، ورفع الفعلُ فاعلـه ونصبَ مفعوله. وخلاصتهـا أنه قال صاحبُ القـاموس(88)، رحمه الله تعـالى وأفاض عليـه شـآبيب مغفـرة تسحُّ وتتـوالى: القـدمـوس كعصفـور القديـم، والملك الضخم والعظيم من الإبل، انتهى. أقول: فعلى هـذا يكون القدموسُ من الأعـلام الغالبة لأنه كـان في الأصل لجنس القديم، ثم كثر استعمالـه لهذه البلدةِ المخصـوصة قبـل العلمية مع لام العهـد ليفيد الاختصـاص بهِ وصـار لكثرة الاستعمال لها[4] عَلَمًا، كما لا يخفى على ذي الفهم السليم. قـال الـرضي: ويسمّى هـذا القسم من العلم، العلم الاتفـاقي فتكون الـلام في مثلـه لازمة لانـه لم يصر علماً إلاّ مع اللام، فصـارت كبعض حروف ذلك العلم كالنجـم والبيت والمدينة حيث ما[5] غلب استعمالها على مدينـة النبي ﷺ. فهي مشابهة اليوم للأمس، ومطابقةٌ لها مطـابقةَ الخمس للخمس. وذكرت فيها أموراً[6] اقتضى الشأن أن تذكر[7] لمناسبـة المقام والحال رأيت أنّ ذكرهـا ها هنا برمّتهـا غيرُ مناسب، فان لكلٍّ مقـامٍ مقال[8]، فكانت الرسالة المذكورة دليلاً قاطعاً لكلامه، وحجّةً قائمة باسكاتِهِ و إلزامه.

ثم إني أقمتُ في دمشق المحمية مـدةً وأنا معزول، وحـدسَ في فكري التوجـهُ إلى استنبول، وكنتُ بين إقدام وإحجـام، وترددتُ في هـذا الأَمر بعضَ أيـام، وتشاورتُ مع الأصحـاب رفع الله تعالى لهم قدراً، فمنهم من مـال الى التحذير ومنهم مـن مال إلى الإغرا، وبعضهم رغّبني وصـوّب رأيي وسدَّد، وبعضهم رهَّبني وانشد: (البسيط)

يـا من غـدا في طـلاب العلم مجتهـداً ... لم يثنـه عنـه لا مـالٌ ولا وَلَـدُ
لا تبسطـنَّ لتقليـدِ القضـاءِ يـداً ... أيـرتضي رتبـةَ التقليـدِ مجتهـدُ[9]

---

(١) ظ: كل مستقبل وحال وماض
(٢) ظ ل: بقدوس
(٣) زاد هنا في ظ لفظة الله
(٤) لها: من ع وحدها
(٥) ما: سقطت من ع
(٦) ك: أمور
(٧) دا هنا ينتهي ما لدينا من ع
(٨) كذا هو والصواب: مقالا
(٩) البيتـان لابن الـوردي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨) ذكـرهما تقي الـدين أبـو بكـر بن علي بن محمـد بن حجـة الحمـوي (ت ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٣م) في خزانة الأدب وغاية الأرب: ٣١٣

فقلت : للائم بواسطة هذا اللوم وسببه : (البسيط)

* لا بد للمرءِ من مالٍ يعيشُ بِه[1] *

وأنشدته : (السريع)

يـــــــاذا الـــــــذي أصبح لي لائماً أنسيت مـــــــا قُـــــــدِّر في الماضي
ان الـــــذي ســـــاقك لي واعظـــــاً هـــــو الـــــذي صيَّرني قـــــاضي
والله مـــــا اخترتُ ســـــوى وصلـــــه فـــــاختـــــار أن يعكسَ أغـــــراضي
ان كنتَ لا تـــــرضى بها قـــــد قَضى إني بها قَـــــــــــدَّرَهُ راضي

على أن القضاة ليسوا سواء، فيهم من يأمر بالتقوى وينهى عن الفحشا، ويتجنبُ الباطلَ وأكلَ الرّشا[2]، ومنهم دون ذلك واقعون في مهاوي المهالك، نسألُ الله تعالى أن يجنبنا عن هذا القبيل، ويهدينا الى سواءِ السبيل، وإني بعناية الله تعالى وَمَنِّهِ الصمداني : (الوافر)

وليت الحكمَ خمســـــاً وهي خمسٌ لعمـــــري في الصِّبـــــا والعنفـــــوان
فما وضع الأعـــــادي قَـــــدْرَ شـــــاني ولا قـــــالـــــوا فـــــلانٌ قـــــد رشـــــاني

وكان بعضُ الأصحاب يرغبني عن ذلك لخساسةِ الشركا، ويقول : كم من جاهلٍ نراه على هذا المطلب منهمكا . وكان ينشدني في هذا المقام : (الوافر)

* اذا وقع الذباب على طعامٍ[3] *

فكنت أنشده : (الوافر)

إذا شـــــوركـت في أمـــــرٍ بـــــدونٍ فـــــلا يَلْحَقْـكَ عـــــارٌ أو نفـــــورُ
ففـي الحيـــــوانِ يشتركُ اضطـــــراراً أرسطـــــاليسُ والكلبُ العقـــــور[4]

ثم لما كانت فوائد التنقل والأسفار، ممَّا ملئت به بطونُ الاسفار، ولله درّ القائل : (البسيط)

مـــــا دامت البيض في الأجفـــــانِ مغمـــــدةً فما يبينُ لها في الهام مـــــن عَمَـــــلِ
وفي التنقل عـــــزٌ للفتى وعـــــلا لم يَكْمُلِ البـــــدر لـــــولا كثـــــرةُ النُّقَلِ
والمنـــــدلُ الـــــرطب في أوطـــــانِـــــهِ حَطَبٌ وقـــــد يقـــــوَّمُ في الأسفـــــار بـــــالجمل

---

(١) بهامش ك : تمامه : وداخل القبر قد يحتاجُ للكفنِ

(٢) ظ : ويتجنب من الفحشاء وكل الرشا

(٣) شطر بيت وتمامه : رفعتُ يدي ونفسي تشتهيه

(٤) هنا ينقطع نص النسخة ظ وهذان البيتان ذكرهما الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات (مخطوطة البودليانة باكسفورد رقم ٢٣١ من مجموعة ارش . سلد ، الورقة : ١٢٤) ونسبهما إلى الشاعر سعد بن محمد الصيفي التميمي المعروف بحيص بيص ونصّهما عنده :

اذا شـــــوركت في حـــــالٍ بـــــدون فـــــلا يغشـــــاك عـــــارٌ أو نفـــــورُ
تشـــــاركَ في الحيـــــاةِ بغيرِ خُلْفٍ ارسطـــــاليس والكلب العقـــــور

ولم يرد البيتان في ديوان الحيص بيص

رأيت أن السفرَ إلى استنبول من الأمر المتعين ، والتوجهَ إليها من المهم اللازم البيّن ، فتعين عليَّ حينئذ أن أنشيءَ رحلـةً رومية ، وأكتبَ فيها بعضَ ما يقع من الحوادث اليومية ، بحيث تكون كالذيل على تلك الرحلة ، ومعطوفة عليها عطفَ الجملة على الجملة . وحيث اشتملت هذه على الشكاية من أحوالِ الزمان ، وتضمنت التوجعَ من تأخرِ الفضلاءِ في هذا الأوان ، والتأسفَ على حظِّ أهلِ الأدب ، وقد حيل بينهم وبين الأرب ، رأيتُ أن أسميها باسمٍ مناسبٍ مقتضى المقام والحال ، وأسِمَها بوسمٍ يستدعيه المقال ، فسميتها :

بَوَادي الدموع العَنْدَمية بوَادي الديار الرومية

تعليقـــات

(1) جوي زاده : محمـد بن محمد جوي زاده، قـاض عثماني تولى قضاء دمشق الشـام، وكان وصوله إليها خـامس عشر صفر ٩٧٧ هـ/ ١٥٦٩م، وفي ختامهـا انفصل عنها عندمـا أعطي قضاء القـاهرة وتـرقى في المناصب إلى أن أصبح مفتيـا بالتخت السلطـاني. وأثناء وجـوده في دمشق أنقص من قيمـة الرسوم التـي تتقاضاهـا المحاكم عنـد تسجيل الحجج. وقد أخـذ عن علماء دمشق كما أجـازه الشيخ بـدر الـدين الغـزي وكـانت وفـاتـه ليلـة الخميس سـادس جمادى الآخرة(٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م). انظـر نجم الـدين الغزي(١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م)، الكـواكب السـائرة بأعيـان المئة العـاشرة، تحقيق جبرائيل جبـور، المطبعـة الأمريكيـة، بيروت(١٩٤٥-١٩٥٩) ٣: ٢٧-٢٩، وصـــلاح الــدين المنجـــد، ولاة دمشق في العهـــد العثماني، دمشق(١٩٤٩) : ١٦، وهو مذكور هنالك باسم : (محمد افندي جوي زاده).

(2) طائفة النصارى : انفردت نسخة (ظ) بـزيادة «من» (طائفة من النصارى) والأصوب : طائفة النصارى كما ورد في سـائر النسخ، إذ الملاحظ من مراجعـة دفاتـر الطابـو العثمانية أنها تسمي النصـارى عامـة «طائفـة» وتشير إلى اتباع كل كنيسـة بلفظة «جماعت» فتقـول مثلاً في تعـداد السكان رقم TD. 516 (بتـاريخ ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢ - ١٥٦٣م) «جماعـة ملكيـة من طائفـة نصارى عددهم ٩٢ خانة و ٢٦ مجرد، وهكذا.

(3) فوري أفنـدي : هو أحمد بن عبـدالله المعروف بفـوري الرومي، عمل في مطلع حيـاته مدرساً في بروسه، ودرس في إحدى المدارس العثمانية، وكان شاعراً وله رسائل وتعليقات؛ عمل مفتيا في دمشق وأخذ عن عالمهـا الكبير الشيخ بدر الدين الغزي. وأعطي تـدريس المدرسة السليمانية بدمشق؛ ثم - كما يقول صاحب الرحلة - رافق قاضي دمشق للبحث عن «خبر الكنيسة» وما أحدثـه النصارى من تجديد فيهـا، وتوفي في ختـام شهر شوال ٩٧٨هــ/ ١٥٧١م ودفن بتربة القلندريـة في مقبرة باب الصغير بـدمشق. انظر الكـواكب السائرة ٣: ٦ (وقـد أثبت المحقق اسمه «فوزي»بالزاي) والمولى علي بن بـالي المعـروف بمنق (ت ٩٢٢ هــ/ ١٥٨٤م)، العقد المنظوم في أفـاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت(١٩٧٥) : ٤٠٢-٤٠٣ وكتاب عرف البشام فيمن ولي فتـوى دمشق الشام لمحمـد خليل بن علي بن محمد بن محمـد مراد المرادي، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٩ : ٣٣ - ٣٤ (واسمه فيـه غوري) وكتاب ثـريا محمـد، سجل عثماني ياخوذ تـذكرة - مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة إسطنبول (١٣٤١هـ) أعيد تصويرها في مؤسسة :

Gregg International Publishers Ltd. Hants,1971,4,p. 28

(4) لوبيــة : قرية بناحيـة طبرية تبعد عنها إلى الجنـوب مسافة ١٣كم. كان عـدد سكانها حسب إحصاء (١٠٠٥ هـ/ ١٥٩٦م) ١٨ خانة و٣٢ مجرد، وكـانـت الدولة تحصل عنها ضرائب على شكل مقطوع ما مقـداره (٤٥٠٠٠) أقجه يضـاف اليها رسـوم معاصر مبلغ ٣٠٠ أقجه ورسم بادهوا ورسم عروس ٧٠٠ أقجه ورسوم على الماعز وخلايا النحل ٧٠٠ أقجه. انظر:

Wolf-Dieter Hütteroth and Kamal Abdul-Fattah, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century,* Erlangen, 1977, p. 187

وقسطنطين خمار: أسماء الأمـاكن والمواقع والمعـالم المعـروفـة في فلسطين حتى العـام ١٩٤٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢، بيروت (١٩٨٠)، ص : ٢١٠. وقـد كانت لوبية إحدى المحطات على الطريق بين الشام والقاهرة، وحول تلك المحطات انظر:

U. Heyd, *Ottoman Documents on Palestine 1552 - 1615,* (OUP) 1990, pp. 102 - 116, 128 - 138

(5) معلول زاده : محمـد أفندي بن محمد معلـول؛ ولي قضاء دمشق الشـام ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م ومن بعد تولى قضـاء عسكر بلاد الأناضـول سنة ٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م. وفي العام التـالي أعطي نقابة الأشراف، وفي عام ٩٨٧هــ/ ١٥٧٩م أصبح قاضيا لعسكر الـروملي، ثم تولى منصب شيخ الإسلام، وكانت وفاته سنة ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م. انظر الكواكب السائرة ٣ : ٣٠، وولاة دمشق : ١٦، وثريا (المرجع السابق) ٤ : ١٢٥.

(6) عيون التجار : من المنـازل الرئيسية على الطريق بين دمشق والقاهرة، تقع شرقي مـرج ابن عامر بالقرب مـن جبل الطور. وكانت أيضا مـركزا لتجمع قطاع الطرق والبـدو والعصاة، وكثيراً ما كانوا يتعـرضون للتجار والمسافرين والحجـاج في طريقهم إلى القدس، لذا أمـر السلطان سنة ١٥٨١م ببناء خان هناك يحيط به أربعة أبراج، وأمر بشحنها بجنود من دمشق بحيث يقيم في كل برج عشرة جنـود من أجل الحماية والحراسـة، ويضاف إلى هـؤلاء ثلاثـون فارسـا. كما أمر السلطـان ببناء قلعـة تتسع لمائتي أسرة. وتشير المصادر إلى أن عـددا من كبار المسـؤولين مثل حسن بك أمير صفد وعساف بك أمير اللجون قد شاركوا في أعمال تلك المنشآت، انظر :

U. Heyd, *Ottoman Documents*, pp. 110 - 114

(7) كانت لـدّ في القرن السادس عشر تعد قـرية في ناحيـة الرملة، والرملـة تشكل جزءا من سنجق (لواء) غزة. وحسب إحصاء ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م كـان سكان لد على النحو الآتي. مسلمون ٢٤١ خانة ١٤ مجرد، ومسيحيون ٢٣٣ خانة. أما الضرائب التي تجنى منها فهي:
• ٨٠٠٠ أقجة قيمة القمح المتوجب جمعه.
• ٤٠٥٠ أقجة قيمة الشعير.

وكان فيهـا سوق (بازار) يوفـر للدولة ٥٠٠٠ أقجـة سنوياً على شكل رسوم. وتجد المعلـومات الجغرافية العربية المتعلقة بلد في: الأب مرمرجي الدومنيكي، بلدانية فلسطين العربية، وقف عليها وفهـرسها محمـد خليل الباشـا، عالم الكتب، بيروت، (١٩٨٧م) ص: ٢٩٩-٣٠٠ وانظر علي بن أبي بكـر الهروي (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، كتـاب الإشارات إلى معـرفة الـزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق (١٩٥٣) ص: ٢٢.

(8) مشهـد زكريـا ويحيى: يذكـر الهروي أن في سبسطيـة بدن يحيى بن زكـريا وقبر أمـه وقبر اليسع (الـزيارات: ٢٣) ويـورد مجير الـدين الحنبلي (٩٢٣هـ/ ١٥٢٠م) في كتـابـه «الأنس الجليل بتـاريخ القدس والخليل» (نشر مكتبـة المحتسب) ٢: ٦٢ أن المشهد بـذيل جبل طور زيتـا، وكانت هنـالك قبتان، قيل إن القبة الأولى كـانت على قبر زكريا، والثـانية على قبر يحيى. ثم يضيف إلى قوله: «ورأيت منقولا بخط بعض العلماء ان يحيى وزكريا مدفونان بذيل جبل طور زيتا، بمقابر الأنبياء.... وقيل إن قبر يحيى وزكـريا بقرب سبسطية من أرض نابلس، وقيل بجامع دمشق، والله أعلم.» وانظر بلدانية فلسطين: ١٥٢، ٢٦٢ - ٢٦٣.

(9) مشهـد معاذ: المعـروف أن معـاذ بن جبل رضي الله عنه، كـان قـد دفن في غور الأردن. انظـر الهروي، الزيارات: ٣٧.

(10) ابن نباتـة: أبو بكـر جمال الدين محمـد بن شمس الدين محمـد بن محمد بن الحسن بن نبـاتة، ويقال لـه المصري تفرقـة لـه عن ابن نباتة السعـدي (شاعر سيف الـدولة)، ولد في القـاهرة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م، وزار دمشق وحلب، وحين حل في حماة عين له أبو الفـدا صاحبها جراية شهرية. وفي عـام ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م عيـن بديوان إنشـاء دمشق، وكـان صديقا لصلاح الدين الصفدي وبينهما مراسلات ومطارحات، وقد عـرف بشعره وبشرحه لرسالة ابن زيدون الهزلية في كتاب سماه «سرح العيـون». وكانت وفاته في الثـامن من صفر ٧٦٨هـ/ ١٤ تشرين الثـاني ١٣٦٦م. انظـر الصفـدي، الـوافي بـالـوفيـات، تحقيق هلمـوت ريتر، فيسبـادن (١٩٦١) ١: ٣١١ - ٣٣١، وعمر موسى باشا، ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق، القاهرة (١٩٦٢م).

J. Rikabi. "Ibn Nubata", in *EI*[2], III. PP. 900 - 901

(11) جلق، حول دلالـة استخدام «حلق» في العهـود الإسلامية، لتعني الغـوطة أو منطقـة حوران المحيطة بالكسوة، أو للدلالة على دمشق. انظر :

N. Elisséeff, "Djillik", in EI^2, 11, P. 541

(12) الشيخ علي المالكي : يذكر الغزي اثنين بهذا الاسم، أولهما علي بـن زين العابدين المالكي الذي أجازه أستاذه ناصر الدين اللقاني بالافتـاء والتدريس، وكان متبحراً في علوم الشريعة؛ والثاني هو علي نور الـدين الطحلاوي المالكي، وهو تلميذ اللقـاني أيضاً، وقد أجازه استـاذه بالافتاء والتدريس كذلك، ولم يذكر وفاة أي منهما. انظر : الكواكـب السائرة ٣ : ١٩٥ .

(13) القـايتبـائيـة : نسبـة إلى السلطـان المملـوكي الجركسي البرجي الأشرف أبي النصر سيف الـدين قايتبـاي المحمودي الظاهري (٨٥٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م). كان من عادتـه أن يقوم بـزيـارات مفـاجئـة لبلـدان السلطنـة المملـوكيـة، من ذلك زيـارتـه للقـدس (١٧ رجب ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م) فأقام بها ثـلاثة أيام أظهر فيها العـدل. وكانت له مدرسـة في القدس نزل فيهـا ولم تعجبه فأمـر بهدمهـا وبناء مـدرسـة جديـدة مكانها. وبـوشر بحجـر الأساس سنـة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وفي العام التالي سير السلطـان المعماريين والمهندسين من القاهرة؛ لعمارة المدرسة، وبنـاء على اقتراح أحد المهنـدسين، وكان نصرانيا، هـدم بعض المجمع السفلي من المدرسـة، ورخمت وكسيت بالـرصـاص. راجع العليمي، الأنس الجليل ٢ : ٣١٥، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨ - ٣٢٩ وانظـر أيضـاً محمـد بن أحمد بن إيـاس الحنفي (٩٣٠هــ/ ١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة (١٩٦١-١٩٦٣) ٣ : ١١٢، ٢١٨ وحول أوقـاف المدرسة كما ذكرتها دفـاتر الطابـو انظر دفتر طابو رقم ٥٢٢ ويورد نص وقفية تـاريخها ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م وانظر: أوقـاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألويـة غزة، القـدس الشريف، صفـد، نـابلس، عجلـون، تحقيق وتقـديـم محمـد أبشرلي ومحمـد داود التميمي، منشـورات مـركز الأبحـاث للتـاريخ والفنون والثقـافة الإسلاميـة، استانبـول (١٤٠١ هـ/ ١٩٨٢م) ص : ٣٩ - ٤١؛ وانظر أيضـا جلال أسعـد ناصر، عمائر السلطـان قايتباي في بيت المقدس، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

(14) الشيخ عبد النبي بن جماعة، ذكره الغزي في ترجمة والده الشيخ محمد بن عبد القادر بن جماعة، وكان الأب من أعيان القدس. وتصفه حجة تاريخها ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م بأنه أعلم العلماء المتبحرين، شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين، مبين مناهج الحق المبين، أبو الفضائل حافظ الدين، عبد النبي بن جماعة الكناني المفتي بالبلاد الإسلامية...) سجل رقم: ٣١/ (١٤ ذي الحجة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) ص: ٢٠٥، أما عبد الغني ابنه فان في تعليقات صاحب الرحلة ما يشير إلى سلامة فيه تشبه الغفلة، وجهل بأولويات الأمور مع أنه أحرز لقب شيخ الإسلام.

(15) تفسير البيضاوي: هو «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله ابن عبد الرحمن الشيرازي البيضاوي الشافعي (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) طبع عدة مرات. كتب عليه فوري حواشي وبيضها في كراريس، انظر العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ص: ٤٠٢. وعن البيضاوي المفسر انظر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة (١٩٦٤م) ٨: ١٥٧ - ١٥٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى؛ وانظر أيضا:

J. Robson" al - Baydawi" in *EI*[2],I,p. 1,129

(16) ابن أبي حفصة وعلي بن الجهم: المقصود بابن أبي حفصة هنا: مروان الأصغر ابن أبي الجنوب وهو حفيد مروان الأكبر. وكانت بينه وبين علي بن الجهم ملاحاة ومهاجاة، انظر الأغاني «ط دار الثقافة - بيروت» ١٢: ٧٢ - ٧٩ وكلاهما عاصر المتوكل، وكانا يتنافسان على الحظوة لديه. ولابن الجهم ديوان حققه خليل مردم بك، دمشق (١٩٤٩م). وأصل أجداد ابن الجهم من مكة، هاجروا إلى البحرين ثم الى مرو الشاهجان بخراسان، ثم عاد والد علي إلى بغداد، وهنالك نشأ علي، وقربه الخليفة المأمون، وتولى مظالم حلوان، ثم اختص بالمتوكل، لكنه لم يلبث أن تغير عليه وسجنه، ونظرا لما عاناه في سجنه انغمس بعد اطلاقه في اللهو والمجون؛ ثم توفي مقتولاً في طريقه إلى الغزو خارج حلب (٢٤٩هـ/ ٨٦٣م). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١: ٣٦٧-٣٦٩ ومقدمة ديوانه.

(17) كتاب الاتقان: ينصرف هذا الاسم الى كتابين: أحدهما الاتقان في علوم القرآن للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) والثاني: الاتقان في فضائل القرآن لابن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) أنظر: كشف الظنون ١: ٨.

(18) زيارة سيدنا موسى: لعله يعني هنا المقام المنسوب للنبي موسى على الطريق ما بين

القدس وأريحا، ولقد بنى السلطان الظاهر بيبرس (٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) قبة على ذلك المقام. وفي سنة ٨٧٥هـ/ ١٢٧٦م وسع المسجد القائم هنالك ثم وسع مرة أخرى من جهة القبلة سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م وبنيت له منارة. وأهل بيت المقدس يؤمونه للزيارة في كل سنة عقب الشتاء، ويقيمون عنده سبعة أيام. انظر الأنس الجليل ١ : ١٠٢. انظر أيضا كامل جميل العسلي، موسم النبي موسى في فلسطين : تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الأردنية، ط١، عمان، ١٩٩٠.

(19) رسائل اخوان الصفا : هي إحدى وخمسون رسالة في شتى العلوم والمعارف، لا يعرف مؤلفها على وجه التحقيق، وتفيد المصادر انه اجتمع على تأليفها عدد من العلماء منهم أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد النهر جوري والعوقي وزيد بن رفاعة، وأن الصياغة قام بها أبو سليمان محمد بن معشر البستي المعروف بالمقدسي؛ وقد حاولوا فيها المزج بين الشريعة والحكمة وحشوها بالكلم الدينية والأمثال الشرعية؛ انظر : أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة (١٩٣٩) ٢ : ٥ -٢٣، وانظر ايضاً

Y. Marquet, "Ikhwān al-Ṣafā' ", in *EI*[2], 111, pp. 1071 - 1076

(٢٠) خليل الرحمن : كانت مدينة الخليل في القرن السادس عشر تابعة هي ونواحيها للواء القدس، وكانت المدينة مؤلفة من الحارات التالية، بموجب اقرب إحصاء لزمن الرحلة وذلك سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م، دفتر الطابو رقم : 516

الرقم	الحارة	عدد السكان المسلمين					
		خانة	مجرد	أعمى	كسيح	مجنون	شريف
١ -	فستق	٩٨	٢٣	-	-	-	-
٢ -	قيطون	٧٧	٣١	-	-	-	-
٣ -	مشعابنه	١٤١	٣٣	١	-	-	-
٤ -	شيخ علي بكا	٤٦	١٨	-	١	-	-
٥ -	قزازين	١٥٥	٠٧	٣	٢	١	-
٦ -	أكراد	٣٠٤	١٢	١	-	-	٢
٧ -	وسطى	١٥٥	-	-	-	-	٢

يهوديان ١١ يدفعون ٨٠ أقجة في السنة

انظر في الاحصاءات والضرائب في القرن السادس عشر

Amnon Cohen and Bernard Lewis, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century*, Princeton University Press, Princeton, 1978, pp. 110 - 111

وفي أسماء القرى وعدد سكانها، انظر :

Hütteroth, and Abdul-Fattah, *Historical Geography,* pp. 122-124

وفيما يتعلق بحارات الخليل ومساجدها وزواياها ... إلخ، فانظر الأنس الجليل ٢ : ٨٥.

(21) غزة : في ما يتعلق بغزة مقرا للنيابة في العهد المملوكي، انظر دراسة محمود عطاالله، نيابة غزة في العهد المملوكي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١٩٨٦)، وكانت غزة في القرن السادس عشر مقرا للواء (سنجق) عرف باسمها، وكان جزءا من ولاية دمشق الشام. وحول احصاءات وحارات غزة وسكانها في ذلك القرن، انظر:

Amnon Cohen and Bernard Lewis, *Population and Revenue,*

pp. 177-134

ويلاحظ أن الأكراد والتركمان وجنود الحلقة قد كونوا نسبة بارزة في مجموع السكان، هذا بالإضافة إلى وجود جماعات من النصارى هاجرت إليها من الشوبك وجماعات هاجرت من مصر.

(22) الطغرائي : الأستاذ مؤيد الدين اسماعيل الأصبهاني، تولى ديوان الإنشاء في الدولة السلجوقية، قتل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م في الفتنة بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمود. وهو صاحب «لامية العجم». انظر ياقوت الحموي : معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث ١ : ٥٦ - ٧٩ وابن خلكان، وفيات الأعيان ٤ : ١٨٥ - ١٩٠.

(23) ابن خطيب داريا : محمد بن سليمان بن يعقوب بن عساكر الأنصاري الدمشقي الشافعي (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) اشتغل بالفقه والعربية وفنون الأدب، ويذكر أنه كان يتلاعب بالقضايا الخاصة بالأملاك، غلب عليه المجون والهزل ثم أدركته توبة. وله عدد من التصانيف. راجع ترجمته عند شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦ م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (تصوير دار الحياة - بيروت) ٦ : ٣١٠ - ٣١٢. وداريا التي ينسب إليها إحدى قرى دمشق، انظر عبد الجبار بن عبدالله الخولاني (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، تاريخ داريا، تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق (١٩٥٠)، وأعيد طبعه ١٩٧٤؛ وشمس الدين محمد بن طولون، «ضرب الحوطة على جميع الغوطة»، نشر أسعد طلس، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مجلد ٢١(١٩٤٦) ١٤٩ - ١٦١، ٢٣٦ - ٢٤٧، ٣٣٨ - ٣٥١؛ ويؤخذ من هذا المصدر انها كانت «بلدة كبيرة جيدة عذبة بها جامع، وبها أراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية والفقراء».

وتزودنا دفاتر الطابو بالمعلومات السكانية عن داريا، على النحو التالي :

دفتر طابو 430 / ص: ٤٦٧

خانة	مجرد	خطيب وإمام
١٥٨	١٠	٤

دفتر طابو 401 / ص: ٣٣١ - ٣٣٢

	خانة	مجرد	خطيب وإمام
محلة حارة القبلي	١٠٦	٩	١
محلة حارة الشمالي	٨٤	٦	١

دفتر طابو 263 / ص: ٩٢٣ - ٢٩٧

	خانة	مجرد	خطيب وإمام
محلة حارة القبلي	١٠٦	٢٩	١
محلة حارة الشمالي	١١٥	٢٥	١

(24) الشيخ محمد بن الشيخ علوان : محمد بن علي بن عطية بن علوان الحموي، من أقطاب الصوفية في حماة، لبس الخرقة من والده وخلفه، وكان على اتصال بالشيخ بدر الدين الغزي. توفي في أوائل رمضان (٩٥٤/ ١٥٤٧) وله رسالة «تحفة الحبيب فيما يبهج من رياض الشهود والتقريب» في الطريقة. انظر: الكواكب السائرة ١ :١٢٨ ، ٢ : ٥١ - ٥٢ ؛ وحاجي خليفة، كشف الظنون ١ : ٣٦٥ .

(25) آل المهلب : أسرة أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة، قائد الجيوش الأموية في حرب الخوارج، ووالي خراسان (٧٩هـ/ ٦٩٨م) خلف أولاداً وأحفادا كثيرين، وكانت وفاته سنة (٨٢ هـ/ ٧٠١م). وبعده ولي ابنه يزيد خراسان ؛ وكتب التاريخ زاخرة بالمعلومات عنه وعن أبنائه وحفدته . انظر في حياته وأعماله، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة (١٩٧١) ٦ : ٣٥١ - ٣٥٥ ، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥ : ٣٥٠ - ٣٥٩ وغيرهما .

(26) لعل الإشارة هنا إلى ابن حجة الحموي، تقي الدين علي بن عبدالله الحنفي الأديب الشاعر، صاحب ثمرات الأوراق، وخزانة الأدب، وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، وأمان الخائفين من أمة سيد المرسلين، وبديعية في ١٤٣ بيتا؛ انظر حاجي خليفة، كشف الظنون ١ : ١٦٦، ٢٣٣ - ٢٣٤، ١٣٤٣.

(27) قطية (قطيا) يصفها ابن فضل الله العمري بقوله : «هي قرية الرمل جعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات، وامرها مهم، ومنها يطالع كل وارد وصادر». ويضيف القلقشندي إلى ذلك قوله: «وعليها يرد سائر التجار الواصلين في البر من الشام والعراق وما والاهما، وهي أكثر الجهات متحصلا، وأشدها على التجار تضييقا، وعندهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ من نظيرها، أما واليها فكان قبل عهد القلقشندي من رتبة طبلخاناه». راجع التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة (١٣١٢هـ)، ص: ١٧٥ وصبح الأعشى ٣ : ٤٠١ - ٤٦٦، ٤ : ٢٧، ٢٨. ويذكر محمد رمزي انها قد اندثرت ولم يبق منها إلا أطلالها ما بين القنطرة والعريش. انظر القاموس الجغرافي للبلاد المصرية المندرسة، مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٥٣ - ١٩٥٤) : ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(28) بلبيس الشرقية : يصفها الوطواط بقوله: هي مدينة عامرة آهلة، أهلها أجلاء رؤساء، لهم الشارة الحسنة والمروءة الظاهرة، يأخذون نفوسهم بزي أهل مصر والقاهرة، وبها الأسواق العامرة والخانات والحمامات والبساتين المشتملة على سائر الفواكه، وبها مدرسة. انظر : محمد ابراهيم بن يحيى الكتبي المعروف بالوطواط (ت ٧١٨/ ١٣١٨) مباهج الفكر ومناهج العبر، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، الكويت (١٩٨١)، ص ١٠٨
G. Wiet, "Bilbays" in *EI*[2], I, p. 1218

(29) الخانقاه : الأرجح أنه يعني خانقاه سرياقوس التي بناها الملك الناصر محمد بن قلاوون (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) وقد أقبل الناس يبنون حولها، فأنشأوا الدور والحوانيت حتى أصبحت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس، وقد تزايدت عمائر وسكانا فأنشيء فيها عدد من الحمامات. وللناصر حجتا وقف الأولى بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م والثانية بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م أوردهما الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب (ت ٧٦٦هـ/ ١٣٧٧م) في كتابه تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة (١٩٨٢م) ٢ : ٣٨٦ وما بعدها. وأعاد المحقق نشرهما في كتابه : وثائق السلطان الناصر محمد بن قلاوون القاهرة (١٩٨٢م) وفي سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م أصبحت ناحية قائمة بذاتها، ص: ١٠٥ والمقريزي، الخطط، ورمزي، القاموس الجغرافي، قسم ٢، جـ ١ : ٣٢ - ٣٣، وتوفيق الطويل، التصوف في مصر إبان العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١ : ٤٣-٤٥.

(30) سحبان وائل (ت ٥٤هـ/ ٦٧٤م): الخطيب المشهور، ومضرب المثل في إجادة الخطابة؛ يقال إنـــه جاهلي أدرك الأسلام ويقال إنــه لم يـــدرك الإســـلام، انظـــر ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هــ/ ١٤٤٨م) الإصـابـة في تمييز الصحـابـة، دار إحيـاء التراث العـربي (بيروت) ٢ : ١٠٩ ومجمع الأمثـال للميـداني ١ : ٣٤٦-٣٤٧ وعبـد القـادر بـدران، تهذيـب تـاريخ دمشق، بيروت (١٩٧٩م) ٦ : ٦٧.

(31) محمد البكـري: شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن أبي الحسن البكـري الصديقي المصري الشافعي، أخذ العلـم عن والده، واجتمع ببدر الدين الغـزي بمصر سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م وكانت وفاته ١٤ صفر ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م، انظر: الكواكب السائرة ٣: ٦٧-٧٢.

(32) عذرة: قبيلة كانت منازلها في شمال الحجاز، وكانوا يقدمون القرابين للإله «ود»؛ وقد عرفوا برقة القلـوب، والعفـة في الحب، حتـى نسب إليهم الغـزل العفيف، فقيـل غـزل عـذري. وللتفصيلات في دراسة هذه القبيلة ونسبها وعلاقاتها بالقبائل الأخرى انظر:

G. Levi Della Vida, " ᶜUḏhra" in *EI¹*, VIII, pp. 988-990

(33) أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ/ ٩٧٣- ١٠٥٨م) الشاعر الناثر نسيج وحـده في ذكائه واتسـاع معرفتـه، جمع شعـر الصبا في سقط الـزند، وشعـره التأملي في اللزوميـات، وله مؤلفـات كثيرة، شعراً ونثـراً؛ رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨/ ١٠٠٨ وأقـام فيها سنتين ، ثم عاد الى المعرة، جاعلا من بيته معتكفا لنفســه، لكن شهرته الواسعة أغرت الطلبة بالرحلة إليه، فقصـده التلامذة من أقصى المشرق ومن الأندلس. جمعت معظم ترجماته التي وردت في المصـادر القديمـة في كتاب تعـريف القدمـاء بأبي العـلاء (القاهـرة) وصدرت عنـه عشرات الدراسات في شكل كتب وبحوث. وانظر أيضاً:

P. Smoor, "al - Maᶜarri", in *EI¹*, vol. V, pp. 927 - 935

(34) تزمنت : يـذكرها الأسعـد بن مماتي (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) من الكفـور الشاسعة بـالبهنسا، كما يشير ياقوت الى أنها على غربي النيل من الصعيد، ويورد رمزي أنها (سنة ١٩٢٩م) قسمت الى نـاحيتين، انظر : قـوانين الـدواوين تحقيق عـزيـز سوريـال عطيـة، مطبعـة مصر، القاهـرة (١٩٤٣) س والوطـواط : المصدر نفسه، ص: ٨٧ ويـاقوت الحموي، معجم البلدان ١ : ٨٤٧ ورمزي، المرجع نفسه ق٢/ ٣: ١٥٩٠

(35) باقل : إيادي يعـد مضرب المثل في العي؛ فيقال : أعيا من باقل؛ انظر الميـداني، المصدر ذاته ١ : ٦٧٤.

(36) المشاق : هي العوائد المالية التي كانت ترد على دار السلطنة من أمين المشاق الذي كان يجمعها من الملتزمين. وكانت ضريبة المشاق تفرض على نسل حبال القنَّب. انظر : محمد شفيق غربال «مصر عند مفرق الطرق (١٧٩٨ - ١٨٠١م)؛ المقالة الأولى في ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية»، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، م٤ (١٩٣٦)، ج١ (الطبعة الثانية، ١٩٥٣)، ص ٥٨.

(37) الشيخ الشعراوي : عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن ذوقا، وينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية، ويقال في نسبه أيضاً الشعراني، وذلك نسبة إلى قرية أبي شعره بمصر. شافعي المذهب من أقطاب الصوفية في القرن العاشر، له عدد من المؤلفات منها : طبقات الأولياء. توفي (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)؛ انظر الكواكب السائرة، ٣ : ١٧٦ - ١٧٧ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب : ٧ : ص ٣٧٢-٣٧٥.

(38) إسماعيل النابلسي : اسماعيل بن أحمد بن الحاج ابراهيم النابلسي (ت ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) : أصبح شيخ الإسلام بدمشق بعد وفاة الشيخ بدر الدين الغزي. أخذ عن عدد من العلماء بدمشق، ودرس بالجامع الأموي ثم بدار الحديث الأشرفية وبالشافعية البرانية، وكانت دروسه حافلة لصفاء ذهنه وطلاقة لسانه وحسن تقريره، رزق حظاً كبيراً من الجاه والمال، وكانت شفاعته لا ترد لدى الحكام (ت يوم السبت ١٣ ذي القعدة ٩٩٣هـ/ ١٥٦٥)؛ البوريني، تراجم ٢ : ٦١ - ٧٩ والغزي، الكواكب ٣ : ١٣٠-١٣٥، وكان محب الدين الحموي قد تزوج إحدى بناته، ورزق بأبناء (انظر ما ورد في مقدمة التحقيق).

(39) بولاق : ميناء مدينة القاهرة على ساحل النيل، كانت تصلها المراكب من دمياط، فتحمل الثلج من الشام، ومن ثم تحمل على البغال إلى الشرابخانة. وقد شجع الملك الناصر محمد العمارة فيها، فأقبلت على ذلك الفئةُ الميسورة من كبار الموظفين والعساكر والأطباء، وكانت في الوقت ذاته محطة لجبي المكوس إلى أن أبطلها الناصر محمد. وقد عرفت في القرن التاسع عشر بمطبعتها الشهيرة التي أنشأها محمد علي، انظر القلقشندي، صبح الأعشى ١٤ : ٢٧٠، ٢٧٩، ٣٩٦ والمقريزي، الخطط، ١ : ١٣٠ - ١٣١ ورمزي، قاموس ق/ ١ : ٤ و
J. Jomier, "Bulak", in *EI*^{2}, I,p. 1299.

(40) بركة القرع : يذكرها الغزي في معرض ترجمة أحد الصوفية الكواكب ١ : ١٨٣ ويستفاد من ذلك أنها إحدى حارات القاهرة.

(41) ابن سناء الملك : القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل

جعفر بن المعتمد سناء الملك بن عبدالله بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد السعدي، ولد في مصر، وعمل مع القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في دمشق ثم في القاهرة، له ديوان شعر حققه محمد إبراهيم نصر، القاهرة (١٩٦٩) ومن هذا الديوان طبعة بحيدر آباد الدكن. وله من الكتب فصوص الفصول (مخطوط بدار الكتب المصرية) ومن أشهر مؤلفاته دار الطراز (تحقيق جودت الركابي، دمشق (١٩٧٧) وقد وضع فيه لأول مرة قواعد الموشحات الأندلسية، ونظم هو على منوالها موشحات ذات خرجات فارسية وتركية؛ انظر ابن خلكان، وفيات ٦ : ٦٠-٦٦ ومعجم الأدباء، دار المأمون ١٩ : ٢٦٥-٢٧١ وابن سناء الملك: حياته وشعره لمحمد إبراهيم نصر، القاهرة (١٩٦٧م).

(42) نور الدين العسيلي: علي بن محمد العسيلي المصري الشافعي، سافر الى بلاد الروم (سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م) واجتمع برضي الدين الحنبلي الحلبي، وكان مختص بالشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، له حاشية على كتاب المغني في النحو، وكانت له يد طولى في الكلام والعقائد. انظر: الحنبلي، در الحبب، ج ١، ق ٢ (الترجمة رقم ٣٤٠) ص ١٠١٠- ١٠١٢، والغزي، الكواكب ٣ : ١٨٠ - ١٨١ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ٨ : ٤٣٤- ٤٣٥.

(43) الشيخ محمد الرملي الشافعي: محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المنوفي الأنصاري المصري (ت جمادى الأولى ١٠٠٠هـ/ ١٤ كانون الثاني ١٥٩٥م) نسبة إلى قرية الرملة من منية العطار بالمنوفية. أخذ العلم عن والده وعن عدد من علماء مصر، وبلغ منزلة رفيعة في المعرفة حتى لقب بالشافعي الصغير؛ له عدد من المؤلفات منها: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، والغرر البهية في شرح مناسك النووية، والبهجة الوردية في نظم الحاوي الصغير في فروع الشافعية، وغاية البيان في شرح زبد ابن رسلان. انظر الغزي، لطف السمر ١ : ٧٧ - ٨٥ والمحبي، خلاصة الأثر ٣ : ٣٤٢-٣٤٦.

(44) نجم الدين الغيطي: محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغيطي الاسكندري المصري الشافعي، كان من كبار رجال الحديث بمصر، تولى مشيخة المدرسة الصلاحية ومشيخة الخانقاه السرياقوسية، وهي من أجل الوظائف. لبس خرقة الصوفية، ويشير نجم الدين الغزي إلى لقائه بالشيخ محب الدين الحموي. له كتاب: القول القويم في إقطاع تميم، وكتاب المعراج. توفي ٩٨٣هـ أو ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م. راجع الغزي، الكواكب ٣ : ٥١ - ٥٣ وابن العماد الحنبلي، شذرات ٨ : ٤٠٦ - ٤٠٧.

(45) ناصر الدين الطبلاوي: يذكر في المصادر عرضا، فالمحبي يذكره في ترجمة سبطه منصور، ويصفه بأنه كان مفسراً مقرئاً محدثاً بيانياً توفي (٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م). ويذكره الغزي في ترجمة الشيخ محب الدين الحموي وأن محب الدين أخذ العلم عن شيخ الإسلام ناصر الدين

الطبلاوي ولعله غير ناصر الدين المتوفى سنة ٩٦٦ / ١٥٥٩م؛ انظر الكواكب ٢ : ٣٣ - ٣٤ ولطف السمر ١ : ١١٦ وخلاصة الأثر ٣ : ٤٢٨ .

(46) يوسف الشامي : الجمال يوسف بن القاضي زكريا الأنصاري، درس في الصالحية بجوار الإمام الشافعي، وتوفي (٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م). انظر: الغزي، الكواكب ٣ : ٢٢١ .

(47) شهاب الدين احمد بن قاسم : هو على الأرجح شهاب الدين أحمد بن القاسم العبادي المصري الأزهري الشافعي. من تصانيفه الآيات البينات في شرح مجمع الجوامع للسبكي، وله عدد من الحواشي على عدد من المؤلفات. توفي في المدينة المنورة وفيها دفن (٩٩١هـ/ ١٥٨٥م). الغزي، الكواكب ٣ : ١٢٤ ، اسماعيل البغدادي، هدية العارفين ١ : ١٤٩ .

(48) الشيخ علي المقدسي الحنفي : علاء الدين علي بن محمد بن محمد الخزرجي المقدسي الحنفي الشهير بابن غانم، (ت١٠٠٤هـ/ ١٥٩٦م) وكان من أهل الافتاء بمصر، زار القدس ثلاث مرات، وتولى التدريس بعدد من المدارس، وله عدد من المؤلفات، ويعتبر من المجددين. انظر: الغزي، لطف السمر ٢ : ٥٦١ - ٥٦٧ والمحبي، خلاصة الأثر ٣ : ١٨٠-١٨٥ .

(49) الشيخ الملقب بالذيب : محمد الحنفي المفتي، يذكره الشهاب الخفاجي (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) دون ان يقول فيه شيئا ذا بال، انظر ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة (١٩٦٤م) ٢ : ٤٩ - ٥١ (ترجمة رقم ٨٩).

(50) المدرسة الأشرفية : عمرها الملك الأشرف خليل بالقرب من المشهد النفيسي، وقد دفن السلطان فيها، وكان لها أوقاف تولى النظر عليها آنذاك القاضي جلال الدين القزويني قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية؛ القلقشندي، صبح الأعشى ٣ : ٤٣١ ، ١١ : ٢٦٤ ؛ المقريزي، الخطط ٢ : ٢٣٩ .

(51) الشيخونية : نسبة إلى الأمير سيف الدين شيخو العمري الذي أنشأ جامعا وخانقاه في خط الصليبية خارج القاهرة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م). كان يدرس بها المذاهب الأربعة، ودرس للحديث ودرس للقراءات. انظر الخطط ٢ : ٤٢١ .

(52) بدر الدين القرافي : محمد بن يحيى بن عمر بن يونس المصري المالكي، تقلد القضاء بالقاهرة نحو خمسين سنة (ت١٢ شوال ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م). له عدد من المؤلفات. انظر: خلاصة الأثر ٤ : ٢٥٥-٢٦٢ وحاجي خليفة، كشف ٢ : ١٠٤٥ ، والبغدادي، هدية العارفين ٢ : ٢٦٣ وعبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات، (١٣٤٦-١٣٤٧هـ) ١ : ١٥٣ ، ١٥٤ .

(53) مدرسة السلطان حسن : مسجد ومدرسة أنشأهما السلطان حسن بن الناصر محمد ابن قلاوون (٧٥٧هـ/ ١٣٥١م) وكانت وفاة السلطان (٧٦١هـ/ ١٣٦٣م) قبل إتمامهما . ويعد المسجد أعظم المساجد المملوكية بالقاهرة ، حبست عليه أوقاف كثيرة . لمزيد من التفصيل انظر : المقريزي ، الخطط ٢ : ٣١٦-٣١٨ ومساجد مصر، منشورات وزارة الأوقاف ، القاهرة ، (١٩١٨) ١ : ٦٨-٧٢ واللوحات ٧٨ - ٩٠ .

(54) الشيخ محمد الفارضي : شمس الدين محمد ، فرضي وشاعر (حتى حوالي ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) . من آثاره : تعليقه على الجامع الصحيح للبخاري ، والمنظومة الفارضية في الحديث ، انظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ٧ : ٢١٧ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ١١ : ١١٤ .

(55) فوة : بلدة بالقرب من الاسكندرية على شاطيء النيل ، يشار إليها باسم «مدينة المزاحمتين» وهي حاضرة الإقليم . كانت الثياب الحمر تصبغ فيها ، وكانت ذات أسواق ونخيل كثير، ولها ثغر يسمى باسمها . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٣ : ٩٢٤ ، وأبو الفدا ، تقويم البلدان : ١٠٦ ، والقلقشندي ، صبح الأعشى ٣ : ٣٠٠ - ٤٠٣ ، ١٤ : ٥١ - ٥٢ ؛ ورمزي ، القاموس ق ٢ : ١١٣ - ١١٥ .

(56) الشيخ سري الدين ابن الصائغ ، الحنفي المصري . تتلمذ على والده ، وتولى تدريس الحنفية بالمدرسة البرقوقية ومات عن مشيخة الطب بدار الشفا المنصوري ، ورياسة الأطباء ، (ت ربيع الأول ١٠٢٦هـ/ ١٦٢٦م) ولم يعقب إلا بنتاً واحدة تولت مكانه مشيخة الطب . انظر: المحبي ، خلاصة الأثر ١ : ٢٠٣- ٢٠٤ والشهاب الخفاجي ، ريحانة الألباء ، ٢ : ١٤٢ - ١٤٣ .

(57) قبر عقبة : الأرجح أنه الصحابي عقبة بن عامر الجهني ، من أهل الصفة ، سكن مصر وتوفي بها ، انظر أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ٢ : ٨ - ٩ . ويذكر ابراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (ت١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م) أنه زار قبره ، اذ يقول : «فوصلنا القبر عليه مهابة وجلالة ، وللصلاح والولاية دلالة ، ألا إنه قبر سيدي عقبة الصحابي الشهير » ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، تحقيق رجاء السامرائي ، بغداد (١٩٨٠) ٣ : ١١٧ . وحول الجامع المقام على ضريحه ، انظر سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها ، مطابع الأهرام التجارية ، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ، (١٩٧١) ١ : ٨٤ - ٨٧ .

(58) مقام إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) من أشهر مزارات القرافة بالقاهرة . بنى عليه الملك الكامل ابن أيوب (٦٠٨هـ/ ١٢١١م) قبة بلغت نفقتها خمسين

ألف دينار مصري. ذكر الهروي (الإشارات: ٣٥-٣٦) أنه قرأ على قبره:

أعجوبة من عجب الدهر　　　إطباق لوحين على بحر

وانظر المقريزي، الخطط ٢: ٤٦١ - ٤٦٢.

(59) قبر علي بن الحسن بن زين العابدين: يذكره الهروي (الإشارات: ٣٦) ضمن مزارات القرافة.

(60) القاضي زكريا: يرجح أن المقصود هو القاضي زكريا بن محمد بن زكريا زين الدين أبو يحيى الأنصاري السبكي المصري الشافعي، جمع بين الشريعة والحقيقة، أخذ عن عدد كبير من علماء مصر، وأخذ الطريقة عن محمد بن عمر الواسطي العمري، ومعظم من كان في مصر في زمنه من طلبته أو من طلبة طلبته. ولي القضاء للسلطان قايتباي، وكانت وفاته يوم الاربعاء ١٣ ذي القعدة (٩٢٦هـ/ ١٤٢٠م) ودفن بالقرافة الصغرى؛ الغزي، الكواكب ٢: ١٩٦ - ٢٠٧.

(61) ملاّ مغوش: محمد بن محمد بن مغوش التونسي المالكي، بدأ حياته بطلب العلم بتونس حيث ولي هناك قضاء العسكر، وسافر إلى القسطنطينية ولقي الإكرام فيها من السلطان، ومنها توجه إلى حلب (٩٤٤هـ/ ١٥٥٧م) فأخذ عن علمائها، وزار طرابلس الشام وكان دخوله إلى دمشق يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى من العام نفسه، ونزل بجامع تنكز، ومنها إلى القاهرة وفيُها توفي في شعبان ٩٤٧هـ (أو ٩٤٨هـ) وعمر عليه داود باشا نائب مصر عمارة بجانب الإمام الشافعي، وكان من أقطاب الصوفية؛ الغزي، الكواكب ٢: ١٥-١٩.

(62) الليث بن سعد، أبو الحارث، إمام أهل مصر في الفقه والحديث. ولد بقلقشندة ٩٤هـ/ ٧١٣م وسمع عن علماء مصر والحجاز وبغداد. ولي قضاء مصر ووصف بأنه أفقه من مالك، وكانت وفاته (١٧٥هـ/ ٧٩١م) ودفن بالقرافة، وأصبح قبره مزاراً. ويذكر المقريزي أنه رأى مكتوباً على قبره «الإمام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر». بنى عليه أحد التجار المصريين (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) قبة جددت حوالي (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) ثم جددت ثانية (٨١١هـ/ ١٤٠٨م) ثم جددت ثالثة (٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) على يد امرأة قدمت من دمشق. انظر: ابن خلكان، وفيات، ٤: ١٢٧-١٣٢ والمقريزي، الخطط ٢: ٤٦٣.

(63) مقام السيدة نفيسة: هي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق، أخذ عنها الإمام الشافعي، وكانت وفاتها سنة (٢٠٨هـ/ ٨٢٣م) ودفنت بدرب السباع بالقرب من موضع القاهرة وأصبح قبرها أحد المزارات المهمة وبخاصة في العهد الفاطمي. انظر ابن خلكان، الوفيات ٥: ٤٢٣-٤٢٤ والهروي.

الإشارات : ٣٥ والمقريزي، الخطط ١ . ٤٤٠-٤٤٢ .

(64) عمر بن الفارض: عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة. يعد من أقطاب الصوفية (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م) ودفن في سفح جبل المقطم. ابن خلكان، الوفيات ٣: ٤٥٤-٤٥٦ و انظر أيضاً :

R.A.Nicholson (J. Pedersen), "Ibn al-Fāriḍ" in *EI*², Vol. 111, pp. 763 - 764

(65) الجيزة: المقصود بها جيزة الفسطاط، ويصفها الوطواط كما يلي: « وهي على غربي النيل، وهي مدينة متحضرة، مباشرة بالأسواق آهلة، بها حمام وقيسارية للبز ولبيع الغزل، وفيها المساجد الكثيرة والطواحين والفنادق ». ثم يعدد القرى التابعة لها، انظر: مباهج الفكر : ٧٨-٨٠، ورمزي، القاموس: ٢/ ٣: ٤، ١٠ .

(66) كعب الأحبار: من يهود اليمن، اعتنق الإسلام حوالي (١٧هـ/ ٦٣٨م) وخرج إلى الشام وسكن حمص، وتوفي فيها (٣٢هـ/ ٦٥٠م) وهو من رواة الاسرائيليات في التفسير والتاريخ، انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء ٥: ٣٦٤، ٦: ٣ - ٤٨، انظر أيضاً:

M. Schmitz, "Ka'b al -Ahbar", in *EI*², IV, pp. 316-317.

(67) اسكندر باشا : كان دخوله إلى القاهرة يوم الخميس رابع جمادي الأولى ٩٧٦هـ/ ٣ كانون أول ١٥٦٨م، وعزله في ٢٠ محرم ٩٧٩هـ/ ١٤ حزيران ١٥٧١م. وكان ظالماً جباراً، عارض الفقراء في أرزاقهم وأموالهم ووظائفهم وما في أيديهم، وزاد ظلمه وجوره، فوصلت أخباره إلى الدولة العلية. فأرسل مولانا السلطان بعزله، فدعوا عليه في الجامع الأزهر فوق المآذن. انظر: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات لأحمد شلبي بن عبد الغني المصري الحنفي (ت ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م)، حقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة (١٩٧٨م) ص: ١١٧، ومحمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩١) ص: ٦٦-٦٧ .

(68) سنان باشا (١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٥م): تولى أمور مصر لأول مرة (٨٧٥هـ/ ١٥٦٧م) في عهد السلطان سليم الثاني، وبعد تسعة أشهر عزل عنها ليكلف بفتح اليمن، وعاد منها منصورا إلى مصر وأعيد واليا عليها ثانية في ١٤ جمادى الآخرة (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) فاستمر واليا إلى أن عزل في (جمادي الآخرة ٩٨٠هـ/ اكتوبر ١٥٧٢م) له جامع ببولاق، وجامع ومدرسة بالأزهر، وله عمارات بالشام. انظر في ترجمته المحبي، خلاصة الأثر ٢ : ٢١٤-٢١٦ وأحمد شلبي، أوضح الاشارات : ١١٦ - ١١٨؛ ومما يجدر ذكره أن قطب الدين النهروالي (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) وضع كتابه «البرق اليماني في الفتح العثماني» تحقيق الشيخ حمد الجاسر، الرياض (١٩٦٧م) تخليداً لحملة سنان باشا على اليمن.

(69) قنا (بكسر القاف وفتح النون) من أعمال قوص وهي شرقي النيل، بها ضريح السيد الجليل عبد الـرحيم القنـائي. وقـد أصبحت في العهـد العثماني جـزءا من ولايـة جـرجـا، وفي سنـة (١٢٤١هـ / ١٨٢٦م) أصبحت مـركـز مأمـورية؛ انظر الـوطـواط، مبـاهج الفكـر: ٩٧، والقلقشندي، صبح ٣: ٣٩٧، ورمزي، القاموس ق٢/ ٤ : ١٧٨-١٧٩ .

(70) القصير: فرضـة ولاية قـوص على البحر الأحمر. كانت تصلهـا البضائع، وتنقل منهـا إلى فندق الكارم بالفسطاط إلا أنها لم تكن من مستوى عيذاب، ومنهـا كان يذهب بعض المسافرين إلى اليمن؛ الوطواط: ٩٨ والقلقشندي ٣: ٢٤٠، ٤٦٥، ٥: ١٧، ٨٦ .

(71) عبد الـرحمن جلبي أفندي، لعله المولى عبـد الرحمن بن سيـدي علي الأماسي الذي كـان قد ولي قضاء حلب ثم بـروسه ومنها نقل إلى أدرنه حيث تـولى قضاء عسكر الروملي، ثم قضـاء مكة المكرمـة. وفي سنة (٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م) تولى قضـاء العسكر ولم تحمـد سيرته، انظـر العقد المنظوم : ٤٧٧ .

(72) برويـز أفندي : يذكـر الغزي عرضا أنـه تولى قضاء الشـام حوالي (٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) ويـذكر شرف الدين موسى في تذكرته أنه كان شيخـا صالحاً وأقام بدمشق مدة وباشر الأحكام بها سنة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م). انظر تذكـرة شرف الدين موسى بن أيوب الأنصـاري وقد لخص صلاح الدين المنجـد منها مـا يتعلق بالقضاء، ونشره ملحقـا لكتاب قضاة دمشـق لشمس الدين بن طولـــون، مطبوعـــات المجمـــع العلمـي العــــربي، دمشق (١٩٥٦م) ص: ٣٢٧ والكواكب ٣: ١٤١٠ .

(73) حامد أفندي: ولـد في مدينة قونية، وتدرج في عدد من «المدارس العثمانيـة» وتولى قضاء الشام لمدة سنة تقريبا، ثم نقل إلى مصر لمدة ثلاث سنـوات، ونيط به منصب قاضي عسكر الروملي (ت ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م) انظر العقد المنظوم : ٤٨٧ - ٤٨٩ .

(74) رئيس المحضرين : حول صـاحب هذا المنصب في إحضـار المطلوبين الى المحكمة ومقـدار ما كان يتقاضى من رسوم في محاكم ولاية دمشق، في القرن السادس عشر، انظر:

M. A. Bakhit, *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century,* Librarie de Liban, Beirut, 1982, pp. 125-126

ومحمـد نـور فرحـات، القضـاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، الهيئـة المصرية العـامـة للكتاب، (١٩٨٨)، ص: ٨١-٨٢.

(75) بدر الدين القرافي: محمد بن يحيى بن عمر بن يونس المالكي المصري، القاضي رئيس العلماء في عصره وشيخ المالكية. ألف عـددا من الكتب (ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م) راجع خلاصـة الأثر ٤: ٢٥٨-٢٦٢ وريحانة الألباء ٢: ١٠٦

(76) عماد الدين : هو محمد بن محمـد الدمشقي العنابي الصالحي الحنفي، من علماء دمشق، درس بالجامع الأموي وبمدرسة الريحانية والجوهريـة والناصرية والجوانية والخاتونية، وشهر بتدريس

اللغــة والتفسير. قـرأ عليـه عـدد من فضـلاء دمشق ومن بينهـم الحسن البـوريني (ت ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م)، تـراجم الأعيان في أبناء الـزمان، تحقيق صلاح الـدين المنجد، دمشق (١٩٦٣م) ٢ : ٣٠٢ - ٣١٠؛ الغزي، الكواكب ٣ : ٤٠-٤١.

(77) الشيخ شمس الدين ابن منقار: محمـد بن قاسم (٩٣٤ - ١٠٠٥هـ/ ١٥٢٧ - ١٥٩٦م) ولد بحلب وفيها طلب العلم، وفي سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م (عند المحبي ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م) سافر الى دمشق ورافق فيها عددا من علمائها من أبرزهم الشيخ اسماعيل النابلسي، وكان ممن حضر دروس الشيخ بـدر الدين الغـزي؛ ولي إمامة السليميـة الى جانـب تدريس المدرسة الماردانية والجوهير بالقصاعين. وكـان يراسل رضي الدين الحنبلي الحلبي، ويشير المحبي الى مطـارحاته ومـراجعاتـه مع تقي الديـن الحموي؛ الغـزي، لطف السمر ١ : ١٤٣-١٥١؛ رضي الـدين الحلبي، در الحبب ٢ : ٤١٨-٤٢٨، والمحبي، خـلاصـة الأثـر ٤ : ١١٥-١٣١ والمرادي، محمـد خليل بن علي بن محمـد مراد (١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م): عـرف البشام فيمـن تولى فتـوى دمشق الشـام، تحقيق محمـد مطيع الحافظ وريـاض عبد الحميـد مـراد، دمشق (١٩٧٩م) ص: ٤٠-٤٦.

(78) الملا أسد الدين: ابن معين الدين التبريزي الدمشقـي الشافعي، ولد في تبريز، وقدم مع والده الى دمشق وهو طفل، وكان يعرف العربيـة والفارسية والتركية. قرأ على علماء دمشق ودرس في عدد من مـدارسها مثل الناصريـة البرانية، كما درس بالجامع الأمـوي (ت٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م) ودفن بالصالحية؛ البوريني، تراجم ٣٤٢ - ٣٤٨.

(79) بروسـة : حول تـاريخها ودورها في تجارة الحريـر وتصديره لأوروبـا، وحول طبيعـة سكانها غير المتجانسة من المسلمين والمسيحيين واليهود، انظر:

H. Inalcik, "Bursa" in *EI*^{2}, I, pp. 1333-1336.

(80) جرجا (دجرجا) بليدة من أعمال الصعيد قرب إخميم، كان ينزلها بنو عمر من عشائر هوارة. وفي العهد العثماني أصبحت قاعدة لمديرية تعرف باسمها. انظر ياقوت، معجم ٢ : ٤٨، ١٥٥؛ القلقشندي، صبـح ١ : ٣٦٤، ٤ : ٦٩، ١٤ : ٣٧٤؛ رمزي، القـاموس ق٢/ ٤ : ١١٣ - ١١٤.

(81) النيربين: من ضواحي مدينة دمشق قرب الصالحية، سكنها الرؤساء والأعيان، وكانت عامرة في القرن الثامن الهجري ثم اخذت في الخراب. انظر: شمس الدين محمد بن طولون «ضرب الحوطة» ص: ١٦١، محمد كرد علي، غوطة دمشق، دمشق (١٩٥٣) ص: ٢٤٨.

(82) أسنا: من الأعمال القوية، وكان بها مزارع وبساتين حسنة وأعناب كثيرة ونخل كثير، وكان بها مارستان وحمامات وأسواق، وأصبحت سنة ١٨٢٦م مركزا لقسم عرف بها ثم أصبحت سنة ١٨٦٨م مركزاً لمديرية. وفي سنة ١٨٨٨م ألحقت بمديرية قنا؛ الوطواط، مباهج: ٩٧، والقلقشندي، صبح ١: ٣٨٠، ٣: ٣٢٤؛ المقريزي، الخطط ١: ٢٣٧؛ رمزي، القاموس ق٢/ ٢: ١٥٠ - ١٤٢.

(83) إبريم: مدينة بالنوبة لها قلعة، ترد أحياناً باسم مدينة القبض لأنها كانت مركزا للقائمين على تحصيل الأموال الأميرية وجبايتها. وفي سنة ١٩٠٤م أعيد إليها اسمها القديم؛ أنظر: المقريزي، الخطط، تحقيق G. Wiet، القاهرة (١٩٢٢) ق ٣/ ٢: ٢٨٣؛ ورمزي، القاموس ق ٢/ ٤: ٢٣٠.

(84) قاضي العسكر: لمعرفة مهامه ومسئولياته، انظر:

Gy. Kaldy Nagy, "Ḳāḍi ᶜAskar", in *EI*², IV, PP. 375 - 376.

(85) القدموس: واحدة من سبع قلاع عرفت بـ «قلاع الدعوة» كان يسيطر عليها الحشاشون (الفداوية). وتقع بالقرب من الخوابي، وكانت عملا من قواعد المثلثة الشامية (طرابلس)، وقد استردها الظاهر بيبرس (٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) من يد الإسماعيلية، وأصل نيابتها إمرة عشرة، انظر القلقشندي، صبح ٤: ١٤٧، ١٧٩، ٢٣٥؛ ٧: ١٧٧.

ويؤخذ من دفتر الطابو رقم: ٦٨ (تاريخ ٩٢٥ هـ) المحفوظ بمديرية محفوظات رئاسة الوزراء - استانبول أن قدموس كانت مركز ناحية تعرف باسمها، ويتبعها عدد من القرى، وكلها تكون جزءا من لواء طرابلس الشام. ويفيدنا هذا الدفتر أن عدد سكان قصبة القدموس ١٧٠ خانة و٣٠ مجرداً، ويتبعها ثماني مزارع عليها مال مقرر مقداره ٢٠٠٠ ورسوم كرباس ١٢٥٠ ورسوم دلالة ٥٠٠. ويلاحظ أن ضريبة خاصة تعرف باسم «درهم الرجال» كانت تجبى في ناحية القدموس من الناس لأن السكان كانوا من غير السنة بل من الإسماعيلية، وكانت هذه الضريبة تجبى كمبلغ مقطوع وليست عينا. انظر:

TD 68, (925 H), pp. 251 - 52.

وفي دفتر أحدث من هذا يحمل رقم TD372 يعود تاريخه إلى (٩٣٢هـ) تفصيلات، فهو يبين أن القدموس كانت مؤلفة من أربع محلات (صفحات هذا الدفتر غير مرقمة ولكن حسب ترقيمي لها تحتل المعلومات ص ٢٩٤ - ٢٩٧)

	خانة	مجرد
- محلة شيخ نجم الدين المعروفة بالجوانية	٣٦	١٧
- محلة شيخ عبد الكريم المعروفة بالوصطا(الوسطى)	٥٧	٢٨
- محلة التحتاني	٤٥	٣٢
- محلة شيخ خميس (عيسى) بن يوسف الحداد المعروفة بترقماني (تركماني).	٧٤	٠٤

وكانت تجبى منها مقادير الضرائب التالية:

- مال ديموس	٦٠٠٠
- رسم بوية خانة (المصبغة)	١٠٠٠
- رسم ولاية كرباس (الحرير، القز، الأقمشة)	٥٠٠
- رسم قصاب خانة	٤٠٠
- بادهوا	١٣٠٠
اليكون	١٣٠٠

أمّا الدفتر رقم ١٠١٧ فيذكر واردات القدموس على انها من الخاص الشامي :

	خانة	مجرد
١ - محلة جوانية	٤٠	٥
٢ - محلة وسطانية	٥٠	١
٣ - محلة يونس قضاة	٤٠	-
٤ - محلة عيسى حداد	٢٧	-
مال ديموس		٤٥٠٠
رسوم يومن خانة مقطوع		١٠٠٠
رسوم دلالية كرباس		٥٠٠
اليكون		٦٠٠٠

ويلاحظ هنا كثرة عدد المجردين من بين مجموع السكان .

(86) رمضان أفندي الشهير بناظر زاده : أحد الموالي الروم ، وكان والده من زمرة القضاة ، ونشأ هو في طلب العلم ودرس في عدد من المدارس منها مدرسة يلدرم خان ، ثم درس بعد ذلك بإحدى المدارس التحتانية ، وشهد له بالعلم ؛ وكان مفتياً بالمثلثة العثمانية . ولي قضاء دمشق (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) وعزل في شوال (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) ثم ولي قضاء بروسة (٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) ثم أدرنه ، وكانت وفاته اواسط شعبان (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م) ؛ انظر : العقد المنظوم في أفاضل الروم : ٨٤٦ - ٨٤٧ وابن العماد الحنبلي ، شذرات ٨ : ٤٠٢ .

(87) القبعثري : هو الغضبان بن القبعثري الشيباني ، كان الحجاج قد أرسله إلى بلاد كرمان ليأتيه بأخبار عبد الرحمن بن الأشعث ، فبدلا من ذلك انضم إلى ابن الأشعث وقال له : «تغد الحجاج قبل أن يتعشى بك » وصعد المنبر وذكر مثالب الحجاج . وبعد هزيمة ابن الأشعث وقع الغضبان في أسر الحجاج ، ويشير المحبي إلى محاورة جرت بينهما ، قال في بعضها : لأحملنك على الأدهم (يعني القيد) فأجابه : مثل الأمير من حمل على الأدهم والأسود (يعني ألوان الخيل) ؛ فقال الحجاج : ولكنه من الحديد ، فأجابه الغضبان : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً . . . . . إلخ ؛ أي أنه كان يوجه المعنى إلى غير ما يريده الحجاج . انظر : مروج الذهب ٣ : ٣٥٥-٣٥٨ .

(88) صاحب القامـوس : هو مجد الدين الفيروزآبادي محمد بن يعقـوب بن محمد بن ابراهيم الشيرازي اللغـوي الشافعي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ/ ١٣٢٩ - ١٤١٤م) ولد بكـازرون من أعمال شيراز، وارتحل إلى العراق حيث قـرأ في واسط ، ثم تنقل في البلدان فـدخل دمشق (٧٥٥هـ/ ١٣٥٢م) وبعلبك وحماة وحلب والقدس والقاهرة وتوفي بزبيد ، له عدد كبير من المؤلفـات ؛ انظـر شمس الـدين محمـد بن عبـد الـرحمن السخـاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) الضوء اللامع ٩ : ٧٩ - ٨٦ .

فهـــارس الرحلـة

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ . . . إنّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضةً فما فَوْقَها ﴾	البقرة	٢٦	٢٩ هـ★
﴿ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾	البقرة	١٢٧	٣٧
﴿ . . . . إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راَجِعُونَ ﴾	البقرة	١٥٦	٦٤
﴿ أوكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وهي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِها . . . . ﴾	البقرة	٢٥٩	٦٣ هـ
﴿ . . . . وانظر إلى حمارك . . . . ﴾	البقرة	٢٥٩	٢٩ هـ
﴿ . . . . فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ ﴾	آل عمران	١٥٩	٣٧
﴿ . . . . فتيمَّمُوا صَعِيداً طيّبا . . . . ﴾	النساء	٤٣	٨١ هـ
﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللهُ للكافِرينَ عَلَى المُؤْمِنينَ سَبِيلاً ﴾	النساء	١٤١	٦٣
﴿ . . . . فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً . . . . ﴾	النساء	١٢٨	٧٠
﴿ ويَسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً . . . . ﴾	المائدة	٦٤	٤٨ هـ
﴿ . . . . وضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرضُ بِمَا رَحُبَتْ . . . . ﴾	التوبة	٢٥	٨٢ هـ
﴿ . . . . بِسم اللهِ مَجْرَاها ومُرْسَاهَا . . . . ﴾	هود	٤١	٦٥ , ٨٧
﴿ . . . . وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم ﴾	يوسف	٧٦	٤٥
﴿ . . . . ادْخُلُوا مِصْرَ إن شَاءَ اللهُ آمِنينَ ﴾	يوسف	٩٩	٤٣
﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ . . . . ﴾	الحجر	٤٦	٧٢
﴿ . . . . فأصبَحَ يقلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى ما أنفَقَ فيها وهي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . . . . ﴾	الكهف	٤٢	٦٣
﴿ مَالِهَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرةً ولا كَبِيرةً إلاَّ أحْصَاها . . . . ﴾	الكهف	٤٩	٦٤

★ هـ = تعني أن الآية قد وردت في هامش الصفحة المذكورة .

الآيـــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ . . . . إنيِّ أنَسْتُ نـاراً لعَلِّي أتِيكُم منهـا بِقَبَسٍ أو أَجِـدُ عَلَى النَّارِ هدىً ﴾	طه	١٠	٤٤ هـ
﴿ . . . فَاجْعَل بَيْــنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِـداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوىً ﴾	طه	٥٨	٨٠ هـ
﴿ بل يَقْذِفُ بالحقِّ عَلَى البَاطلِ فَيَدْمَغُهُ . . . . ﴾	الأنبياء	١٨	٥٠ هـ
﴿ . . . . من كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾	الأنبياء	٩٦	٢٧
﴿ . . . . وأوَيْنَاهُما إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعينٍ ﴾	المؤمنون	٥٠	٨١ هـ
﴿ . . . يُسَبِّحُ لَـهُ فِيهَابالْغُـدُوِّ وَالآصَالِ رِجَـالٌ لا تُلهِيهِم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله . . . . ﴾	النور	٣٦، ٣٧	٦٣ هـ
﴿ . . . . يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾	النور	٤٣	٣١ هـ
﴿ وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلوا مِن عَمَلٍ فجعلناهُ هباءً منثوراً ﴾	الفرقان	٢٣	٤٥ هـ
﴿ . . . . وَكَانَ يَوْماً عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾	الفرقان	٢٦	٣٥
﴿ لأُعذِّبَنَّـهُ عَذاباً شـديداً أو لأذبَحَنَّـهُ أو ليَأتِيني بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾	النمل	٢١	٨٦ هـ
﴿ . . . وَجِئتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	النمل	٢٢	٨٦ هـ
﴿ . . . إنّي أُلقِيَ إليَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾	النمل	٢٩	٨٣ هـ
﴿ ولمّا توجَّـهَ تِلْقَاءَ مَـدْيَن قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِـي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾	القصص	٢٢	٢٩
﴿ . . . . إنَّ الَّذي فَرَضَ عَلَيكَ القُرْآنَ لَرَادُّكَ إلىَ مَعادٍ ﴾	القصص	٨٥	٤٢
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ . . . . ﴾	الاحزاب	٢١	٦٥
﴿ . . . ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	فاطر	١٤	٨٨
﴿ وَقالُوا الحَمْدُ لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ . . . . ﴾	فاطر	٣٤	٩٠

الآيــــــة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ . . . . لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾	فاطر	٣٥	٩٠
﴿ وَهل أتاك نبؤُ الخصمِ إذ تَسَوَّروا المحْرَابَ ﴾	ص	٢١	٣٥ هـ
﴿إن يَشأ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ . . . . ﴾	الشورى	٣٣	٨٧
﴿ . . . وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِم إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾	الشورى	٢٩	٣٦
﴿ . . . . وفيها ما تَشتَهيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأعيُنُ . . . . ﴾	الزخرف	٧١	٢٧ هـ
﴿ . . . سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾	الطلاق	٧	٩٣
﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوابَ السَّماءِ بماءٍ منهمر ﴾	القمر	١١	٣٧ هـ
﴿ . . . . وَجْهُ رَبِّك ذو الجَلالِ والإكْرام ﴾	الرحمن	٢٧	٥٥ هـ
﴿ حُورٌ مَقصُوراتٌ في الخيام ﴾	الرحمن	٧٢	٧٦ هـ
﴿ هَل أَتَى عَلَى الإنسانِ حِينٌ مِن الدَّهرِ لمْ يَكُن شيْئاً مَذكُوراً ﴾	الإنسان	١	٤٥ هـ
﴿ التي لمْ يُخلَقْ مِثلُها في البِلادِ ﴾	الفجر	٨	٨٧ هـ
﴿ . . . فَصَبَّ عَلَيْهم رَبُّك سَوْطَ عَذَابٍ ﴾	الفجر	١٣	٨٢ هـ

٢ – فهرس الأشعار

قافية الهمزة

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
وكيف	الفضلاءِ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٦

قافية الألف

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
رفعت	الخفضا	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٩٢
إلهي	الفضا	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٩
ورد	المنى	الكامل	٢	(٠٠٠٠)	٩١

قافية الباء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
لجودك	لبُّ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٢٧
ولو	معتبُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٦٤
إذا هبت	هبوبها	الطويل	٢	ذو الرمة	٣٩
بلاد	ترابها	الطويل	١	بعض الأعراب	٣٩
ما في	محبوبُ	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٢٤
ما بين	مقترب	البسيط	٨	(٠٠٠٠)	٤١
رآه	الغريب	الوافر	٢	محب الدين الحموي	٣١
كتبت	تُجابُ	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٨٩
ما مصرُ	مطلبُ	الكامل	٤١	(٠٠٠٠)	٨٣-٨٤
بحاميم	محبٌّ	المتقارب	١	محب الدين الحموي	٤٧
ودمتَ	حبيبها	الطويل	١	ابن الصائغ	٦١
إذا كنت	فتغرب	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٣٨
رأيت بها	غريبِ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٤٠
يا من	بالطربِ	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٨٨

قافية التاء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
مُد صحَّ	همتي	الكامل	٢	(٠٠٠٠)	٥٥

قافية الحاء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
أرى الحسن	مشروحُ	الطويل	٢	ابن نباته المصري	٢٨
سأبكيه	الجوانحُ	الطويل	٢	أشجع السّلمي	٦٥
أخذنا	الأبطاحُ	الطويل	١	كثير	٢٤
وليس	مادحي	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٥٦
يانسمة	روحي	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٥٠

قافية الدال

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
يقبِّل	مقاصد	الطويل	٢٤	(٠٠٠٠)	٩٤
يا من	ولدُ	البسيط	٢	ابن الوردي	٩٤
بلد	جديدُ	الكامل	٢	ابن الرومي	٣٩-٤٠
كالفرقدين	فرقدِ	الكامل	١	البحتري	٥٨
غبَّ	الودادِ	الخفيف	٢٠	محب الدين الحموي	٧٧-٧٨

قافية الراء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
ألطفك	الفجرُ	الطويل	٢٩	محمد الفزاري	٧٥ - ٧٦
وانَّ	لصبورُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٩٠
أأحبابنا	مِدرارُ	الطويل	٤	(٠٠٠٠)	٩٠
وألقت	المسافرُ	الطويل	١	المعفر بن أوس	٨٩
سلام	وتنتشرُ	الطويل	٩	الشيخ عماد الدين	٨٧
يا جيرة	يستعرُ	البسيط	٧	(٠٠٠٠)	٨٢ - ٨٣
من السعادة	تذكارُ	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٨٣
إذا	نفورُ	الوافر	٢	حيص بيص	٩٥
فلكلِّ	نظير	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٦٤
إنَّ	الأعمارُ	الكامل	٢	عتاب بن ورقاء	٩١

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
لعمرك	الشعرا	الطويل	٢	ابن أبي حفصة	٣٤
عتبت	العذرا	الطويل	٢	(٠٠٠٠٠)	٦٢
لما تملك	استعرا	البسيط	٣	محب الدين الحموي	٤٦
أحنُّ	القدرِ	الطويل	٣	مُلاَّ أسد الدين	٨٠
أتاني	الفخرِ	الطويل	٩	محب الدين الحموي	٨٠
سلام	بزهرِهِ	الطويل	١٢	علي المالكي	٧٤
ولو	والنشرِ	الطويل	٢	محب الدين الحموي	٧٦
وأبرحُ	الديارِ	الوافر	١	إسحق الموصلي	٢٨
ولقد	بذكرِهِ	الكامل	١	(٠٠٠٠٠)	٤٨
أيُّها	ظُفْرِ	الخفيف	٢	(٠٠٠٠٠)	٤٩
أسعد الله	الشهيره	الخفيف	٥	محب الدين الحموي	٥٩
دمت	خيره	الخفيف	١٠	بدر الدين الوافي	٥٩ – ٦٠

قافية السين

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
وجهٌ	الأنفاسِ	الكامل	٢	ابن عبد ربه	٤٣
ألا	مغرِسْ	الوافر	٢	(٠٠٠٠٠)	٦٢

قافية العين

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
لقد كنت	يتضوع	الطويل	٢	(٠٠٠٠٠)	٤٥
ولا تذكريني	فتدمعا	الطويل	٢	(٠٠٠٠٠)	٤٢
لي في الشام	مودِّعي	الكامل	٢	(٠٠٠٠٠)	٢٤

قافية الفاء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
فواعجبا	الصُّحُفُ	الطويل	٣	(٠٠٠٠)	٦٣
ولقد	تعرف	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٦٧
وقبلتها	الألفِ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٧٦

قافية القاف

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
إمامٌ	قفُّ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٢٥
لواءُ	تُشْرِقُ	الطويل	٢٥	محب الدين الحموي	٨٠
قسم	يفرق	الكامل	٣	محب الدين الحموي	٣٠
لي نحو	أتمزقُ	الكامل	١٠	(٠٠٠٠)	٩٠
وإنَّما الشعر	حُمُقا	البسيط	٢	حسان بن ثابت	٣٣
وكل	الصديقِ	الوافر	١	(٠٠٠٠)	٩٣
إذا	نسق	الطويل	١	محمد الفارضي	٦٠
إذا	اتسقَ	الطويل	٢	محب الدين الحموي	٦٠

قافية الكاف

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
يامن	ارتحالك	مخلع البسيط	٢	الإمام الغزالي	٣٦

قافية اللام

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
ألاهل	وأسائِلُه	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٨٧
فما زالت	أشكلُ	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٦٣
إذا عدَّ	عيالُ	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٤٦
يا شيخ	فواضلُه	البسيط	٦	محب الدين الحموي	٣١
أي	مهلا	الطويل	١	(٠٠٠٠)	٦١
واهاً له	فتولّما	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٣٩

قافية الميم

قافية النون

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
وليت	العنفوانِ	الوافر	٢	(٠٠٠٠)	٩٥
لك	قانِ	الكامل	١	(٠٠٠٠)	٤٠
بلادٌ	بالحَسَن	الطويل	٢	(٠٠٠٠)	٣٨

قافية الهاء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
للهِ	وأهناها	السريع	٢	(٠٠٠٠)	٥٢

قافية الياء

الصدر	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	رقم الصفحة
زادوه	السوي	الكامل	١	ابن الوردي	٢٥
وقد	تلاقيا	الطويل	١	مجنون ليلى	٨٨
لو أدرك	معانيها	البسيط	٣	(٠٠٠٠)	٤٤
واهاً	ماضيها	البسيط	٢	(٠٠٠٠)	٨٢
ما في	نجاريهِ	البسيط	١	(٠٠٠٠)	٣٧
وكنت	عَمِي	البسيط	١	(٠٠٠٠)	٩٢
يا ذا	الماضي	السريع	٤	(٠٠٠٠)	٩٥
ربَّ	عليه	الخفيف	١	يونس بن مسرّة الدمشقي	٨٣

٣ - فهرس أنصاف الأبيات

البيت	الشاعر	البحر	رقم الصفحة
وأما الذي في القلب منها فراسخ	(٠٠٠٠٠)	الطويل	٥٣
وتستعذب الأرض التي أنت حلّها	(٠٠٠٠٠)	الطويل	٥٤
سُلُوّ رضيع قد علاه فطامُ	(٠٠٠٠٠)	الطويل	٦٣
كفى حزناً اني مقيمٌ ببلدة	(٠٠٠٠٠)	الطويل	٣٧
وهل عند رسم دارس من معوّل	امرؤ القيس	الطويل	٤١
أحبُ شيّ إلى الانسان ما منعا	(٠٠٠٠٠)	البسيط	٣٤
لا بد للمرءِ من مال يعيش به	(٠٠٠٠٠)	البسيط	٩٥
من لم يمت يوم بينٍ لم يمت أبدا	(٠٠٠٠٠)	البسيط	٣٦
يا جيرة الشام هل نحوكم خبر	(٠٠٠٠٠)	البسيط	٧٦
ولوعة البين تأبى أن تمدّ يدا	(٠٠٠٠٠)	البسيط	٣٦
إذا وقع الذباب على طعام	(٠٠٠٠٠)	الوافر	٩٥
عرف المحلّ فبات دون المنزل	(٠٠٠٠٠)	الكامل	٢٦
فكانا هلالين عند النظر	(٠٠٠٠٠)	المتقارب	٢٧

٤ – فهرس الأعلام

٥ – فهرس الطوائف والقبائل والجماعات

٦ – فهرس الأماكن والبلدان

٧ - فهرس المصادر والمراجع

١ - المصادر العربية

أ - المصادر العربية المخطوطة

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٢٦م)،
الوافي بالوفيات، مخطوطة البودليانة بأكسفورد، رقم ٢٣١ من مجموعة ارش. سلد.
محب الدين الحموي، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦ هـ/ ١٦٠٧م)،
رحلتا الحموي (حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية وبوادي الدموع العندمية بوادي الديار الرومية)، مخطوط مكتبة جامعة كيمبرج رقم (QQ 129).
محب الدين الحموي، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦ هـ/ ١٦٠٧م)،
رحلتا الحموي (الرحلة المصرية والرحلة الرومية)، مخطوط مكتبة عاطف أفندي، رقم (٢٠٣٠)، اسطنبول.
محب الدين الحموي، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦ هـ/ ١٦٠٧م)،
رحلة مولانا القاضي محب الدين الحموي المسمّاة بحادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية، المكتبة الظاهرية، رقم (٦٩٨٥)، دمشق.
محب الدين الحموي، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م)،
رحلة القاضي محب الدين مع جوي زاده إلى الديار المصرية، مكتبة الظاهرية، مخطوط رقم (٨٣٨٧)، دمشق.
محب الدين الحموي، محب الدين بن تقي الدين (ت ١٠١٦ هـ/ ١٦٠٧)،
رحلة القاضي محب الدين الحموي، مكتبة ييل.

ب - المصادر العربية المطبوعة

القرآن الكريم
إخوان الصفاء،
رسائل إخوان الصفاء، بيروت، ١٩٥٤
الإصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)،
كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت (د. ت).
الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب (ت٢١٦ هـ/ ٨٣١م)،
الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر. وعبدالسلام هارون، ط ٥، بيروت (د. ت)، نسخة مصورة عن الطبعة المصرية.

امرؤ القيس، الحارث بن عمرو بن حجر،
ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨ .
ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣م)،
بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦١ - ١٩٦٣ .
البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)،
ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢ .
ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧ م)،
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩ .
بشار بن برد، أبو معاذ بن برد العقيلي (ت١٦٧ هـ/ ٧٨٣ م)،
ديوان بشار بن برد، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، تونس، ١٩٧٦ .
البغدادي، إسماعيل باشا (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠ م)،
هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٢ م، مطبعة المعارف، اسطنبول، ١٩٥٥ .
البكري، أبو عبيد بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٨٥ م)،
سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، ١٩٤٦ .
البوريني، الشيخ حسن بن محمد (ت ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥ م)،
تراجم الأعيان في أبناء الزمان، ٢م، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي. بدمشق، ١٩٥٩ - ١٩٦٣ .
التجيبي، أبو الطاهر إسماعيل بن أحمد بن زيادةالله (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)،
المختار من شعر بشار، تحقيق محمد بدر الدين العلوي، القاهرة، (د. ت).
أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م)،
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط ٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢ .
التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م)،
الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة، ١٩٣٩ .
الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م)،
التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحيار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١ .
الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م)،
الإيجاز والإعجاز، نشر اسكندر آصاف، (د. ت).
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م)،
البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٠ .

ابن الجهم، علي بن بدر (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م)،
ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دمشق، ١٩٤٩ .
حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي (ت ١٠٦٨ هـ/ ١٦٥٧م)،
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢م، تحقيق محمد شرف بالتقايا
ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)،
تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٨٢ .
ابن حجة الحموي، أبو بكر تقي الدين علي (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)،
ثمرات الأوراق (مطبوع على هامش المستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيهي)، تصوير دار الفكر، بيروت (د. ت) عن طبعة مكتبة الإستقامة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
ابن حجة الحموي، أبو بكر تقي الدين علي (ت ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٣م)،
خزانة الأدب وعاية الأرب، المطبعة الخيرية، القاهرة (١٣٠٤هـ/ ٦٨٨٦م)،
ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)،
الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠م.
ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)،
تهذيب التهذيب، حيدر آباد الدكن، (١٣٢٥هـ - ١٣٢٧هـ)،
حسان بن ثابت (ت ٥٤ هـ/ ٦٧٤م)،
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، سلسلة جب التذكارية، ليدن، ١٩٧١ .
ابن حنبل، الإمام أحمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)،
مسند الامام أحمد بن حنبل، ٦م، المكتب الاسلامي ودار صادر، بيروت، (د. ت).
الحنبلي الحلبي، رضي الدين محمد بن إبراهيم (ت٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)،
در الحبب في تاريخ أعيان حلب، تحقيق محمود حمد الفاخوري ويحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣ .
الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٦٩ هـ/ ١٦٥٨م)،
ريحانة الألباء وزينة الحياة الدنيا، تحقيق محمد عبدالفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٦٤ .
الخولاني، عبد الجبار بن عبدالله (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)،
تاريخ داريا، تحقيق سعيد الأفغاني، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٠م، أعيد طبعه سنة ١٩٧٤ .
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣ هـ/ ١٠٧١م)،
تاريخ بغداد، ١٤ ج، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)،
ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)،
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ - ١٩٧٢ .

الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)،
حياة الحيوان الكبرى، ط ٤، مكتبة مصطفى البابى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩.
دوزي، رينهارت،
تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
ذو الرمة، غيلان بن عقبة (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م)،
ديوان ذي الذمة، تحقيق عبدالقدوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٣.
ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت٢٨٣هـ/ م)،
ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣ - ١٩٧٩.
الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)،
ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق محمد سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٩ - ١٩٨٠
الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)،
الكشاف عن حقائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
السبكي، أبو نصر عبدالوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)
طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناجي وعبدالفتاح محمد الحلو، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤.
السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤١٤م)،
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ٨ ج في ٤ م دار مكتبة الحياة، بيروت (د. ت)،
ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٠٣هـ/ ٨٤٥م)،
كتاب الطبقات الكبير، ٩ ج تحقيق إدوارد سخو، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٤٠، أعادت تصوير بالأوفست مكتبة مؤسسة النصر، طهران، (د. ت)
ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م)،
ديوان ابن سناء الملك، تحقيق محمد ابراهيم نصر، القاهرة، ١٩٦٩.
ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م)،
دار الطراز، تحقيق جودت الركابي، دمشق، ١٩٧٧.
سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)،
الكتاب، ط بولاق
السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)،
الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)،
مقامات السيوطي، تحقيق سمير محمود الدروبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.
السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)،
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤.
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٢٦م)،
الوافي بالوفيات، ج١، تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن، ١٩٦١.
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٢٦م)،
الوافي بالوفيات، مخطوطة البودليادنة باكسفورد، رقم ٢٣١ من مجموعة أرش سلد.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)،
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
الطغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي (ت ٥١٥ هـ/ ١١٢١م)،
ديوان الطغرائي، تحقيق علي جواد الطاهر، ويحيى الجبوري، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٧٦.
ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)،
«ضرب الحوطة على جميع الغوطة»، تحقيق أسعد طلس، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، م ٢١ (١٩٤٦).
ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)،
قضاة دمشق المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٦.
ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)،
ديوان ابن عبد ربه، جمع وتحقيق محمد رضوان الداية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م.
أبو عبيدة التميمي، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ/ ٨٢٤م)،
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق A.A. Bevan (نسخة مصورة عن طبعة ليدن، ١٩٠٥ - ١٩١٢)، دار صادر، بيروت (د. ت).
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤هـ)،
جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عبدالمجيد قطاش، ط١، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤.
العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت٦١٦ هـ/ ١٢١٩م)،
ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، المسمّى بالتبيان في شرح الديوان، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١.

العليمي، مجير الدين عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)،
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٧٣.
ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)،
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ج/ ٤م، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت).
الغزي الدمشقي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م)،
لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، ٢م، تحقيق محمود الشيخ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١.
الغزي الدمشقي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م)،
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ٣م، تحقيق جبرائيل جبور، المطبعة الامريكية، بيروت، ١٩٤٥ - ١٩٥٩، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.
أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)،
تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة باريس، ١٨٤٠م.
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)،
التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣١٢هـ.
ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)،
عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤م (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣.
الكتاني، محمد الحسني
فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المطبعة الجديدة بالطالعة، ١٣٤٧هـ.
كثير، أبو صخر كثير عبد الرحمن (ت هـ/ م)،
ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)،
المقتضب، تحقيق عبدالخالق عضيمة، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
المتلمس الضبعي، جرير بن عبدالمسيح (ق. هـ ٥١/ ٥٦٩م)،
ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

ابن محاسن، يحيى بن أبي الصفا بن أحمد (ت١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م)،

المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ .

مجنون ليلى، قيس بن الملوح بن مزاحم (ت ٧٠هـ/ ٦٩٨م)،

ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، القاهرة، (د. ت).

المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)،

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤م، تصوير دار صادر، بيروت، ١٩٧٠ .

محمد، محمد أمين، (محقق)، وثائق السلطان الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، ١٩٨٢ .

المدني، ابراهيم بن عبدالرحمن الخياري (ت ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)،

تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، ٣ ج، تحقيق رجاء السامرائي، بغداد، ١٩٦٩ - ١٩٨٠ .

المرادي، محمد خليل بن علي بن محمد مراد (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)،

عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ورياض عبدالحميد مراد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٩ .

المرزوقي، أبو علي أحمد (ت ٤٢١ هـ/ م)،

شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٥٣ .

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت /)،

مروج الذهب ومعادن الجوهر، باعتناء باربي دميانا رو و باوه دلورتل، ط٢، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان ١، طهران، ١٩٧

المصري الحنفي، أحمد شلبي بن عبد الغني (١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م)،

أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، القاهرة، ١٩٧٨ .

المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)،

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق G. Wiet، القاهرة، ١٩٢٢ .

المكي، عباس بن علي بن نور الدين،

نزهة الجليس، النجف، ١٩٦٧ .

ابن مماتي، أسعد بن مهذب (ت ٦٠٦هـ—١٢٠٩م)،

قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣ .

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)،

لسان العرب، ١٤ مجلد، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

منق، المولى علي بن بالي (ت ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م)،
العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ذيل كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لأحمد بن مصطفى المعروف بـ طاش كبري زاده (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥.
الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)،
مجمع الأمثال، ٢م، تحقيق محي الدين عبدالحميد، ط٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢.
ابن نباته المصري، أبو بكر جمال الدين محمد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)،
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٤.
ابن نباته المصري، أبو بكر جمال الدين محمد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)،
ديوان ابن نباته المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)،
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨ م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
أبو نواس، أبو علي الحسن بن هاني (ت ١٩٥هـ/ ٨١٠م)،
ديوان أبي نواس، تحقيق بهجت الحديثي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)،
نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)،
البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق الشيخ محمد الجاسر، الرياض، ١٩٦٧.
الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١٨هـ/ ١٢٢١م)،
كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل - طومين، منشورات المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٣.
الوطواط، محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)،
مباهج الفكر ومناهج العبر، دراسة وتحقيق عبدالعال عبدالمنعم الشامي، الكويت، ١٩٨١.
ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)،
معجم الأدباء، تحقيق مرجليوث، دار المأمون، القاهرة، ١٩٣٦ - ١٩٣٨.
ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)،
معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.

٣ - المصـــادر العثمانيـــة

سجل شرعي محكمة القدس الشرعية/ حجة تاريخ ٩٦٣ هـ/ ١٥٥٥م.

سجل شرعي محكمة القدس الشرعية رقم ٣١/ تاريخ ١٤ ذي الحجة سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥م.

طابو دفتري رقم ٦٨ (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

طابو دفتري رقم ٢٦٣ (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

طابو دفتري رقم ٣٧٢ (٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

طابو دفتري رقم ٤٠١ (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

طابو دفتري رقم ٤٣٠ (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

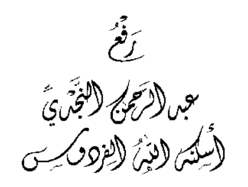
طابو دفتري رقم ٥١٦ (٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢ - ١٥٦٣م)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

طابو دفتري رقم ١٠١٧ (دون تاريخ)،
مصورة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية عن مخطوطة مديرية محفوظات رئاسة الوزراء باسطنبول.

٢ - المراجـــع العربيـــة

باشا، عمر موسى،
ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق، القاهرة، ١٩٦٢ .
بدران، عبدالقادر،
تهذيب تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٧٩ .
خمّار، قسطنطين.
أسماء الأماكن والمواقع والمعالم المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠ .
الدومنيكي، مرمرجي،
بلدانية فلسطين العربية، وقف عليها وفهرسها محمد خليل الباشا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧ .
رمزي، محمد،
القاموس الجغرافي للبلاد المصرية المندرسة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٥٤ .
الزركلي، خير الدين،
الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت).
الطويل، توفيق
التصوف في مصر إبان العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
العسلي، كامل جميل
موسم النبي موسى في فلسطين: تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الأردنية، ط١، عمان، ١٩٩٠ .
عطاالله، محمود
نيابة غزة في العهد المملوكي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٦ .
عفيفي، محمد
الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١ .
غربال، محمد شفيق
مصر عند مفرق الطرق ١٧٩٨ - ١٨٠١م: المقالة الأولى في ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندي أحد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، م ٤ (١٩٣٦)، ج١، ١٩٣٦، (الطبعة الثانية، ١٩٥٣)، ص١ - ٦٩ .

فرحات، محمد نور
القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ .
كحالة، عمر رضا
معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٥م، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).
كرد علي، محمد (ت ١٩٥٣م)
غوطة دمشق، ط٢، دمشق، ١٩٥٣ .
محمد أبشرلي ومحمد داوود التميمي (محققان ومقدمان)،
أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية غزة، القدس الشريف، صفد، نابلس، عجلون، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.
محمد، ثريا
سجل عثماني ياخوذ تذكرة = مشاهير عثمانية، نسخة مصورة عن طبعة اسطنبول ١٣٤١هـ.
أعيد تصويرها في مؤسسة Gregg International Publisher Limited Hants, 1971.
محمد، سعاد ماهر
مساجد مصر وأولياؤها، مطابع الأهرام التجارية، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧١ .
المنجد، صلاح الدين
ولاة دمشق في العهد العثماني، دمشق، ١٩٤٩ .
ناصر، جلال أسعد
عمائر السلطان قايتباي في بيت المقدس، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة القاهرة، ١٩٧٤ .
نصر، محمد ابراهيم
ابن سناء الملك: حياته وشعره، القاهرة، ١٩٦٧
وزارة الأوقاف المصرية،
مساجد مصر، القاهرة، ١٩١٨ .



٤ - المراجـــع الأجنبيـــة

Bakhit, M.A., *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*, Librairie de Liban, Beirut, 1982.

Cohen, Amnon and B. Lewis, *Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century,* Princeton University Press, Princeton 1978.

Elisseeff, N., "Djillik", in *EI* 2, II, p. 541.

Gibb, H. A. R., J. H. " *Kramers," et al, (ed.), The Encyclopaedia of Islam, (second edition),* 4 Vols., Leiden, London, 1960 - in Process.

Heyd, U., *Ottoman Documents on Palestine* 1552 - 1615, (OUP), 1990.

Hütteroth, Wolf - Dieter and Kamal Abdul - Fattah, *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Centurey, Erlangen, 1977.*

Inalcik, H., "Bursa", in *EI*2, I, pp. 1333 - 1336.

Jomier, J., "Bulāḳ", in *EI*2, I, p. 1299..

Kaldy Nagy, G. y., "Ḳaḏī cAskar", in *EI*2, IV, pp. 375 - 376.

Levi Della Vida, G. , "Ud̲hra", in *EI*2, VIII, pp. 988 - 990.

Marquet, Y., "Ik̲hwān al-Ṣafā ' ", in *EI* 2, III, pp. 1071 - 1076.

Nicholson, R.A. (J. Pedersen), "Ibn al-Fāriḍ", in *EI*2, III, pp. 763 - 764.

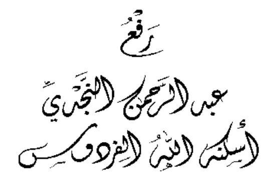
Rikabi, J., "Ibn Nubāta" in *EI*2, III, pp. 900 - 901.

Robson, J., "al-Bayḏāwī", in *EI*2, I, p. 1129.

Schmitz, M., "Ka cb al-Aḥbār", in *EI*2, IV, pp. 316 - 317.

Smoor, p., "al-Macarri", in *EI*, V, pp. 927 - 935.

Wiet, G. 9., "Bilbays", in *EI*2, 1, p. 1218.



فهرس المحتويات